في البناء

الفدائي على طريق الجهاد (2)

الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا

الجزء الثاني: الفكر والمنهج

(أبحاث وأساسيات على طريق جهاد ثوري مسلح)

بقلم:عمر عبد الحكيم

أبو مصعب السوري

مقدمة وتعريف بالكتاب: [1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المجاهدين وقائد الغر المحجلين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن سار على دربهم إلى يوم الدين.

وبعد: فهذا هو الجزء الثاني من كتاب الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا وهو الكتاب الثاني من سلسلة (في البناء الفدائي على طريق الجهاد) والتي أعزم فيها متوكلاً على الله تعالى تقديم بعض الدراسات والبحوث الإسلامية الحركية الجهادية، ساعياً بتوفيق الله إلى سد ثغرة ببعض القليل المتواضع الذي عندي، فيما أعتقد أننا كمجاهدين في سبيل الله بحاجة إليه وإلى أضعافه على صعيد المعرفة والثقافة والعلوم الإسلامية والحركية الجهادية.

فما كتب ويكتب من بحوث ومقالات فكرية إسلامية متنوعة، جهد كبير وتراث رائع ضمته المكتبة الإسلامية إليها خلال العقود الخمسة الأخيرة.

أما اليوم، والحركة الإسلامية في كثير من البلدان تخطو خطواتها الأولى نحو العمل والتطبيق فهي بحاجة إلى كتابات من نوع متميز تكمل المشوار، وفي هذا المضمار أحاول أن أدلو بدلوي على تواضع الإمكانات فيما أراه مفيداً وضرورياً إن شاء الله تعالى آملاً منه جل جلاله أن يوفق حملة القلم والفكر الإسلامي ولاسيما علماءنا الأجلاء على ندرتهم إلى مزيد من العطاء الذي نحتاجه على هذا الصعيد، رغم ما يحف البحث في مثل هذه الأمور من مخاطر وما يتجشمه الساعي من عناء، ولكنها الأمانة أسأله تعالى أن يوفقنا لأدائها إنه على كل شيء قدير.

أما كتابي هذا [الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا – الفكر والمنهج – (أبحاث وأساسيات على طريق جهاد مسلح)] وهو الثاني فقد كان يشكل وكتابي الأول [الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا – التجربة والعبرة – (آلام وآمال)] كتاباً واحداً، ثم أخذت باقتراح أستاذي الكريم جزاه الله خيراً وفصلته بكتاب مستقل لانفصال الموضوعين. فجاء الأول ليتحدث عن الثورة الجهادية في سوريا وما يتعلق بها من ملاحظات وعِبر. وجاء هذا ليتحدث عن أفكار وأساسيات ودروس أخذناها من خلال مسارنا في هذه

[1] راجع مقدمة الطبعة الأولى الجزء الأول.

الدعوة المباركة وآمنا بها.- وقد بينت هذا في مقدمة الجزء الأول- ومع ذلك فإني أعتبر قراءة الكتاب الأول موضحة ومساعدة على فهم ما سيأتي في هذا الكتاب إن شاء الله والعكس صحيح.

أما هذا الكتاب الذي بين أيدينا فيقع في ثلاثة فصول:[1]

الفصل الأول: وهو الجزء الأعظم من الكتاب ويشمل بحثاً علمياً ومباشراً لبعض قضايا الجهاد المعاصر، كقضية الحكم ولمن يكون، والحكام الحاليين وحكم الإسلام فيهم وواجب المسلمين نحوهم ... وحكم الدار التي نحن فيها الآن، وقضية الإسلام والعنف والخروج على الحاكم .. وأبحاث أخرى يقود إليها السياق في مكانها، وقد قدمت لذلك ببعض الفقرات التمهيدية حول الحركة الإسلامية والصحوة وواقعها من وجهة نظري المتواضعة إلى آخر ذلك. وأهم ما أقدم به لهذا الفصل أني لم آت بجديد .. نعم، كل ما هنالك أني استشهدت بمفاهيم أساسية نعرفها ونؤمن بها جميعاً، تلقناها من مبادئ ديننا الحنيف في مدرسة الدعوة على اختلاف الدار استشهدت بها كي أخلص إلى أساسيات ومواقف دفعنا إلى تناسيها جهلاً حيناً وعمداً أحياناً حتى باتت مواقف أكثرنا وكأنّا لم نسمع بمثل هذه المبادئ.

وقد جاء البحث مباشراً وصريحاً أو ثورياً إن جاز التعبير، وأعتذر سلفاً لمن سيأخذ عليه ذلك من إخواني، ولكني مقتنع بأن جوهريات كهذه لايمكن بحثها بالحومان والدوران حولها وهي قضايا واقعنا ومستقبلنا ومصيرنا كأمة مسلمة تكون أو لا تكون.

إن واقعنا بالمرارة التي هو عليها .. حكامنا .. وأحوال كفرهم وفسادهم وما يجره هذا على كل مواطن منا صباح مساء. وأسباب ذلك، وحكم الله في كل هذا ..

مواضيع لايمكن التحدث عنها إلا بهذه المباشرة وإلا كان الحديث ضرباً من اللف والدوران لأسباب تعود في النهاية إلى التهرب من الحقائق جبناً أو نفاقاً أو ايثاراً لسلامة أو ربما جهلاً حتى نلتمس العذر لبعض العلماء.

إن هؤلاء الحكام الأذناب في كل بقعة من بقاع هذا العالم الإسلامي المنكوب، متساوون في حالهم الأجرب مهما تلونت أشكال هذا الوباء. ولايغرنا منهم الأسماء والألقاب التي ألبسوها بهتاناً وظلماً وتغطيةً لعقد نقصهم.

وأمامنا نماذج حكام ما يسمى بالوطن العربي من محيطه الثائر إلى خليجه الهادر وهو قلب العالم الإسلامي .. وما أحوال بلاد العجم من المسلمين إلا أدهى وأمر ..

من يُستثنى الخميني .. الطاغوت الرافضي الذي نشر الدمار والفساد وحكم بشريعة الدم ولاحق المسلمين السنة وأشعل نار الحرب لتأكل الأخضر واليابس كي يصدر مذهبه المارق ليحرر به بغداد والقدس ومكة كما يزعم بفضل دين أئمته الذين يفضلون عنده على أنبياء الله وملائكته وباسم الإسلام والثورة الإسلامية.

أم باقي حكام بلاد المسلمين المساكين .. فهم بعض بلائنا .. هل هذه مواضيع يمكن بحثها بالحومان حولها حتى لايثور الجزار ويسلبنا نعيم الذل الذي يفيئه علينا.

وعلماء الإسلام ... آه من علماء الإسلام .. إلى الله نشكو كما شكى عمر رضي الله عنه .. جرأة الفاجر وعجز الثقة ..

---

[1] أضيف إليها فصل رابع أثناء إعداده للطبع في أواخر (1991) بخصوص ثلاث مواضيع طرقت في الفصل الثالث من هذا الكتاب وهي ملاحظات وأفكار حول:
- الانتفاضة وقضية فلسطين.
- طغيان التيار الديمقراطي في العمل الإسلامي وطرق مواجهته.
- حرب الخليج الصليبية اليهودية وأثرها على الفكر والمنهج الجهادي.

أم رجال الدعوة الإسلامية ومؤسساتها التي دجنت وقلمت أظافرها .. فتارة يستحون من حقهم .. وتارة يجمجمون فيه .. وتارة يعملون مخدراً للشعوب المنكوبة لصالح الطواغيت .. وإن خرج فيهم من يرفع صوته بالحق .. تراكضوا إلى تكميم فمه حتى لا ينزل على رؤوسهم البلاء .. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لهذا وأكثر منه من البلاء .. كان لابد من بحث الموضوع من جذوره .. ليُعلم حكم الله ورسوله الذي تركنا على المحجة البيضاء صلى الله عليه وسلم .. ماحكم الإسلام في كل هذا ؟؟ وما يوجب هذا الحكم على المسلمين عامة وعلى من يدعون قيادة الدعوة خاصة ؟؟ وكيف نقوم بهذا الواجب ؟؟ هل هذه مواضيع فرعية يمكن تجاوزها والحديث عنها تعريضاً وتلميحاً ؟؟ لا أعتقد، ولأني لا أعتقد آثرت أن أطرق البحث بأسلوب مباشر بلا لبس ولا دوران .. بأسلوب ثوري كما سيتهمونه والله المستعان.

أعلم تمام العلم أني اقتحمت محرّماً عند من يهمهم أن يستمر المسلمون في سباتهم العميق من مستعمرين شرقيين وغربيين إلى حكام طواغيت عملاء خونة .. إلى متاجرين بشعارات الإسلام والدعوة والجهاد، من الذين يتكسبون بهذه الشعارات مقابل فتات الفتات .. إلى آخر هذه القائمة السقيمة.

أعلم أني ببحثي هذا أطأ موطئاً يغيظ الكفار .. وأرجو أن يكتب لي به عمل صالح (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم).

وإنني لم أرقب في اقتحامي هذه الحمى الخطرة إلا الله تعالى وأسأله الإخلاص والقبول والثبات على الطريق والشهادة في سبيله إنه سميع مجيب.

الفصل الثاني: وهو صفحات موجزة أسقطت فيها تلك النتائج والاستدلالات التي توصلنا إليها في الفصل الأول على واقع سوريا المنكوبة بالاحتلال النصيري كحالة خاصة أشد وضوحاً من غيرها في هذا النطاق.

الفصل الثالث: وهي بحوث سجلت فيها رأيي المتواضع من خلال إيماني وفهمي لديني في قضايا مهمة طالما دار الجدل حولها وتلونت الطروح – حتى الإسلامية منها – حولها .. وهي: قضية الشيعة الرافضة – قضية الوطنية والعلاقة مع الأحزاب العلمانية – قضية فلسطين – قضية القومية العربية وثن الأحزاب العربية المعاصرة – قضية العلاقة بالجماعات الإسلامية التي لا تتبنى طرح الجهاد المسلح من إخواننا في الدعوة.

وقد رأيت أن أختم بها هذا الكتاب الذي استعرضت فيه مبادئ أساسية لازمة من وجهة نظري للمجاهدين في سبيل الله لنحمل السلاح على بينة. وصدق الله العظيم: (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عن بيّنة):

وإني إذ أختم هذه المقدمة .. ليس لي إلا أن أقول: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، استغفرك وأتوب إليك .. الله إن أصبتُ فمنك لا يهدي للخير إلا أنت .. وإن أخطأت فمن نفسي القاصرة وأنت غفور رحيم.

وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.

تم بعونه تعالى 1987/10/13

فهرس الجزء الثاني

الفهرس

- التيار الديمقراطي في العمل الإسلامي.
- حرب الخليج والحملة الصليبية اليهودية.

الفصل الأول

مبادئ ومفاهيم أساسية

1- كلمات للابد منها:

لابد ونحن نبدأ بحثنا هذا مستعينين بالله تعالى من الإشارة إلى أننا وإن كنا نطرق موضوعاً هاماً خطيراً تحدثت فيه المئات من أقلام الكتّاب والمفكرين الإسلاميين وهو موضوع الجهاد وما يتفرع عنه من قضايا ومواقف تمس الحركة الإسلامية المعاصرة بشكل خاص والمسلمين بشكل عام. وعلاقة هؤلاء خاصهم وعامهم بقضية المسلمين الأولى وهي قضية الحكم ولمن يكون، والحكام الحاليين وموقف الإسلام منهم، والمسلمين وموقعهم من إسلامهم الذي يدعون.

إلا أننا لن نطرق البحث من ناحية فكرية محضة طالما أطنبت فيها الأقلام وفصلت، وأضافت للمكتبة الإسلامية المعاصرة ذخيرة هائلة كان لها الدور الأول في الوعي الحركي الذي أحرزته كثير من الشرائح الإسلامية ولاسيما في العقود الأخيرة وإنما سنطرق الموضوع من الناحية العملية، وبشكل أوضح من حيث إسقاط تلك المبادئ والأفكار التي تشربتها القواعد في الحركات الإسلامية وتبنتها وتربت عليها على واقع المسلمين أنفسهم، ونقصد واقع الحركات الإسلامية برجالها وقادتها وقواعدها والمثل الذي تقدمه للمسلمين وهي رائدة نهضتهم، كما سنعرض لقضية الحكم والحكام من الناحية نفسها ويمكن القول أن ما كتب ويكتب في موضوع الجهاد بشكل عام وبعده السياسي الحركي في مجتمعنا الحالي وقضايا الولاء والبراء والحاكمية والحكم والدين وشموله .. لم يترك زيادة لمستزيد، ولقد دخلنا مرحلة التكرار والإعادة في عرض تلك الطروح وأصبح جوهر القضية معروفاً ومدروساً ومتبنى من الناحية النظرية لدى الغالبية من أبناء الحركة الإسلامية، وهنا نرى أنه لزام على العاملين في الحركة، وكل بحسب ظرفه أن ينتقلوا بأنفسهم وبالمسلمين إلى الحيز العملي ليطبقوا أفكارهم عملياً، ونقصد بعملياً أن يضعوا الخطط والمناهج وإن طالت في تصورهم – مراحلها، للوصول عملياً إلى إقامة الحكم الإسلامي وانتزاعه من أيدي مغتصبيه من الحكام الكفرة الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون.

وكما قال سيد قطب رحمه الله: (لقد آن الأوان –والله أعلم– لقيام تنظيم أو تنظيمات إسلامية تضع في حسابها ونصب عينيها العمل على إقامة الحكم الإسلامي، بالمفهوم الذي شرعه الله تعالى أياً كانت الوسائل الموصلة لذلك طالما أنها شرعية) ولقد أثبتت الوقائع والتجارب المضنية أن هذا لن يرضي رؤوس الكفر وأسيادهم، وأنه لن يكون من سبيل لإقامة مثل هذا النظام الإسلامي إلا الجهاد الثوري المسلح، إننا نفهم الإسلام ونريد إفهامه للناس لا على الطريقة الممسوخة التي أرادها أعداء الله على اختلاف صنوفهم فغدا مجرد عبادات وتمتمات وتعاويذ وقوانين تطال الأحوال الشخصية ليس إلا .. وإنما نفهمه ذلك الدين والنظام الذي جاء من عند الله لينظم علاقة الإنسان بربه، ليعرفه به وبهذا الكون ولينظم علاقته به ولينظم حياة هذا الخليفة فوق الأرض بكل مايشمل هذا من علاقات بين الأفراد أو بين الجماعات. هذا هو الإسلام الذي نسعى لإعادته لمكانته الطبيعية كما أمر الله ..

يقول الشهيد عبد القادر عودة رحمه الله: (والأحكام التي جاء بها الإسلام على نوعين: أحكام يراد بها إقامة الدين وهذه تشمل أحكام العقائد والعبادات، وأحكام يراد بها تنظيم الدولة والجماعة، وتنظيم علاقات الأفراد والجماعات بعضهم ببعض، وهذه تشمل أحكام المعاملات والعقوبات والأحوال الشخصية والدستورية والدولية .. الخ فالإسلام يمزج بين الدين والدنيا، وبين المسجد والدولة، فهو دين ودولة وعبادة وقيادة وكما أن الدين جزء من الإسلام فالحكم جزؤه الثاني، بل هو الجزء الأهم، وصدق عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث يقول: (إن الله ليزع بالسلطان ما لايزع بالقرآن). اهـ (الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه).

ولكن ورغم أن الشرق والغرب وعملائها في البلاد الإسلامية قد تجمعوا ليطفئوا نور الله بأفواههم فها هو الإسلام ينتفض من جديد، وها هي الصحوة الإسلامية ملؤ السمع والبصر ترتجف منها قلوب أولئك الذين أعياهم الكد لإبعاد المسلمين عن إسلامهم الحق ودفعه لزوايا ضيقة لا يخشى منها "والله متم نوره ولو كره الكافرون" عائد بكل شموله وكماله إن شاء الله بعد أن فشلت كل تلك الأنظمة الوضعية والطروحات الجاهلية في مختلف بلاد المسلمين، ولم تثمر إلا التخلف والتجزئة والتبعية والفساد كما أثبتت فشلها كل تلك الطروح في بلاد أصحابها، ولم تورثهم إلا البؤس والضياع رغم تقدمهم الحضاري. يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله: (الإسلام منهج حياة، حياة بشرية واقعية بكل مقوماتها، منهج يشمل التصور الاعتقادي الذي يفسر طبيعة الوجود، ويحدد مكان الإنسان في الوجود كما يحدد غاية وجوده الإنساني ويشمل النظم والتنظيمات الواقعية التي تنبثق عن ذلك التصور الاعتقادي وتستند إليه وتجعل له صور وقعيه في حياة البشر، كالنظام الأخلاقي، والينبوع الذي ينبثق منه والأسس التي يقوم عليها والسلطة التي يستمد منها، والنظام السياسي وشكله وخصائصه، والنظام الاجتماعي وأسسه ومقوماته والنظام الاقتصادي وفلسفته وتشكيلاته والنظام الدولي .. ونحن نعتقد أن المستقبل لهذا الدين، بهذا الاعتبار، باعتباره منهج حياة)[1]

إننا نعتقد أن الإسلام بشموله هذا مقبل، ولنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم بشائر، قبل أن يكون عندنا من تردي الحضارات وثبوت فساد الحلول المستوردة دليل.

يقول صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه والترمذي.

يقول صلى الله عليه وسلم: (تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها، إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم يكون ملكاً عاضاً، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعه إذا شاء الله أن يرفعه، ثم يكون ملكاً جبرياً، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعه إذا شاء الله أن يرفعه، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة؛ تعمل في الناس بسنة النبي، ويلقي الإسلام جرانه في الأرض، يرضى عنها ساكن السماء وساكن الأرض لا تدع السماء من قطر إلا صبته ولا تدع الأرض من نباتها ولا من بركاتها شيئاً إلا أخرجته) ذكره حذيفة مرفوعاً ورواه الحافظ العراقي من طريق أحمد وقال حسن صحيح.

وقد بشرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح القسطنطينية ورومية، وقد تحققت نبوءته الأولى على يد محمد الفاتح رحمه الله تعالى (1492م)، وستتحقق الثانية لاشك في ذلك وهي روما عاصمة إيطاليا اليوم، إن شاء الله تعالى.

فلا يعجب رجل من هذا ويقول: كيف والمسلمون على ما هم فيه من الضعف والذله فإن ما هم فيه سببه الوهن كما حدّث صلى الله عليه وسلم (وهو حب الدنيا وكراهية الموت): ولا بد أن يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، يعملون بما أمر الله وتتحقق على

[1] المستقبل لهذا الدين.

أيديهم نبوءته صلى الله عليه وسلم، وهو القائل (أمتي أمة مباركة لا تدري أولها خير أم آخرها) رواه ابن عساكر عن عمرو بن عثمان وأشار إليه السيوطي بلفظ حسن.

نحن مؤمنون بهذا مقتنعون به، لكننا مقتنعون معه بأن الله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، ولن يتبدل حال المسلمين ما لم ينفضوا عنهم لباس الذل والمسكنة، وينزعوا من قلوبهم ذلك الوهن، ولن يكون هذا إلا بدعاة إلى الله يأخذون بأيديهم إلى درب الهدى والنور ويكونون لهم القدوة في الدين والعمل والتضحية.

2- حال المسلمين اليوم:

لا بد ونحن نستعرض حال المسلمين المزري التي وصلوا إليها من الذلة والمهانة والهوان على أنفسهم وعلى أعداء الله، من أن نقف عند البلاء الأول وسبب كل تلك المصائب، ألا وهو غياب شرع الله بكماله وشموله عن حياته ولاسيما غيابه السياسي واستبعاده من قضية الحكم والاستعاضة عنه بقوانين وشرائع جاهلية ما أنزل الله بها من سلطان، لقد كانت هذه مصيبة المصائب بما تركته فيهم من خور وضعف وتفسخ اجتماعي وتحلل جعل من الطبيعي أن ينتهوا إلى ما انتهوا إليه. ولله در عمر حين قال: (نحن قوم أعزّنا الله بالإسلام، ومهما نبتغي العزة بغيره نذل) وإذا أردنا أن نقف على حقيقة أمرنا وماوصلنا إليه فماذا نجد:

أولاً: حالة من التقسم والتشرذم:

في دول ودويلات كثيرة وضعيفة متباينة الأهداف مختلفة التصورات، فهذه شرقية وتلك غربية وأخرى رأسمالية ورابعة اشتراكية .. وقد أورثنا هذا تباغضاً وتناحراً وهزالاً وضاعت كلمتنا بين الأمم وهان أمرنا ووصلنا للحال التي وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم: وتداعى علينا الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها وسيطر الغرب والشرق على اقتصادنا ومص دماءنا فغدونا عالة على الأمم، وحتى البلد الواحد من بلاد المسلمين تراه كتلاً وفرقاً وأحزاباً تصطرع بلا نهاية ودون طائل. (إن حكامنا وزعماءنا وأصحاب الرأي فينا، لم يعودوا إخواناً متحدين متعاونين كما يقتضي ذلك الإسلام، وإنما أحزاب وشيع، يعيشون متفرقين متنابذين، يتآمر بعضهم على بعض، ويتقول كل منهم على الآخر بالحق والباطل، ويتبادلون القذف والسباب كما لو كانوا يتقارضون المديح والثناء كل يحاول تحقير الآخر وتشويهه، وكل يريد أن يهدم أخاه ليرتفع على هامته أو ليخلو له الجو ينطلق فيه، وقد حرصوا على هذه التقاليد التي ينكرها الإسلام ومارسوها كلهم حتى مزقوا أعراضهم وقطعوا أرحامهم وهدموا أنفسهم وتركوا أسوأ مثل لمن بعدهم)[1]

فإذا أردنا أن ننظر لحال هذه الدول واحدة واحدة، فلن نجد إلا بلاداً قد سيطر على حكمها عوائل تتوارث الحكم فيها، وتتسلط على رقاب العباد بالباطل، وقد أوسع الله في رزق معظم هذه البلدان فراحت تبعثر أموال المسلمين هنا وهناك، فقسم ذاهب لدعم أعداء الإسلام، وقسم لبطر المعيشة والفسوق والعصيان والإنفاق في محرمات نهى الله عنها، وقسم في بنوك الغرب تتقوى بها القوى الحاقدة على حربنا لتنمو بالربا وسخط الله، وقسم عائد لشعب فسدت أخلاق العامة من شبابه وشيوخه وأمرائه، وأصبحت قصص مغامراتهم في مراقص أوروبا وأمريكا ومواخيرها مضرب الأمثال.

وفي طرف آخر، نجد بلاداً قد سيطرت عليها الأفكار الإلحادية والاشتراكية وحكمت رعيتها بالقهر والكبت تحت الشعارات الرنانة والطنانة، وذاق أهلها لباس الخوف والجوع والقهر. فتفشت الرشاوى والمحسوبيات وعمت الفوضى وانتشر الفساد، وقسم لا من هذه ولا تلك فهي دول تدعي الديمقراطية والحريات، وتخنق كل صوت إسلامي، مثلها مثل أخواتها وقعت في حضن الغرب ليعبث بمقدراتها كيف يشاء، ودول أخرى آلت إلى نفس المصير بطرق شتى .. ونظراً لهذا الحال المتفسخ فلا عجب أن تنتشر

---

[1] الإسلام وأوضاعنا القانونية (عبد القادر عودة).

الأفكار والمذاهب الفكرية باحثة عن حل لهذا الفساد .. ويلعب الغزو الفكري الصليبي والإلحادي دوره، ويتشرذم معظم مثقفي هذه الأمة بين ديمقراطي وشيوعي واشتراكي ووجودي .. تعددت مذاهبهم والكفر واحد.

ثانياً : التفسخ الاجتماعي:

إن هذه الأوضاع السياسية المتفسخة وما رافقها من غياب الإسلام عن الساحة بمفهومه الشامل العميق، أورثت الأمة الإسلامية أحوالاً اجتماعية لا تقل عن تلك السياسية فساداً (ولقد فسدت أخلاقنا، وضعف إيماننا بأنفسنا وانحدرنا إلى الحضيض، ورأينا كبراءنا وهم المثال الذي يحتذي به الشعب يتلونون كل يوم بلون، ويلبسون لكل حال لبوسها، فهم يوماً يؤيدون حكم الأقلية، وفي اليوم التالي ينادون بالحكومة الدستورية وهم بعد ذلك منابذون لهؤلاء وهؤلاء، يجرون وراء فرد ليس له جماعة تؤيده ولا حزب يسنده وهم يفعلون كل ذلك تمشياً مع عقيدة يعتقدونها ولا خضوعاً لمبادئ يطبقونها، وإنما جرياً وراء الأهواء والشهوات وتحقيقاً للمنافع أو تخوفاً من الحرمان، ذلك أنهم يربطون أنفسهم بكل ذي سلطان طالما كان له سلطان، فإذا ما أحسوا بهذا السلطان في طريق الزوال انقلبوا على صاحبه ينهشون عرضه ويسخرون منه، ولطالما والله عبدوه من دون الله وضحوا في سبيل إرضائه بكرامة الرجل وحياء الإنسان. ومن أجل هذا الذي درج عليه كبراؤنا فإن الحكومات على اختلاف أغراضها وألوانها، وعلى اختلاف الجهات التي تسندها تجد مؤيدين من كل الطبقات وتستطيع أن تعيش مسنودة بأغلبية برلمانية، طالما كان بقاءها في الحكم مسنوداً مكفولاً أو على الأقل مأمولاً، ولقد تمثل الشعب بسادته وكبرائه في نفاقهم وسوء أخلاقهم، فهم الفساد وفشا الرياء، وضاعت الأخلاق والكرامات، ولم يبق في الشعب من له ذمة أو ضمير إلا القليل، ومن المؤلم أن نجد كثيراً من شباب الأمة وجيلها الحديث ينظرون إلى هؤلاء الذين يتمسكون بالفضائل على اعتبار أنهم قوم يحلمون ويعيشون في العصور البائدة ويعتقدون أن المدنية والتقدم، هي في التحلل من كل شيء من الخلق والكرامة، ومن الذمة والضمير، بل التحلل من الشفقة والرحمة ومن الآدمية والإنسانية. إن الكثير من الشباب اليوم فارغو النفوس والقلوب والرؤوس، فلا علم ولا عمل ولا دين ولا إيمان وهم لا يجدون إلا تزجيج الحواجب، وتصفيف الشعر، واختيار الملابس والتشبه بالممثلين والممثلات، ولا عمل لهؤلاء الشباب إلا ارتياد المحلات العامة والاندفاع وراء الشهوات، وقد وقع الكثير منهم فريسة سهلة للشيوعيين لأنه ليس في تربيته المدرسية ولا في حياتهم المنزلية ما يحول بينهم وبين الآراء الهدّامة، أو ما يحصنهم ضد الفساد.

والناس اليوم يستحلون كل شيء مادام يؤدي للغاية، فالسرقة والرشوة، والاختلاس وبيع الأعرا ض والكرامات والمساومة على المصالح، والتستر على الخيانة والفساد وإسكات صوت الحق، كل ذلك جائز مادام يؤدي للمال أو الجاه أو كراسي الحكم ولك فرد يحسد غيره ويتمنى أن يحل محله، والفلاح الصغير يحسد المزارع الكبير، والعامل يحسد صاحب العمل، والفقير يحسد الغني، ويتمنى كل أن يكون له ما للمحسود من مال ونعمة، بل ولايرى بأساً من أن يحصل على ما يتمناه دون حق ودون جهد وعن طريق غير مشروع)[1]

أليس حالنا الآن هو حالنا السالف، لقد كتب الشهيد عودة تلك السطور قبل أكثر من عشرين عاماً يصف المجتمع ومازلنا من انهيار لآخر، وحالنا اليوم أشد تحللاً وحتى تلك الحرية التي كانت موجود أيامه لم تعد اليوم موجودة.

ثالثاً : أوضاعنا القانونية:

وأما قوانيننا التي نحتكم إليها والتي فرضت علينا وما أنزل الله بها من سلطان لنترك للشهيد عودة وهو رجل القانون يحدثنا عنها: (والأصل الأول للقانون هو أن قانون كل أمة إنما ينبثق منها ويرجع إليها، إنه قطعة من ماضيها الطويل وحاضرها الماثل، إنه يمثل

---

[1] الإسلام وأوضاعنا القانونية- عبد القادر عودة.

نشأتها وتطورها، ويمثل أخلاقها وتقاليدها، ويمثل آدابها ونظمها ويمثل دينها ومعتقدها . ... . ولكن هذا الأصل الأول للقانون أهمل إلى حد كبير في القوانين الوضعية السارية في مصر وفي كثير من البلاد الإسلامية، فقد نقلت القوانين الأوروبية بحذافيرها ودون تعديل يذكر إلى هذه البلاد، وجعلت قوانين ملزمة في بلاد يسودها الإسلام، يحكمها منذ ثلاث عشر قرناً ويزيد، وهي بلاد تدين الغالبية الساحقة من سكانها ويحكمها الإسلام، ويتعبدون بإقامة شعائره وأحكامه وعصيان ما خالفه من الأوامر والأحكام، وكان المعقول أن يفقه هذه المعاني ناقلو القوانين الأوروبية إلى البلاد الإسلامية ولكنه كانوا أناساً لا فقه لهم ولا خير فيهم، فجاءت قوانينهم غريبة على البلاد الإسلامية، لا تتصل بماضيها ولا بحاضرها ولا تمثل نشأتها ولا تطورها، ولا صلة لها بعادات أهل البلاد وتقاليدهم، ولا ينعكس عليها شيء من آدابهم وأخلاقهم ولا مكان فيها لأديانهم وعقائدهم.

إن قوانيننا معشر المسلمين غريبة عنا، نقلت إلى تربة غير تربتها، وجو غير جوها وأناس لا صلة لهم بها يرتابن فيها، ويتجهمون لها، بل ينكرونها ويتقربون إلى الله بهدمها، إنها قوانين تبعث على الكفر وأوضاع تحرض على الإلحاد وأنظمة تؤدي إلى الإباحية والتحلل، إنها لا تنتسب للإسلام بنسب، ولا تمت للبلاد الإسلامية بسبب، إنها قوانين لا تقوم على أصولها ولا يرجع نسبها إلينا، إنها كأبناء السفاح يولدون لغير أب وعلى غير فراش ..... وكانت الحجة المتكررة في إدخال هذه القوانين، أنهم يريدون الأخذ بأسباب المدنية الأوروبية والتقدم، كأنما التقدم الأوروبي والمدنية الأوروبية راجعة إلى هذه القوانين البشرية وأن تخلف المسلمين وضعفهم راجع إلى شريعتهم السماوية، وقد وجدت هذه الحجة الفارغة عقولاً فارغة في البلاد الإسلامية تصدقها وتؤمن بها ... وكان من السهل على هؤلاء المستغفلين الغافلي لو فكروا أن يعلموا أن حجتهم داحضة، وأن هذه القوانين التي فتنوا بها، ليست في أصولها إلا قوانين الدولة الرومانية، وأن هذه القوانين لم تمنع العرب والمسلمين من هدم الدولة الرومانية وأن هذه القوانين لم تعصم أوروبا كلها من الهزيمة المنكرة في الحروب الصليبية وكان من السهل على هؤلاء المستغفلين الغافلين لو فكروا، أن يعلموا أن الشريعة الإسلامية كانت شريعة المسلمين الأوائل، وأنها كانت تحكمهم وهم قلة مستضعفة يخافون أن يتخطفهم الناس، وأنهم في ظل هذه الشريعة وبعد عشرين سنة من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، استطاعوا أن يزيلوا الدولة الفارسية من الوجود، وأن يحسروا الدولة الرومانية عن مصر والشام وشمال أفريقيا وأن يصبحوا سادة العالم وقادة البشر أكثر من ألف سنة) اهـ "الإسلام وأوضاعنا القانونية".

وهاهي قوانينا كما كانت، بل زادت بعداً عن الإسلام عن أيام كاتب السطور السالفة وأصبحت مقولة فصل الدين عن الدولة وشعارات لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين، ترفع دون حياء، ودون وجل من الرؤساء والملوك وجهلة العوام على حد سواء، تلك الفكرة الوافدة التي إن كان لها ما يبررها في مكان مولدها (أوروبا) نظراً لقصور الديانة المسيحية لما اعتراها من مسخ وتحريف عن استيعاب تطور الحياة وعجلة الحضارة، وبما مارسه كهنة الكنيسة من طغيان، فإنها فكرة أبعد ما تكون عن بلاد المسلمين وديانتهم الغرّاء، التي ارتضاها الله تعالى وأكملها وتكفل بحفظها لآخر الزمن.

وفُصِل الدين عن الدولة، وانزوى الدين في نطاق الشعائر والتراتيل عند قوم، واستعلى عند آخرين، فذاقوا البأس والنكاية من الطواغيت، وسكتت الجماهير وكأن لا علاقة لها بالأمر وانقسم العلماء بين شيطان أخرس وآخر مؤمن خائف لا يجرؤ على الكلام ولا حول ولا قوة إلا بالله، ناهيك عمن سار في ركب السلطانم يهرج له ويبيع دينه بعرض من الدنيا قليل، وقام الطواغيت فوق رقاب المسلمين في شتى بلادهم، يلتف حولهم جماهير المسبحين بحمد السلطان من ملك أو أمير أو رئيس .. وخنقت في هذه الزحمة أصوات الحق.

رابعاً : وأما عن مصائب المسلمين :

بهذا البعد عن الله فقد توالت المصائب على بلاد الإسلام .. فمنذ أن سقطت الخلافة التي آلت في آخر أيامها إلى هيكل شكلي فحسب ومع ذلك لم تنج من مكر الماكرين، وتوالت النكبات، واحتلت معظم تلك البلدان ولكن بعد أن حقق ذلك الاستعمار جلّ أهدافه. فقد ترك لنا طبقة من العلماء والتابعين والكفرة والمارقين، يلوكون أفكار الغرب ونظرياته ويمجدون إنجازاته ويباركون تبعيته وظهرت الأفكار الشوهاء، وعلى رأسها فكرة القوميات المقيتة وتشدق المتشدقون بالقومية العربية وأصبحت شعار الكل في بلاد العرب على اختلاف مشاربهم السياسية .. ولم ينج من هذا الوباء بقية المسلمين، فانحاز التركي لقوميته وطالب الكردي بكيانه وشعر البربري بقومه .. وهكذا تمزقت الأمة .. ورزحت بلاد تحت الاحتلال الروسي وأخرى تحت الصيني، ووقعت فلسطين تحت الاحتلال اليهودي وتكرس الاحتلال، وسقطت القدس نصفاً إثر آخر، ولم يحرك لهذا أحد ساكناً، وسقطت قطع أخرى من البلاد تحت الاحتلال ولم يكن نصيبها من النجدة أكثر من أختها .. وها هي لبنان تسقط بيد الصليبيين والروافض المتعصبين على مرأى من المسلمين ومسمع .. واحتل النصيريون القرامطة سوريا الشام وغلب الروافض المتعصبون على حكم إيران وباسم الإسلام هذه المرة، وكانت المصيبة أعظم وهاهم يخططون لاجتياح بلاد المسلمين، وسقطت أفغانستان بيد الشيوعيين، واستُهدِف المسلمون في كل مكان، وها هم يذبحون في الهند والفلبين وأرتيريا ويتعرضون لحملات التنصير في أفريقيا وأندونيسيا .. وينكل بالدعة الصادقين في كل مكان، ويساقون إلى السجون وساحات الإعدام، في جو من التكتم الرهيب في باقي بلاد المسلمين الأخرى وحتى تلك التي تعتبر نفسها مستقلة محررة، مازالت تعاني من أشكال الاستعمار الفكري والثقافي والاقتصادي .. بإدارة حكام هم أقرب للمحتلين من كونهم أبناء البلد في سلوكهم وتصرفاتهم، بل هم المحتلون بالنيابة[1]...

3- من المسؤول عما نحن فيه :

كثير من المسلمين المخلصين اليوم يتلفتون باحثين عن حل وخلاص. يتساءلون في حيرة، من المسؤول عما نحن فيه؟؟ وما الحل؟؟ وتتضارب الأقوال ولا تخرج المسؤولية عما نحن فيه عن تحميلها للاستعمار أو الحكام أو جماهير المسلمين عامة أو علمائهم خاصة .. فلننا قش كل واحدة من هذه على حدة.

أولاً : مسؤولية الاستعمار (اليهود والصليبيون):

لا شك أن الاستعمار يحمل مسؤولية كبيرة عما تعيشه البلاد الإسلامية، وكثير من شعوب العالم الثالث من فقر وتبعية وأزمات، وما ذلك إلا لحرص الاستعمار على مص دماء تلك الشعوب، وإبقائها تحت سيطرته ليتمتع بخيراتها مهما جرّ هذا من شقاء على أهلها .. ولا نفرق هنا بين أي شكل من أشكال الاستعمار الأوروبي أو الأمريكي أو الشيوعي .. فكلهم مستغلون، يميزهم الجشع والطمع فينا ولقد كان للشعوب الإسلامية النصيب الأكبر من عداء المستعمرين ونكالهم وذلك لما يعملون من أنه ما وقف في وجه أطماعهم وتسلطهم وأزعجهم وأفسد مخططاتهم شيء مثل ما فعل، لقد أرادوا طمس هوية هذه الأمة ومحو لغتها ووقف الإسلام حائلاً بينهم وبين المسلمين وانظر إلى جورج براون وهو يقول في كتاب له صدر عام 1944: (لقد كن نخوف بشعوب مختلفة، ولكننا بعد اختبار لم نجد مبرراً لمثل هذا الخوف، لقد نخوف من قبل بالخطر اليهودي والخطر الأصفر والخطر البلشفي، إلا أن هذا التخويف كله لم يتفق كما تخيلناه، إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد، ثم رأينا البلاشفة حلفاء لنا أما الشعوب الصفراء فهناك دول ديمقراطية كبرى تقاومها، ولكن الخطر الحقيقي كان في نظام الإسلام، وفي قوته على التوسع والإخضاع وفي حيويته .. إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي)[2]

---

[1] وكان من آخر النكبات احتلال الصليبيين لجزيرة العرب وعقر دار الإسلام بفضل تآمر حكامها الكفرة وسكون شياطينها الخرس من علماء السلطان بل وتأييدهم لهذا الاحتلال بالفتاوى.

[2] كتاب التبشير والاستعمار في البلاد العربية د.مصطفى الخالدي ود.عمرفروخ.

لقد عرف المستعمرون عدوهم بالضبط، إنه نظام الإسلام بشموله وكماله ولذلك سعوا إلى صرف أبنائه عن حقيقته وحصره في دائرة الشعائر والتعبدات وإبعاده عن روحه الحركية الفاعلة. وكانت ضربتهم القاصمة الأولى هي إسقاط الخلافة، وكانت نتيجة تعاون صهيوني صليبي .. وابتدأ الاستعمار جولته الثانية .. علمنة المسلمين، ووقفت طلائع البعث الإسلامي بضراوة في وجه التيار، وخطط المستعمرون لضرب هذه الطلائع، ومازالوا يمكرون في وجه التيار، وخطط المستعمرون لضرب هذه الطلائع، ومازالوا يمكرون عبر الحكومات العميلة على اختلاف مشاربها .. فلنعرف أعداءنا الذين ما تغيروا على مر التاريخ منذ وجد الإسلام – كما يقول سيد رحمه الله- "اليهودية والصليبية والوثنية الملحدة ورؤوس النفاق .." ماتزال هي هي. يهودية ممثلة في إسرائيل واليهودية العالمية، وصليبية ممثلة في الاستعمار الغربي، ووثنية ملحدة ممثلة في الشيوعية الماكرة، ورؤوس نفاق ممثلة في حكومات عميلة يخفيها الإسلام وتخشاه على عروشها، ولكن كيف نلوم الاستعمار .. إنهم أعداؤنا، والمعركة معهم تاريخية وكيف لا نلوم أنفسنا وحكوماتنا وعلمائنا الأجلاء ..

ولا يلام الذئب في عدوانه إن يك الراعي عدو الغنم

ثانياً : مسؤولية الحكومات :

تتحمل الحكومات الجاهلية القائمة في بلاد المسلمين اليوم نصيباً كبيراً من المسؤولية عن المصائب التي تعم البلاد وأهلها، فقد قامت تلك الحكومات في الأساس بناء على عمالتها للاستعمار، تلك العمالة التي كانت ومازالت ثمن بقائها في عروشها ظلماً وزوراً على الرغم من تاج ملكي إلى لفة أميرية إلى جبة رئاسية إلى حذاء عسكري .. فإنها كلها تمارس الديكتاتورية المطلقة عبر أسر حاكمة مستبدة أو أحزاب كافرة مرتدة، أو سلطات عسكرية قمعية .. ويجب أن يكون قد مضى زمان، كان فيه المسلمون من البساطة وحداثة التجربة، بحيث يتوجهون ببياناتهم ونداءاتهم المتكررة إلى تلك الحكومات لتخشى الله في عباده.. ولتعمل على مصالح الأمة وخيرها .. ولتجاهد في سبيل وحدتها وتحرير أرضها المغتصبة .. فلن نعود إلى الوراء لنقرأ للحكومات بيانات باسم إسلام هم به كافرون، لقد تبين لكل مسلم أن هذه الهياكل الحكومية كلها عبارة عن هياكل هشة وضعها الاستعمار في بلادنا أو قبل بقيامها في السلطة وكفل بقاءها لتنوب عنه شرط تحقيق مصالحة، فقامت تلك الحكومات النائبة للعدو، بما طلب أسيادهم خير قيام، فخانت الوطن ونكلت بكل مناوئ وحفظت مصالح المستعمر، ووالت أعداء الله وكرست تجزئة الأمة، وتغاضت عن ضياع أجزاء من الوطن بل وساهمت في قتل أبنائه بشكل أو بآخر، وأهم من ذلك كله نفذت رغبة المستعمر في إبعاد الإسلام عن الساحة السياسية واعتبرته (حشيشاً) محظوراً تداوله، ولاحقت كل من ينادي به —ولن نطيل مكانه إن شاء الله- وبذلك ساهمت مساهمة مباشرة في إبقاء أحوال الفساد وقطع دابر الإصلاح.

ثالثاً : مسؤولية جماهير المسلمين :

رغم أن جماهير المسلمين هم الخاسر الوحيد في هذه المعمعة فهم مسؤولون وإلى حد كبير عما هم فيه وعما وصل إليه الإسلام من تراجع .. (إن جماهير المسلمين مسؤولون عما انتهى إليه أمر الإسلام، فما وصل الإسلام إلى هذا الذي هو فيه إلا بجهل هذه الجماهير للإسلام وبانحرافها شيئاً فشيئاً عن الإسلام حتى كادت تنسلخ عنه دون أن تدري أنها انسلخت عن الإسلام.

إن جماهير المسلمين قد ألفت الكفر والفسق والإلحاد، حتى أصبحت ترى كل ذلك فتظنه أوضاعاً لا تخالف الإسلام، أو تظن أن الإسلام لا يعنى بمحاربة الفسق والكفر والإلحاد ولا يعنيه من أمر ذلك شيء، إن الإسلام يوجب على المسلمين أن يتعلموا الإسلام وأن يتفقهوا فيه، أن يعلم بعضهم بعضاً (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولنذروا قومهم إذا رجعوا إليهم) التوبة 122. ولطالما نفرت طوائف من المسلمين فأنذروا قومهم، وحاولوا تفقيههم في الدين، ولكن (الحكومات

الإسلامية)[1] أخذت على نفسها أن تحارب هذه الطوائف وأن تحول بينها وبين ما يوجبه الإسلام إرضاء للاستعمار وطاعة للطواغيت وموالاة لأعداء الإسلام ورضيت الجماهير هذا الوضع من الحكومات وما كان لها أن ترضاه، فشارك الجمهور الحكومات في خنق الإسلام، وهدم الجماعات العاملة للإسلام، إن جماهير المسلمين قد فقدوا القوة والعزة والكرامة، فهم يعيشون عبيداً للأقوياء، وعبيداً للاستعمار وعبيداً للحكام، يسلبونهم أقواتهم ويستنزفون قواهم ويدوسون كرامتهم ويهدرون حريتهم وما أُتي المسلمون إلا من تركهم دينهم دين القوة والعزة والكرامة ولو عادوا له لعادت لهم القوة التي فقدوها والعزة التي حرموها والكرامة التي يتطلعون إليها، إن جماهير المسلمين في غفلة قاتلة، إنهم في غفلة عن دينهم وفي غفلة عن دنياهم وفي غفلة عن أنفسهم، ويوم تتفتح أعينهم على الحقائق سيعلمون أنهم خسروا دنياهم وآخرتهم بما فرطوا في جنب الله، وماانحرفوا عن كتاب الله)[2].

لقد كتب الشهيد عودة هذا الكلام منذ أكثر من عشرين عاماً ترى بالله أليست حال المسلمين هي هي، بل أتعس وأنكى وأبعد عن دين الله .. وكيف لاتكون مسؤوليتهم أمام الله ثم أمام ضمائرهم على ما وصل الإسلام إليه من شقاء وذلة وهوان وكل ما يتذوقون من أشكال العسف والهوان والازدراء من أعداء الله.

رابعاً : مسؤولية علماء الإسلام :

قبل أن ندخل في الحديث عن علماء الإسلام ودورهم في حفظ الدين وقيام الحق وإرشاد العامة من المسلمين، لابد لنا وأن نتحدث عن واجب ومن واجبات الإسلام على كل مسلم عامة، وعلى علماء الإسلام خاصة وهو:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ولنترك الحديث لرجل عاش تجربة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقدم رأسه في سبيل الله تعالى شهيداً إن شاء الله: (والإسلام يوجب على المسلم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وذلك لقوله تعالى: "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون" آل عمران104 ، وقوله: "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر" آل عمران 110 ، وقوله: "والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر" التوبة 71 ، وقوله: "الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر"، وقوله: "كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون" المائدة. وقد جاءت أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنية لهذه المعاني ومؤكدة لها، من ذلك ما روى عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال في خطبة خطبها: (أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتأولونها على خلاف تأويلها "يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم" وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعلوا إلا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده) وقال صلى الله عليه وسلم: (لتأمرنّ بالمعروف لتنهونّ عن المنكر أو ليسلط الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم) وقال: "ما أعمال البر عند الجهاد في سبيل الله إلا كنفثة في بحر لجي، وما جميع أعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجي"، وقال: "أفضل الشهداء أمتي رجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك، فذلك الشهيد منزلته في الجنة بين حمزة وجعفر"، وقال: "بئس القوم لا يأمرون بالقسط، وبئس القوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر"، وقال: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذاك أضعف الإيمان".

---

[1] يقصد حكومات بلاد المسلمين.

[2] الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه – عبد القادر عودة.

والأمر بالمعروف هو الترغيب في كل ما ينبغي قوله أو فعله طبقاً لنصوص الشريعة الإسلامية، والنهي عن المنكر هو الترغيب في ترك ما ينبغي تركه أو تغيير ما ينبغي تغييره طبقاً لنصوص الشريعة الإسلامية ومن المتفق عليه أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس حقاً للأفراد يأتونه إن شاؤوا ويتركونه إن شاؤوا، وليس مندوباً إليه يحسن بالأفراد إتيانه وعدم تركه، إنما هو واجب الأفراد، ليس لهم أن يتخلوا عن أدائه، وفرض لا محيص لهم عن القيام بأعبائه، وقد أوجب الإسلام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لتقوم الجماعة على الخير، وينشأ الأفراد على الفضائل، وتقل المعاصي والجرائم فالحكومات تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، والجماعات تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، والأفراد يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وبذلك يستقر أمر الخير والمعروف بين الجماعة ويقضى على الفساد والمنكر بتعاون الجميع على البر والتقوى ومكافحتهم الإثم والعدوان، وهكذا يوجب الإسلام على كل مسلم عصيان الحكومات والحكام فيما يؤمر به من معصية الخالق، ويحرم الإسلام على كل مسلم أن يطيع قانوناً أو أمراً يخالف شريعة الإسلام، ويخرج على حدود ما أمر به الله، وهكذا يوجب الإسلام على كل مسلم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فيأمر بما أمر الله وينهى عما نهى الله، ويوجب الإسلام على كل مسلم إن رأى منكراً أن يغيره بيده كلما استطاع لذلك سبيلاً وإلا فبلسانه وقلمه، فإن لم يستطع فبقلبه (ولايكلف الله نفساً إلا وسعها) اهـ-عن كتاب الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه للشهيد عودة-.

ولئن كان هذا الواجب متوجباً في حق المسلمين عموماً. فهو أوجب في حق العلماء الذين آتاهم الله العلم ليبينونه للناس ولا يكتمونه، أوجب ومن باب أَولى، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب فقه الجهاد من الفتاوى الكبرى: (فالمرصودون للعلم عليهم للأمة حفظ الدين وتبليغه، فإذا لم يبلغوهم علم الدين، أو ضيعوا حفظه كان ذلك من أعظم الظلم للمسلمين، ولهذا قال الله تعالى: "إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون" البقرة 109، فإن ضرر كتمانهم عدى إلى البهائم وغيرها، فلعنهم اللاعنون حتى البهائم) ويقول: (فترك أهل العلم تبليغ الدين كترك أهل القتال للجهاد وترك أهل القتال للقتال الواجب عليهم، كترك أهل العلم للتبليغ الواجب عليهم، كلاهما ذنب عظيم، وليس هو مثل ترك ما تحتاج الأمة إليه مما هو مفوض إليهم، فإن ترك هذا أعظم من ترك أداء المال الواجب إلى مستحقه، وما يظهرون من البدع والمعاصي التي تمنع قبول قولهم وتدعو النفوس إلى نفوسهم وتمنعهم وغيرهم من إظهار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أشد ضرراً للأمة وضرراً عليهم من إظهار ذلك).

فماذا ياترى كان موقف علماء الإسلام اليوم في طول الوطن الإسلامي وعرضه مِن هذا الواجب، وكيف كان موقفهم من المنكر الأكبر وسبب كل المنكرات الأخرى ألا وهو استبعاد الحكم بشرع الله .. وكيف كان موقفهم من المخازي الأخرى من فساد وانحلال سياسي واجتماعي .. وكيف كان موقفهم من استلاب البلاد وملاحقة المسلمين وقتلهم وحرب الدعاة إلى الله .. وحتى لا يكون بحثنا مجملاً، نريد أن نحدد الأمور ونسميها بأسمائها وهذا يقودنا إلى تصنيف العلماء فهم أنواع شتى:

أولاً: علماء عاملون: وهؤلاء نفر أغنياء عن التعريف، فهم عالمون بأمر الله ودينه، قائمون بما أمر، وقفوا في وجه التيار بكل أشكال فساده الاجتماعي والسياسي وتعرضوا للطغاة فأمروهم ونهوهم، فلما لم ينتهوا فضحوا عوارهم، ونددوا بهم ودعوا لإسقاطهم، ونادوا بالعودة إلى تطبيق شرع الله، واستنكروا كل أشكال التسيب والبعد عن الله، فتعرضوا لبطش الطغاة "فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر" وهؤلاء قلة نادرة بين العلماء، والأندر منهم من جمع قوله إلى فعله فأمَر ونهى وجاهد قولاً وعملاً وهذا الصنف النادر هو ما يحتاجه المسلمون اليوم وبهم يكون قيام الدين، نسأل العزيز القدير أن يكثر في الأمة من أمثال هؤلاء فهم أمل الإسلام وطليعة عودة مجده.

ثانياً: علماء منافقون: وهؤلاء نقيض أولئك هم شر الأصناف وأصل البلاء، ادّعوا ولاء الله ورسوله والمؤمنين، وأبطنوا موالاة أعداء الله من الكفرة والمارقين والعملاء المجرمين فدعوا إلى السمع والطاعة لأولي الأمر .. أولي أمر ما هم منّا ولا نحن منهم، وباركوا أعمالهم، ودعوا الله لهم على المنابر ووصفوهم بصفات رفعوهم بها إلى مراتب أولياء الله الصالحين، وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من هؤلاء فقال: (أخشى ما أخشاه على أمتي منافق عليم اللسان)، وهم من وصفهم الله تعالى بقوله: (إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار) البقرة 175-176.

فعلوا كل ذلك لعرض من الدنيا قليل، منصب تافه، أو راتب مغري، أو وجاهة في الدنيا على حساب الآخرة، ولو كانوا آمنوا بها وحسبوا حسابها لما وقفوا موقفهم ولا فعلوا فعلتهم الشنعاء، والأنكى من ذلك أنهم لما قام عباد الله الصالحون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، انحازوا لصف الطاغوت، فاستنكروا فعل أولئك المؤمنين بل فسقوهم وكفروهم، فعلى طلائع الفداء الإسلامية أن تميزهم وتعرفهم وتصفهم في مصف أعداء الله لينالوا ما يستحقون، عليهم لعنة الله.

ثالثاً: علماء جهلة بدين الله: قد تبدو هذه التسمية غريبة، إذ كيف يوصف عالم بالجهل .. ولكنها تسمية على سبيل المجاز، فهم مصنفون بين العلماء لأنهم يرتدون الجبّة والعِمامة، ويطلقون لحاهم ان تفضلوا على الإسلام بذلك، ويزينون كلامهم بالآيات والأحاديث، وقد أتاهم الله بعض العلم الذي يتصدون به المجالس ويفتون الناس في أمر دينهم، وهم يتقنون غيباً أحكام الطهارة والنجاسة والحيض والنفاس .. ولا يعرفون من دين الله إلا الشعائر، وأحكامها وبعض أمور المعاملات ونظامها.. تجمّع الناس حولهم وعقدوا لهم الحلقات فأفرغوا الدين من روحه وحيويته فما تعرضوا لمعروف ولا منكر إلا أموراً لا ينكر إنكارها حاكم ولا تسوء الإشارة إليها ظالم، وحتى تلك الأبواب لم يتقنوا علمها وكثيراً ما يتفتون الناس بما يجهلون، وكما قال صلى الله عليه وسلم: (إن الله لايقبض العلم انتزاعاً ينزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم، اتخذ الناس رؤوساً جهّالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا) متفق عليه عن عبد بن عمرو بن العص. وأكثر ما يميزهم، حبهم للبهرجة وترأس الحلقات وكثير منهم واقع في البدع، ولا مانع لديه من المسير في مواكب السلاطين الفجرة. وهو كثير بين من يدعون العلم.

رابعاً: علماء ثقات معتزلون: وهم صنف من العلماء العارفين بدين الله آتاهم الله العلم وجمعوا إليه السلوك الحسن والتقى والسمعة الطيبة بين المسلمين، فهم محبوبون مسموعوا الكلمة، ولهم جماهير عريضة بين المسلمين، تفرغوا للعلم وطلبه وتدريسه وللتأليف والتصنيف والافتاء في أمور الدين –إلا ما كان له علاقة بالسياسة والحكم- وقد يخطب الحكام ودَّهم لاستمالتهم ولكنهم صامدون معرضون عن الإغراء والحمد لله، ولكنهم بالمقابل أعرضوا عن التكلم في مفاسد حكامهم إلا تعريضاً، ولم يتكلموا في أمر الشريعة ولم يتعرضوا للجانب السياسي الحركي منها لا قولاً ولا عملاً، وقد رضي الحكام منهم بهذا الموقف، وهم صنفان:

*عالم ساكت عن الحق خوفاً، وإيثاراً للسلامة: ومانديري مانقول لهؤلاء، أهكذا تنقلب الآية .. ترى هل يخشون الضر من الطواغيت هم أهون على الله من الجعلان.. ثم هب أن هناك ما يخشى أفلا يطمعون أن يأتيهم الضر في سبيل فتكتب في صحائفهم كما كانوا يزينون لنا.. أليسوا هم من أفهمونا ألاّ نخشى أحداً إلا الله وعلّمونا وفهّمونا قول الله تعالى: "فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين" آل عمران 175، "وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه" الأحزاب 37، "ويخوفونك بالذين هم من دونه" الزمر36، "الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً" آل عمران173، "فلا تخشوا الناس واخشون" المائدة 44 .. فلم هذه الخشية؟! أفلا يطمعون في قوله تعالى: "ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كُتِب لهم به عمل صالح، إن الله لا يضيع أجر المحسنين"

التوبة 120 عجيب!! إننا لنستحيي من أنفسنا نسوق هذه الكلمات ونوجهها لمن بهم فهِمْنا وبعِلْمِهم اتعظنا.. ولكنها ذكرى، وقد قال الله تعالى: "إن الذكرى تنفع المؤمنين" نريد أن نذكر علماءنا الأجلاء بتلك القصص الفياضة الرائعة التي طالما استعبروا بها عبرات الناس وأبكوهم وهم يتحدثون عن مواقف الصحابة والتابعين وعلماء الإسلام الأعلام في الثبات على الحق وتحمل الأذى والصداع بما أمر الله.. ألا هل من معتبر.. أما تطمعون بالسير على آثارهم وتقديم المثل الأعلى والقدون الحسنة لشعوب فقدت قدوتها إن كنتم لا تطمعون، فلتخشوا قول الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون كَبُر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون" ولتخشوا قول الله تعالى: "أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب، أفلا تعقلون"..

إنكم تعرفون أن الجماهير المسلمة تستشهد بسكوتكم، فمنها من يعتبره رضى وإقراراً بالواقع ومنها من يقول لو كان أحد حري بالكلام لكان فلان وفلان..

إننا ندعوكم سادتنا، ونسأل الله تعالى أن يلهمكم الصدع بالحق، ندعوكم لأن تكونوا أئمة المسلمين بالحق قدوة وعملاً على درب الجهاد والشهادة.. وإلا فلا حول ولا قوة إلا بالله، وياتعس أمةٍ الفاجر فيها جريء والثقة فيها عاجز.

* عالم سكت عن الحق يائس متأول: وهؤلاء الصنف من الأجلاء، شأنهم شأن الصنف السابق علماً وفهماً وتقىً وسلوكاً وسمعة طيبة، وهم يتجنبون الخوض في صدامات مع الحكام والخوض فيما يمس مصالح المسلمين السياسية لتأولات يتأولونها ويأس من واقع المسلمين المزري حتى ذهب البعض منهم إلى القول أنّا وصلنا آخر الزمان وفسد الناس وحكامهم ولن يفرج الله عن المسلمين إلا بمدد من عنده.. وذهب البعض إلى تعلقه بالمهدي، وراح ينتظره وإذا طلب منهم المتحمسون للدفاع عن الإسلام استفساراً عن تأولاتهم، بسطوا تأويلات هم مقتنعون بها لآيات وأحاديث تبرر موقف الانزواء. والحق أن من يفتش النصوص الإسلامية يستطيع أن يقف على بعض ما يبرر مثل هذه المواقف إذا إريد تأويلها على النحو الذي يتأولون، فمثلاً يضربون المثل بفساد المسلمين العارم ثم يقولون كيف يغير الله حالهم وهو يقول:"لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" والناس لا تغير ما بنفسها ولن يغير الله ما بها، ويتأولون حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوىً متبعاً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك ودع أمر العامة" وهذا واقع المسلمين اليوم، شح وهوى وإعجاب بالرأي.. فعلينا بخاصة أنفسنا.. والنجاة النجاة.. ويتأولون قوله صلى الله عليه وسلم: "ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الساعي.. إلى آخر ذلك وهم يرون المسلمين لا جماعة ولا إمام فيؤثرون السلامة، ويقولون نقلاً عن الحسن البصري من المأثور: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلف المرء نفسه ما لا يطيق وهذا الأمر مما لا يطيقون.. ولكن عندما تسألهم: فمَن للإسلام والمسلمين إذن، وكيف ستعود نهضة الإسلام، ومن للدفاع عن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان.. يقولون: ليس لها من دون الله كاشفة.. ويحيلون السائل إلى تزكية نفسه والحفاظ على دينه، ولولا أنهم في دينهم وعلمهم من الثقاة ولا نزكي على الله أحداً، لقلنا أنهم يجبنون كسابقيهم ولكن الظاهر والله أعلم أنهم يتأولون حسب رأيهم، ونلتمس لهم العذر ولا نقرّ موقفهم وهو في نظرنا أخذ بالرخصة في وقت كانوا أحرى الناس فيه بالعزيمة وضرب القدوة.

إن مصيبة الإسلام بعلمائه وأنواعهم وأشكالهم ليست جديدة، وهي عائدة لسنين طوال منذ عزل الإسلام عن حياة الناس كمحرك ودافع لهم نحو الحق ورفض الباطل وتحول إلى شعائر لا يفهمها حق فهمها إلا من رحم الله، وها نحن نرى آثار اخوتنا الدعة الذين عانوا مما نعاني من سكوت العلماء أو إعراضهم وشكَوا مما نشكوا.. وانظر إلى الشهيد عودة رحمه الله وهو ينادي في كتابه "الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه": (وعلماء الإسلام بهذا قد حالوا بين المسلمين والإسلام، لأنهم لم يبينوا لجماهير المسلمين حكم الإسلام في الاستعمار والمستعمرين، وحكم الإسلام في الحكومات التي تظاهر الاستعمار وتوالي المستعمرين،

فسكنت الجماهير إلى الاستعمار وأطاعت الحكومات التي تخدم الاستعمار، وضاع الإسلام بسكوت السادة العلماء ورضيت بضياع الإسلام وساعدت عليه، لأنها تعتقد أن علماء الإسلام لا يستكتون إلا على ما يتفق مع الإسلام ويرضى رب الأنام، إن علماء الإسلام أغمضوا، وأطبقوا أفواههم ووضعوا أصابعهم في آذانهم وناموا عن الإسلام، ولما يستيقظوا منذ عدة قرون، فنام وراءهم المسلمون وهم يعتقدون أن الإسلام في أمان وإلا ما نام عنه علماؤه الأعلام، إن علماء الإسلام ناموا عن الإسلام منذ زمن طويل، فما هاجموا وضعاً من الأوضاع المخالفة للإسلام، ولا حاولوا إيقاف حكم مخالف لأحكام الإسلام، وما اجتمعوا مرة يطالبون بالرجوع إلى أحكام الإسلام. لقد ارتكب الحكام المظالم، واستحلوا المحارم، وأراقوا الدماء، وانتهكوا الأعراض وأفسدوا في الأرض وتعدوا حدود الله، فما تحرك العلماء للمظالم، ولا غضبوا من استحلال المحارم، كأن الإسلام لا يطالب إليهم شيئاً، ولا يفرض عليهم فرضاً ولا يوجب عليهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (...) ونفذت القوانين الوضعية في بلاد الإسلام وهي تخالف أحكام الإسلام، وأدى تنفيذها إلى تعطيل الإسلام وإباحة ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله، فما انزعج العلماء لتحطيم الإسلام، ولا غضبوا لمستقبلهم وهم يطعمون ويلبسون ويعيشون على حساب الإسلام.. (..).. وانتشر الفجور والإباحية، وأنشئت الحانات والمراقص، ورخصت الحكومات الإسلامية للمسلمات بالدعارة، وجهر الناس بما يخالف الإسلام فانكمش العلماء واكتفوا بهز الرؤوس ومصمصة الشفاة..(..).. وكلما حزب الأمر إحدى الحكومات التي تبيح الخمر والزنا والكفر والفسق وتستبدل بحكم الإسلام أهواء الناس ونزوات الحكمام والأحزاب، وطال هذا الأمر بالمسلمين حتى ظهر لجمهرة من المسلمين أن ما نحن فيه من فسوق وعصيان هو الإسلام الصحيح، وكل ذلك بفضل علماء الإسلام وتهاونهم في إقامة أحكام الإسلام)[1] اهـ.
ترى بالله أليس حالنا هو حالنا، وعلماؤنا هم علماؤنا، فإلى متى؟!

نريد التوجه لعلماء الإسلام ونسألهم، ماذا تقولون غداً بين يدي ربكم إذا سألكم ماذا فعلتم بميراث محمد؟؟ صلى الله عليه وسلم، أليس العلماء ورثة الأنبياء؟ بماذا ستجيبون؟؟ قوموا فأجمعوا العلم إلى العلم، فامروا وانهوا، وليسمع من يسمع وليعرض من يعرض، اضربوا المثل الأعلى للمسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة.. إن ساحة الوطن الإسلامي اليوم مليئة بالعاملين للإسلام ونقصد من يريدون إعادة مجده، مستعدون للتضحية في سبيله، لكنهم غير عالمين بأحكام دينهم ذلك العلم الذي ينبغي، وغير مجتمعين تحت قيادة قدوة صالحة، وبالمقابل فإن هناك كثير من العلماء العارفين المخلصين القاعدين عن خدمة الإسلام والتضحية في سبيله. لدينا علماء ولدينا عاملون، وما قام مجد الإسلام إلا أيدي علماء عاملين، إلا بتضافر العلم والعمل قوموا فاجمعوا هذا لذاك وادفعوا إلى ساحة الجهاد والشهادة بهؤلاء المخلصين المتحفزين تحت راية علم وعمل،.. إنه بغيابكم عن ساحة العمل، تصدى له أنصاف العلماء وأرباعهم والجهلة من قادة المسلمين، فماعت الأمور وتسيبت وجرت على ما تعلمون، فإلى الله نشكو كما شكى عمر بن الخطاب رضي الله عنه: جرأة الفاجر وعجز الثقة..

فهذه هي حالنا وما نحن فيه، بسبب المستعمرين وغدرهم، والحكومات وجورها وجماهير المسلمين وأعراضهم عن دين الله

تم بتر الجزء الأسفل من الصفحة 35 لعدم وضوحها في النسخة الممسوحة بالماسح الضوئي. مع سطر من 36

كانت وماتزال جماعات من المسلمين هنا وهناك ظاهرة على الحق متمسكة به لا يضرها من خالفها، ولا من خذلها وبقيت على الرغم من الضعف تصدع بالحق وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.. وتتحمل كيد الظالمين، فكانت تظهر تارة بشكل حركات إصلاحية، وتارة في أشخاص باعوا أنفسهم لله فقاموا ينددون بالطغاة والطغيان ومازالت عظمة هذا الدين وقدسيته في نفوس

[1] كتب هذا الكتاب قبل خمسة وعشرين سنة، ولم يخطر ببال كاتبه رحمه الله أن زماناً سيأتي يفتي فيه كبار علماء الأمة بجواز احتلال أمريكا لبلاد الحرمين، ولم يخطر على باله أن يقوم في العلماء والدعاة من يتصدى للمجاهدين ويشهد على الحكام الكفرة بالإسلام ويواليهم ويعترف بهم ويجلس في برلماناتهم ووزاراتهم ويصدر البيانات تثبيتاً لكفرهم. فلا حول ولا قوة إلا بالله.

الغالبية الساحقة من أبناء المسلمين رغم أنها صورة مشوهة تحتاج إلى الكثير من الصقل والايضاح، بقيت هذه البقع من النور في تلك الدياجير تضيء وتتوهج كلما سمعت قول الله تعالى من آمرٍ بمعروف أو ناهٍ عن منكر، وبدأت مرحلة المخاض العسير، وعادت للإسلام حيويته على أيد دعاته المخلصين وطَفَت هذه الظاهرة على السطح الاجتماعي بأشكال شتى، فاقبال على المساجد ولاسيما من الشباب، وانتشار الكتاب والفكر الإسلامي وحركة نشطة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وخطب ومواعظ، وحركات وانتفاضات ومطالبة بتحكيم الشريعة الإسلامية هنا وهناك، ودعوات لنبذ الحلول المستوردة التي أثبتت إفلاسها. وفرضت هذه الظاهرة نفسها على الجميع، تلك التي اصطلح على تسميتها (الصحوة الإسلامية):

4- الصحوة الإسلامية إلى أين ؟

فإذا أردنا أن نستعرض مظاهر الصحوة الإسلامية التي يعيشها العالم الإسلامي وخاصة في السنوات الأخيرة فإننا نجملها فيما يلي:

أولاً: عودة الفهم الشامل للإسلام كنظام متكامل للدنيا والآخرة لدى كثير من الناس وزوال الغبش وسوء فهم الإسلام الذي ساد في الفترة الماضية ولاسيما في أوساط المثقفين.

ثانياً: انتشار المظاهر الإسلامية الحية بشكل ملحوظ كازدحام المساجد ؟؟؟ الجمع والدروس والمواعظ والندوات، وخاصة أن جل الآمين من الشباب وازدياد نسبة المتحجبات وبروز ظاهرة اللحى والالتزام في السلوكيات.

ثالثا: ظهور كتابات إسلامية على مستوى عال من الوعي الفقهي والحركي للإسلام وانتشار كتابات أخرى ملتزمة، في الأدب والفنون الأخرى وبأسلوب عصري مفهوم ومناسب.

رابعاً: انتشار هذا الوعي في الطبقات المثقفة والمتعلمة تعليماً عالياً.

خامساً: انتشار الكتاب الإسلامي والمجلة الإسلامية وظاهرة الإقبال على اقتنائها ومطالعتها.

سادساً: انتشار ظاهر تدخل الإسلاميين في السياسة وصدامهم مع الحكومات الجاهلية وبروز المطالبة بتحكيم الشريعة الإسلامية بدل أنظمة الحكم والقانون الوصفي الكافر.

هذه إجمالاً وما يتفرع عنها هي ما يمكن اعتبارها مظاهر لهذه الصحوة الإسلامية والتي تميزت بمميزات إيجابية وأخرى سلبية نلفت النظر إليها في تقييم سريع:

- الميزات الإيجابية للصحوة الإسلامية:

أولاً: الأصالة: إن هذه الظاهرة التي شغلت العدو والصديق ليست طفرة، وهذا ما يرهب أعداءها، فهي صحوة متأصلة الجذور ترتكز إلى جماهير عريضة، تحمل للإسلام كل حب وتقديس وإن كان بصورة غير واضحة، وتمتد أفقياً في طبقات شعبية متنوعة المستويات، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهي تعود للأيام التي شهدت سقوط الخلافة وبداية الغزو الصليبي للعالم الإسلامي، حيث مرت الحركات الإسلامية في تجارب شتى أكسبتها المران والأصالة.

ثانياً: قيامها على كوادر مثقفة ومعلمة: إن شباب الحركات الإسلامية على اختلاف طروحاتها وتصوراتها، هم رواد الصحوة الإسلامية وطلائعها، ومن الملاحظ بشكل لا يخفى أن هذه الكوادر الشابة هي كوادر مثقفة ومتعلمة، وصل معظمها إلى مستوى الدراسات الجامعية والاختصاصية في شتى العلوم مما يكسب هذه الصحوة بعداً أعمق في أوساط المثقفين والمتعلمين لاحتكاكهم بأبناء الحركة الإسلامية، ولهذا أثر كبير في التقدم النوعي، فضلاً عن الكمي الذي حازته هذه الصحوة المباركة.

ثالثاً: الوعي السياسي: لقد رافق امتداد الصحوة الإسلامية وعياً لا بأس به لبعد الإسلام السياسي، فهماً عميقاً لمشاكل المسلمين السياسية المعاصرة، إدراكاً لما يحاك على الإسلام وشعوبه من مؤامرات سياسية من قبل إعدائه التقليديين الصهاينة والصليبيين والملحدين الشيوعيين وفئات النفاق الوطني مما يكون له أكبر الأثر في معرفة الداء ووصف الدواء إن شاء الله.

رابعاً: طرحها لمواضيع حساسة كالحكم والجهاد: لعل أهم ما يدل على جدية هذه الصحوة الإسلامية، وفهمها العميق، إثارتها لأمور أساسية ذات ارتباط وثيق بمشاكل الإسلام المعاصرة فلم يعد النشاط الفكري والإعلامي مقتصراً على زوايا ضيقة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما يخص ظواهر الانحلال والفساد الاجتماعي، بل تعداه إلى النقد القائم على أسس شرعية لواقع المسلمين الاقتصادي والسياسي والثقافي... الخ

وبتحديد أكبر نقول: إن طرْق الصحوة الإسلامية لمسألة الحكم ولمن يكون شرعاً، وكيف يكون في بلاد الإسلام، وبهذا الشكل الجدي، هو تقدم نوعي يسترعي الانتباه والتقدير. إن هذه القضية وما تقتضيه من تعرض لأمور ريئسية، من احتلال جزء من بلاد المسلمين وتحدي حكامنا الكفرة لديننا وشعائرنا...الخ قاد إلى إحياء فكرة الجهاد. بشكل لم يسبق له مثيل من قبل، وهذه بداية وضع القدم على الطريق الصحيح إن شاء الله فما كانت مصائبنا إلا بالإعراض عن الجهاد والركون للدنيا وانفصال السياسة عن الدين فعلاً، وكما قال الصديق أبو بكر رضي الله عنه: ما ترك قوم الجهاد إلا ذلّوا.

- الميزات السلبية للصحوة الإسلامية:

أولاً: العاطفية: ولعلها أبرز مظاهرها السلبية، فإن الكبت الذي عاشه المسلمون، والظلم والقهر الذي ذاقوه على أيدي المستعمرين ومن ثم أذنابهم من الحكام المارقين وإفلاس كل الحلول المستوردة التي طالما لاكتها الجماهير من شيوعية واشتراكية ووطنية وقومية، بفعل دعاة السوء من المستشرقين والمستغربين من أبناء هذه الأمة المتشرذمين فكرياً، وظهور الطرح الإسلامي كحل لما تعانيه الأمة من مشاكل متشعبة، والأساس النفسي العاطفي الذي تكنه الجماهير لدينها والذي يتجلى بتقديسها لمبادئه دون فهم عميق، كل هذا جعل هذه الصحوة الإسلامية التي طفت إلى السطح واندفعت بعنف في المجتمعات الإسلامية، تتسم بالعاطفية بدل العمق والفهم المركز، ولعل من أبرز ما تجلت فيه آثار هذه العاطفية هو اندفاع الجماهير في تأييد الثورة الشيعية المتعصبة لروافض إيران، وسنفرد لبيان هذا فقرة مقبلة إن شاء الله، لقد كان ذلك الاندفاع جرياً وراء العاطفة الصرفة، بعد سماع شعار لا إله إلا الله، وفراراً من الهزيمة الروحية والنفسية التي عاشها المسلمون ويعيشونها إثر توالي النكبات عليهم[1]، ولا ننسى هنا أن نذكر الدور السيئ الذي لعبه قادة الحركات الإسلامية في هذا المجال، من الذين تميزوا بنفس العاطفة التي ربما نجد لها ما يبررها من عذر لدى العوام من المسلمين، ولكن من الصعب أن نقبل به عذراً لدى قادة يفترض فيهم العلم والتحقيق، ولقد كان هذا أثراً من آثار ابتعاد العلماء الحقيقيين عن الساحة.

ثانياً: تدني مستوى العلم الشرعي لدى جماهير الصحوة: كأمور العقائد والفقه والسلوك وهذا ملموس في الجماهير المسلمة المؤيدة للصحوة، وحتى في كثير من أبناء الحركة الإسلامية وهو أحد أسباب العاطفية بالطبع.

ثالثا: تدني مستوى التربية الروحية والدينية: إن هذه الصحوة التي تقدمت إلى حد ما في سوية الفهم السياسي والحركي لما أشكل من أحوال المسلمين، لم تتقدم بنفس السوية في إيجاد طبقة عريضة تتحلى بنفس المستوى على صعيد التربية والسلوك والروحانية الحقة، ويعود هذا للسلبية السالفة الذكر، إذ يمكن القول، أن كثيراً من القادة السياسيين للحركة الإسلامية يتصفون بهذه الخاصة

---

[1] كذلك برز هذا فيما بعد في التفاف حول الأمة حول صدام الكافر لمجرد رفعه لشعار الجهاد ولكلمة الله أكبر

وهي تدني مستوى العلم الشرعي والتربية الروحية الإسلامية، فإن جلهم من الحركيين السياسيين وقليل منهم كان عالماً محققاً ولذلك حققت الحركات الإسلامية بعض التطور في المجال السياسي والحركي وبقيت تعاني من القصور في ذلك الجانب الأساسي.

رابعاً: عدم الاستفادة من التجارب السابقة والافتقار إلى التكامل: فإننا نجد المسلمين وقد مروا بتجارب قيمة دفعوا فيها الدم وعانوا الآلام في بقعة من بقاع المسلمين، ثم تكررت المحنة ذاتها وسارت بنفس النهج دون أن يستفيد المسلمون من تجارب المنطقة الأخرى، والأنكى أن تتكرر نفس المصيبة في نفس البلد مرتان أو ثلاثة، ويعود الناس ليلدغوا من جحر طالما لدغوا منه وكأنهم لم يمروا بتجربة ولم يدفعوا ثمناً.. ويحقق المسلمون تقدماً في منطقة ما ويحقق آخرون تقدماً آخر في منطقة أخرى، ولا أحد يسعى إلى تكامل المعطيات والتجارب، كل هذا بسبب حالة التشرذم الكتلي الذي تحول في مستوى من المستويات إلى تشرذم حزبي ما أنزل الله به من سلطان على يد بعض قادة الحركات الإسلامية الأفاضل. هذه إجمالاً وما يتفرع عنها هي أهم الميزات السلبية للصحوة الإسلامية للصحوة الإسلامية في رأينا والله أعلم.

5- قيادات الحركة الإسلامية وأثر دورها في الصحوة:

الحركات الإسلامية بلا شك وقياداتها بشكل عام، هي رائدة الصحوة الإسلامية وطليعتها والدعامة الأساسية التي قامت عليها بما قدمته للمسلمين من مؤلفات ومناهج في المجال الفكري النظري، وبما قدمته من شهداء وضحايا، وما عانته من النكبات والمحن في المجال العلمي، وهي التي أخذت على عاتقها إعادة إفهام المسلمين دينهم بشموله وكماله وبعده الحركي والسياسي فضلاً عن بعده الديني والشعائري.

ونستطيع أن نقول: أن الشعارات والأهداف التي رفعتها تلك الحركات الإسلامية على اختلاف أسمائها وقادتها، تكاد تكون واحدة إجمالاً، هي العمل على إقامة الحكم الإسلامي وإعادة مفاهيم الجهاد والحض عليها، وإيجاد مناهج تربوية للرقى بأفرادها إلى سوية مناسبة لتلك الطروح، وهنا افترقت الأساليب والتصورات والحلول، وإن لم يكن إلى حد كبير، وتكاد لا تخلو بلد إسلامية من دعاة وحركات تسعى للبعث الإسلامي وتعمل على بث الوعي واستنهاض الهمم في نفوس المسلمين لإعادة مجد الإسلامي، ولقد كان لتلك الايجابيات التي حققتها تلك الحركات الإسلامية على يد دعاتها المخلصين وأبنائها الذين تحلوا بالفدائية والتضحية والإقدام، وقدموا في مواطن شتى أمثلة تذكر بجيل الصحابة والتابعين الأوائل في نصاعتها.. كان لذلك نتائج أصبحت ملء السمع والبصر.

إلا أن الملاحظ بوضوح، أن كثيراً من الحركات الإسلامية مالت في طروحاتها ونهج قادتها بالذات في السنوات الأخيرة لتسير في خط بياني لا يناسب تلك التجربة الفذة الزاخرة، فظهرت بوادر شاذة يمكن القول أنها تجاوزت أحياناً في انحرافها الحد المعقول، لتسجل تباعداً قياسياً عن الأهداف والمبادئ والشعارات المرفوعة من قبل رجال الحركة الأوائل في نظافتها ووضوحها على مستوى الطروحات الفكرية والتصرفات العملية والتجاوزات الشخصية من أشخاص قيادات الدرجة الأولى وإننا إذ نتعرض لنقاط من هذا القبيل، نسجل أن ذلك من باب النقد البنّاء إن شاء الله، وحرصاً على صرح مجيد هو ملكنا جميعاً من أن تعبث به ا÷واء فردية وتسوقه في متاهات شتى، وإعلاناً لموقف ننطلق به من عقيدة الإسلام الغراء إن شاء الله. ولا نملك إلا أن نقول كما علمنا ربنا سبحانه: "والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم" الحشر10.

- ظواهر سلبية في دور قادات الحركة الإسلامية: تجلت هذه الظواهر السلبية في تصرفات ومواقف وبوادر شتى يمكن إجمالها في النقاط التالية:

- موقفها من قضية الحكم والحكومات الجاهلية.
- التجاوزات السياسية على حساب الشرع.
- التشرذم والانقسامات الحزبية.
- فقدان القدرة على الردع.
- الوقوف سلباً في وجه الانتفاضات الجهادية. فإلى هذه الأمور واحدة واحدة:

أولاً: موقفها من قضية الحكم والحكومات: كانت الدعامة الأولى التي قامت عليها الحركة الإسلامية، والفكرة الرئيسية التي نذرت نفسها لإفهامها للمسلمين الذين نسوها هي أن الإسلام دين ودولة، مصحف وسيف، عبادة وعمل وجهاد.. كان هذا ما تربت عليه عناصرها وفق مناهج مستفيضة مفصلة دعت لها وحضت عليها. وعبر هذه الهوية عرفتها قواعدها وعرفتها جماهير المسلمين كما عرفها أعداؤها وأدركوا خطرها، وفزعوا إلى حربها.

إلا أن توالي الأيام، وخاصة في العقدين الأخيرين، أبرز مواقف لا تتفق وتلك الطروحات ولا تتناسب مع الراية المميزة التي رفعتها للقضاء على حكومات الردة وإعادة مجد الإسلام وحكومته.

- قضية الحكم: سجلت الحركة الإسلامية تراجعات كبيرة في موقفها من قضية الحكم في الإسلام، وعدم تبيان حكم الله فيه وفي الأنظمة القائمة بشكل واضح وقوي وصريح، وتجنبت ذلك في بلدان شتى بل وخطت لأبعد من ذلك عند الغالبية من قادة الحركات الإسلامية، فصرحوا أنهم لا يبتغون الحكم ولا يعملون له.. وإنما هم دعاة للإسلام، يبينوا أحكامه للمسلمين وينصحونهم، وبهذا الطرح غاب نهائياً الإعداد العملي والمبرمج لإقامة الحكم الإسلامي على أنقاض هذه الأنظمة الجاهلية العميلة، واستبعد هذا كهدف، وكان من الممكن أن يكون مقبولاً، لو أنهم وضعوا مخططات لإقامة النظام الإسلامي ولو امتدت لعشرات السنين، إلا أنه برزت نظرية دعاة لا قضاة، وعممت حتى شملت أموراً يحتم علينا فيها الإسلام (أن نكون قضاة لأننا دعاة)، وتفشت هذه النظرية وحملها بعض القادة الإسلاميين أكثر مما رمى إليه صاحبها رحمه الله، وبهذا كادت الحركة الإسلامية أن تتحول إلى مجرد حركة من جملة الحركات الإصلاحية الكثيرة التي نذرت نفسها للتربية ثم التربية.. إلى ما لا نهاية.

وفي هذا المضمار ظهر الاتجاه للاهتمام باصلاحات جانبية تخص مقاومة الفساد الاجتماعي والتحلل الأخلاقي كما ظهر الاتجاه لمقاومة التيارات الشيوعية واليسارية والأفكار الواردة الأخرى بشكل جعل الحكومات تستغل هذا الاتجاه لصالحها أحسن استغلال: وفي هذا يقول الدكتور عبد الله النفيسي[1]: (يريد اليمين السياسي أن يجعل العالم الإسلامي وصحفه ومجلاته ومؤسساته ومنظماته الطلابية وسيلة لتكريس أوضاعه السياسية المنحرفة تحت شعار اليسار الدولي، لذلك يبذل اليمين السياسي المرتبط بالكتلة الغربية جهوداً كثيفة لتوظيف العمل الإسلامي في مهمة التصدي لليسار الدولي وتضخيم مخاطره دون أن يسمح للعمل الإسلامي أن يحقق مكاسب فعلية وبعيدة الأثر لصالح مستقبل الإسلام كمنهج أممي مستقل عن العالم الرأسمالي) ويقول تحت عنوان تجريد العمل الإسلامي:

(يريد اليمين السياسي تجريد العمل الإسلامي من كل إمكانيات الاستمرار ومن كل إمكانيات الردع وذلك لتحقيق أكبر قدر ممكن من الانكشاف يسمح بضرب العمل الإسلامي في الوقت الذي تحدده مصلحة اليمين السياسي ومن يوجهونه خارج المنطقة، لقد نجح اليمين السياسي – سليل المنافقين – لفترة غير قصيرة في توظيف الدعوة إلى الإسلام لتكريس أوضاعه

---

[1] في السياسة الشرعية ص (153).

السياسية المنحرفة في غفلة من الدعاة)[1]. ويقول في اتجاه العمل الإسلامي لقضايا الإصلاح الاجتماعي دون السياسي والاقتصادي المتعلق بالحكم: (ومن الملاحظ أن العمل الإسلامي في صورته الحالية، قد طور قدراته ووظف الكثير من وقته لمعالجة قضية التحلل الاجتماعي، دون أن يعالج سياقها السياسي والاقتصادي الذي يتبدى على شكل نظام يجنح نحو الطغيان السياسي ويقوم وضعه الاقتصادي على معادلة غير متوازنة في توزيع الثروة، وبكل وضوح نقول: إن كل الجهود الحالية المبذولة في سبيل انتشال المجتمعات "الإسلامية" من تحللها الاجتماعي، لن تثمر إذا لم يباشر العمل الإسلامي في المهمة الحساسة والدقيقة وهي مواجهة مشكلة الطغيان السياسي ومشكلة سوء توزيع الثورة الحاصل بشكل مبتذل في العالم الإسلامي، ويجب أن يكون موقف العمل الإسلامي موقفاً كلياً شاملاً مستمداً من كلية وشول الإسلام، وهذا الموقف الكلي الشامل الذي نأمل أن يباشر به العمل الإسلامي إزاء قضايا العالم الإسلامي وجماهيره هو مفتاح مغاليق العمل الإسلامي مستقبلاً)[2].

إن هذا الاتجاه في الابتعاد عن قضية التصدي لقضية إقامة الحكم عملياً، ظهر أيضاً في العمل الفكري الصرف لإقامة الإسلام في صورة مؤلفات فقهية وشرعية وفكرية – تفتقر للاتجاه العملي في إقامة نظام الإسلام ولقد نبه الشهيد سيد قطب رحمه الله لهذا، فهو يقول: (إن العمل في الحقل الفكري للفقه الإسلامي عمل مريح لأنه لا خطر فيه ولكنه ليس عملاً للإسلام، ولا هو من منهج هذا الدين ولامن طبيعته وخير للذين ينشدون الراحة والسلامة أن يشتغلوا بالأدب وباللغة أو بالتجارة.. أما الاشتغال بالفقه الآن على ذلك النحو بوصفه عملاً للإسلام في هذه الفترة، فأحسب والله أعلم أنه مضيعة للعمر وللأجر أيضاً، إن دين الله يأبى أن يكون مجرد مطية ذلول، وخادم مطيع لتلبية مطالب هذا المجتمع الجاهلي الآبق منه، المتنكر له الشارد عنه، الذي يسخر منه الحين بعد الحين باستفتائه في مشكلاته وحاجاته، وهو غير خاضع لشريعته وسلطانه.

إن فقه هذا الدين وأحكامه لا تنشأ فراغ ولا تعمل في فراغ، وإن المجتمع المسلم الخاضع لسلطان الله ابتداء هو الذي صنع هذا الفقه، وليس الفقه هو الذي صنع ذلك المجتمع، ولن تنعكس الآية أبداً. إن خطوات النشأة الإسلامية ومراحلها هي دائماً واحدة، والانتقال من الجاهلية إلى الإسلام لن يكون يوماً ما سهلاً ولا يسيراً، ولن يبدأ من صياغة الأحكام الفقهية في الفراغ، لتكون معدة جاهزة يوم يقوم المجتمع الإسلامي والنظام الإسلامي، ولن يكون وجود هذه الأحكام المفصلة على الجاهز والناشئة في الفراغ هي نقطة البدء في التحول من الجاهلية إلى الإسلام، وليس الذي ينقص هذه المجتمعات الجاهلية لكي تتحول إلى الإسلام هو الأحكام الجاهزة، وليست الصعوبة في ذلك التحول قاصرة عن قصور أحكام الفقه الإسلامي الحاضرة عن ملاحقة حاجات المجتمع المتطورة.. إلى آخر ما يخادع به بعضهم ويندفع به بعضهم الآخر.[3]

صحيح أن بعض هذه الجهود الاصلاحية في المجال الاجتماعي، وهذه الجهود الفكرية والفقهية قد أثرت في إنماء الصحوة الإسلامية وأسهمت فيها، إلا أنه يبقى توجيه هذه الجهود لكي يقوم النظام الإسلامي على أنقاض هذه الأنظمة عبر عمل مبرمج وفاعل وشامل وإلا فمكاننا سنراوح، يقول عبد الله النفيسي في كتابه السياسة الشرعية: (هذا الاندفاع العام نحو الإسلام إذا لم يتم توظيفه سياسياً لصالح قضية الإسلام الأممي المستقبلي، فلن يحصد منه المسلمون إلا العرق والدم، هذا التزاحم في المساجد هذا الإقبال على الكتاب الإسلامي وهذا القلق المبارك على الدعوة وهذا الدعم الجماهيري المادي والمعنوي لحركة الإسلام.. كل هذا إذا لم تضبطه أهداف عامة، واضحة وصريحة ومعلنة ومؤصلة، وإذا لم يتمحور حول قضايا

---

[1] في السياسة الشرعية.
[2] المصدر السابق.
[3] فقه الدعوة في ظلال القرآن.

سياسية واجتماعية واقتصادية تعيشها الجماهير، قضايا تكتوي بها الجماهير تكون مدخلاً مناسباً إليها حوله وبالقرب منه يتم الطرح الإسلامي.

أقول إذا لم يحدث هذا فإننا نضيع فرصة تاريخية قد لا تتكرر هيأها الله لدعوته ولحزبه.

- الموقف من الحكومات: اختلف مواقف الحركات الإسلامية من الحكومات الجاهلية المرتدة في الشكل واشتركت كلها في أنها لم تقف الموقف الذي تمليه شعاراتها وأهدافها التي رفعتها وربت عليها قواعدها وجماهيرها ولقد ظهرت هذه المواقف في عدة أشكال أهمها:

1- دخول الحكومات الجاهلية والتعاون معها ومشاركتها في الحكم: وهذا ما فعلته بعض الحركات الإسلامية، زعماً منها أنها تريد الاستفادة من أجواء الديمقراطية المتاحة لقطع مرحلة تخدم الإسلام والمسلمين.. أما مواقف التمايز والمفاصلة وتبيان الجاهلية من الإسلام واستبعاد أنصاف الحلول التي تحدثت عنها.. فما هم من ذلك في شيء.. ولا ندري بماذا تسمى مثل تلك الحكومات المزيجة من الجاهلية والإسلام — وبقي الاخوة يبررون هذا بأنه سياسة تدرج وإفادة من الظرف، ومرحلة الخطوة خطوة.. واستطاع الاخوة أن يحققوا فعلاً بعض المكاسب الجزئية الحقيقية بتطبيق بعض الأحكام الإسلامية الفرعية وبحث موضوع تطبيق الشريعة في البرلمانات، والامتداد أفقياً في الجماهير، إلا أنها بقيت مكاسب محجمة بالخطوط الحمراء التي تسمح بها السلطات المرتدة نفسها، فهل كانت المكاسب على مستوى التراجعات النوعية التي كان أبرزها قبول الوجود في تلك الهيئات ومامدى شرعية هذا النهج.. وما مصيره حتى الآن[1].

2- دخول الحكومات الجاهلية بشكل غير مباشر: وهو أسلوب آخر مارسه ويمارسه الإسلاميون عبر مطالبتهم بتشكيل أحزاب على شكل معارضة.. يوصلون بموجب صلاحياتهم صوت الحق ويطالبون بتطبيق الشريعة..الخ.

وقد حصل هذا من قبل الحركات الإسلامية مؤخراً ولعل أبرزه ما فعله الإخوان المسلمون المصريون في الآونة الأخيرة بتحالفهم مع الأحزاب العلمانية، بعد أن فشلوا في الحصول على إذن من الطاغوت يرخص لهم بإنشاء حزب إسلامي إخواني سياسي كما يريد قادتهم، وشبيه به بل أسوأ منه ما فعله الإخوان المسلمون في سوريا بدخولهم التحالف الوطني مع الأحزاب المرتدة لمتابعة المعارضة والنضال ضد النظام الطاغوتي القائم في سوريا. ثم تطور ذلك للتحالف مع النصيرية أنفسهم ومع الشيوعيين!! والمتأمل في هذه الظاهرة يرى أن من أهم أسبابها أمران اثنان:

الأول: تسرب الأفكار الديمقراطية الغربية إلى رؤوس الكثير من قيادات الحركات الإسلامية واعتقادهم أن هذا طريق لتحقيق أغلبية إسلامية تؤدي إلى تطبيق الشريعة وقيام حكم الإسلام بطريق سلمي متحضر!!

والثاني: هو الهزيمة النفسية التي يعاني منها الإسلاميون بعد توالي النكبات وأعمال القمع والنكال عليهم من قبل الحكومات، طالما أنهم بقوا متمسكين بأصواتهم وهويتهم الرافضة المتميزة، ثم شعورهم بالعجز عن إمكانية التغيير عن طريق المجابهة نظراً للفاقة والضعف. ولقد انتشرت فكرة خبيثة على ألسنة العديد من رجال الحركة الإسلامية مفادها: أن حالة التبعية التي تعيشها بلاد المسلمين للكتل الكبرى الاستعمارية يجعل من المستحيل أن تقوم دولة مهما كان طرحها دون موافقة هذه القوى العظمى — خصوصاً أمريكا– عليها، وهذا يدعونا للدخول في تحالفات، أو اتخاذ أغطية علمانية تشعر هذه القوى أننا لسنا متطرفين كما

[1] من أوضح هذه الممارسات تجربة الإخوان في الأردن التي وصلت بهم لدخول البرلمان ثم الاشتراك بخمس حقائب وزارية في الحكومة من بينها وزارة العدل!! وزارة الحكم بغير ما أنزل الله.. وكان من ثمن هذه المكاسب التصريح بإيمان وإسلام الملك والجهر بولايته والوقوف معه.. وسلسلة من التنازلات المبدئية الخطيرة.

يحسبون، بل أصبحنا ديمقراطيين، أو وطنيين أو قوميين.. الخ وذلك بدخولنا في تلك الكتل الوطنية، وبالتالي يسمحون بوصولنا للسلطة وعندها سنطبق الإسلام لأن الغالبية العظمى من أبناء الشعب تفضله بعد الوعي الذي أحرزته بفعل جهود الدعاة.

والسؤال الذي نسأله بدورنا لهؤلاء السادة.. إذا كانت أمريكا لا توافق على قيام نظام إسلامي وروسيا كذلك وأذيال الشرق والغرب وكل شيطان رجيم فأين الله ... وهو سبحانه يوافق بل يقضي بقيامها ويناصر من يعمل على ذلك، وهو جل وعلا الذي أخبرنا عن الحال الوحيدة التي يرضى فيها أعداؤنا عنا فقال: "ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم" ثم يقول لنا في نفس الآية: "قل إن هدى الله هو الهدى" ويبين لنا جزاء اتباعهم (ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير) وهذا بالضبط ما وقع لهؤلاء الدعاة في محاولتهم إرضاء اليهود والنصارى وأذيالهم باتباع جزء من ملتهم واستيراد بعض أفكارهم الشوهاء كالديمقراطية والقومية حتى يقبلوا طرحهم ويرضوا عنهم. لقد تحقق لهم حتى الآن الجزء الموعود.. ما جاءهم من الله من ولي ولا نصير، ولو جاءهم لحققوا شيئاً وهم يرتكزون على أكثر من خمسين عاماً من عمر الدعوة والتجارب الإسلامية.

3- التجاوزات السياسية على حساب الشرع: وهذا أمر ملاحظ أيضاً، وتدخل تحته كل الانحرافات الفكرية التي دخلت رؤوس بعض القادة، وقد ظهرت هذه التجاوزات بفعل ما سمي المصلحة والضرورة، لقد كشفت هذه السلبية سوأة من سوءات الحركة الإسلامية وهي افتقار الكثير من قياداتها للفهم الشرعي والعلمي الإسلامي الأصيل، وكشفت أن الكثير منهم يحملون الكثير من العقائد الفاسدة. وسنضرب على هذا الأمر مثلاً مهماً وخطيراً لخطأ تردت فيه الحركة الإسلامية ومازال بعض رجالها في ترد مستمر، بعد أن تراجع الكثيرون، وهو تأييد الثورة الشيعية الرافضية الإيرانية، والانزلاق في مؤامرة التقريب التي نصب شراكها الشيعة الباطنيون، ولئن كنا نلتمس العذر لبعض رجال الحركة الإسلامية الأوائل أمثال الشهيد البنا ومصطفى السباعي رحمهما الله، ولبعض العلماء المسلمين الآخرين في دخولهم هذا الفخ بأنهم خدعوا بتقية الشيعة التي تبيح لهم أن يظهروا خلاف ما يظنون حتى مع المسلمين ولم يتح لبعضهم الوقت كي يعيد الحساب كالإمام الشهيد البنا حيث اغتيل بعد فترة وجيزة من تلك المحاولة وقد كان يأمل أن يفيء الشيعة لحظيرة الإسلام ويتخلوا عن انحرافات كتبهم الصفراء ولم يصدر عنه أي تصريح بسلب أو ايجاب في هذه المحاولة، وقد أتيح للآخرين أن يكتشفوا حقيقة الأمر كالشيخ السباعي رحمه الله، حيث صرح بالأمر وكتب كتاباً مهماً وهو (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي) فكشف عوار الشيعة وهدفهم وفهمهم لقضية التقريب.

إن كنا نلتمس العذر لأولئك مع اعتبارها زلةً بلا شك نتيجة العاطفة المخلصة في حب التجميع والحشد وتأليف القلوب، فكيف نلتمسه لمن جاء بعدهم ولدغ من نفس الجحر وانساق في تأييد ثورة أعلنت نفسها مذهبية متعصبة وبنص الدستور وتوالت مواقفها المخزية من الإسلام وأبنائه؟ ألم يكن قادة الإسلام يعرفون شيئاً عن الشيعة؟!! عن معتقداتهم عن خلافاتنا معهم في الأصول فضلاً عن الفروع؟! عن تقيتهم؟! عن باطنيتهم وعن تاريخهم الحافل بالكيد للإسلام والمسلمين؟ وماقصة ابن العلقمي ونصير الطوسي مع التتار بخافية على أحد، هل قرؤوا شيئاً من كتبهم وعرفوا شيئاً عن رجالهم؟! هل كانوا يعلمون بهم وأيدوهم أم كانوا يجهلون؟!

إن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

وإن كنا نلتمس العذر ثانية لمن أيد مخدوعاً أو جاهلاً، فما هو عذر البعض الذي مازال إلى هذه الساعة منساقاً في تأييد إيران وفي اعتبارها ثورة إسلامية؟ ومازال يدعو للتقريب معها بكل ما قدمته من دلائل على ما قاله فيهم علماؤنا الأوائل.. عجيب.. وحتى يكون كلامنا هذا مدعوماً بالأدلة عن تلك المواقف وحتى لا تسند القضية ضد مجهول فإننا نسوق بعض تلك المواقف التي

علم بها كل الناس، وكانت وراء سقوط قواعد الحركة الإسلامية كلها –إلا من رحم ربي– في تأييد إيران حتى تشيع البعض وتشكك آخرون وتاه فريق ثالث لا يدري ما يعتقد لولا أن رحمة الله تداركتهم...

يعدد أحد مؤيدي الثورة الإيرانية وهو الدكتور عز الدين إبراهيم في مقالة شهيرة له تحت عنوان (الشيعة والسنة ضجة مفتعلة)في مجلة الطليعة العربية الصادرة في لندن عدد صفر 1403 يعدد مواقف كبار قادة الحركة الإسلامية وشيوخهم في تأييد الثورة ودعوته للتقريب مع الشيعة، هذه المقالة التي طبعها الإيرانيون في كتيب مستقل ووزعوا مئات الألوف من نسخها في أنحاء العالم، وخصوصاً في أوساط الطلبة المسلمين في أوروبا، يقول الدكتور إبراهيم في مقالته داعماً رأيه بآراء زعماء الحركة الإسلامية من أهل السنة (وليس لدينا معلومات دقيقة عن الدور الخاص الذي قام به الإمام الشهيد في هذا الشأن – (والحمد لله وهذا يدعم ما أسلفنا) – ولكن أحد مفكري الإخوان المسلمين –الأستاذ بهنساوي– يقول في كتابه السنة المفترى عليها ص 57: منذ أن تكونت جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية والتي ساهم فيها الإمام البنا والإمام القمي والتعاون قائم بين الإخوان المسلمين والشيعة، وقد أدى ذلك إلى زيارة الإمام نواب الصفوي عام 1954 للقاهرة. (وفي كتابه الإسلام فكرة وحركة وانقلاب – يقول الاستاذ فتحي يكن بعد أن أعلنت ايران الشاه اعترافها بإسرائيل يقول ص 56: (لا بد للعرب أن يلتمسوا في إيران نواب وإخوان نواب لكن الدول العربية لم تدرك هذا حتى الآن، ولم تعلم أن الحركة الإسلامية هي وحدها التي تدعم قضاياه خارج العالم العربي، فهل لإيران اليوم من نواب) إذن الاستاذ يكن ينتظر نواب، فلماذا بالله تورمت أنوف واحمرت أنوف عندما جاء نواب ومن أعظم من نواب)[1].. (وقبل أن نترك الأزهر نستمع إلى الفتوى التي أصدرها بخصوص المذهب الشيعي وقال في جزء منها: (ان مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الاثنى عشرية مذهب يجوز التعبد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنة فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك وأن يتخلصوا من العصبية بغير حق.. فالكل مجتهدون مقبولون عند الله). (سبحان الله، أهذا هو أزهر الإسلام)[2].

ومن جماعة التقريب إلى موكب لا ينتهي من المفكرين الإسلاميين بندؤهم بالشيخ محمد الغزالي في كتابه (كيف نفهم الإسلام.. ص 145: فإن الفريقين يقيمان صلتهما بالإسلام على الإيمان بكتاب الله وسنة رسوله، ويتفقان مطلقاً على الأصول الجامعة في هذا الدين فإن اشتجرت الآراء بعد ذلك في الفروع الفقهية والتشريعية فإن مذاهب المسلمين كلها سواء في أن للمجتهد أجره أخطأ أم أصاب).. ويتابع: (عندما ندخل مجال الفقه المقارن ونعيش الشقة التي نجدها للخلاف الفقهي بين رأي ورأي، بين تصحيح حديث وتضعيفه نجد أن المدى بين الشيعة والسنة كالمدى بين المذهب الفقهي لأبي حنيفة والمذهب الفقهي لمالك والشافعي) اهـ[3]

ونترك المقالة في كلامها الطويل عن التقريب وننتقل معها للحديث عن موقف الإسلاميين من الثورة الخمينية الشيعية: يقول الدكتور إبراهيم: (كان هذا موقف بعض الحركات والقيادات الإسلامية من هذه الضجة المفتعلة) حول قضية الشيعة والسنة، أما الثورة الإسلامية الإيرانية التي اشتعلت مع مطلع عام 1978 فقد أيقظت روح الأمة المسلمة إلى طهران وقم وفي ذاكرتها انتصارات صدر الإسلام (...) هذه الجماهير التي تعبر عن بهجتها وفرحتها في شوارع قاهرة المعزّ[4] ودمشق الشام وفي كراتشي...

---

[1] يقصد الخميني امام الرافضة.

[2] ليس هذا من نص المقالة بل تعليق للمؤلف.

[3] (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً).. وهل الفارق بين أهل الحق أهل السنة وأهل الباطل من كفار الروافض كالفارق بين فقه إمامين عظيمين من أهل السنة، والمصيبة أن هذا المدعو بـ الغزالي مازال إلى أيامنا هذه ونحن في أواخر 1991 يدعو للتقريب ويشن حملته الضالة حتى من طهران وقم حيث بروزها داعياً للتقريب. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

[4] المعز لدين الله الفاطمي من أسرة العبيديين الذين حكموا مصر وهم فرقة شيعية ضالة كفرها علماء الإسلام، وتكلموا عنها. ولا يخجل المؤلف من نسبة القاهرة إليه، وهو الذي سفك دماء المسلمين واستباح ديارهم حتى ثاروا عليه وقتلوه.

- فمن ألمانيا الغربية كان الأستاذ عصام العطار أحد الزعماء التاريخيين لحركة الإخوان يكتب كتاباً كاملاً يتناول تاريخ الثورة وجذورها، يقف بجانبها مؤيداً ويبرق أكثر من ميرة للخميني مهنئاً ومباركاً ومؤازراً، وانتشرت أحاديثه المسجلة على أشرطة الكاسيت المؤيدة للثورة —كذلك قامت مجلت الرائد التي يصدرها بدور هام في تأييد الثورة وشرح موقفها.
- وفي السودان كان موقف الاخوان المسلمين، وموقف شباب جامعة الخرطوم (..)وسافر الدكتور حسن الترابي، زعيم الحركة في السودان والذي اشتهر بثقافته وحنكته السياسية إلى إيران حيث قابل الإمام معلناً تأييده للثورة.
- وفي تونس كانت مجلة الحركة الإسلامية (المعرفة) تقف بجانب الثورة تباركاً وتدعو المسلمين جميعاً لمناصرتها ووصل الأمر أن كتب زعيم الحركة الإسلامية هناك راشد الغنوشي في نفس المجلة مرشحاً الإمام الخميني لإمامة المسلمين.. ما أدى لإغلاق المجلة بعد ذلك واعتقل زعماء الحركة.
- أما في لبنان فقد كان تأييد الحركة الإسلامية للثورة من أبرز المواقف وضوحاً وعمقاً ووقف الأستاذ فتحي يكن زعيم الحركة ومجلته الفذة (الأمان) موقفاً إسلامياً ثورياً مشرفاً وزار الأستاذ يكن إيران أكثر من مرة.
- وفي الأردن أعلن الأستاذ محمد عبد الرحمن خليفة المراقب العام للأخوان المسلمين تأييده للثورة قبل وبعد زيارته لإيران، كما طالب زيد الكيلاني الملك حسين أن يتنكب طريقة (...) وأنشد الأستاذ يوسف العظم قصيدته الشهيرة والتي نشرت في أكثر من مجلة ومنها (الأمان) ودعا فيها إلى مبايعة الخميني قائلاً في نهايتها:

بالخميني زعيماً وإمام — هد صرح الظلم لا يخشى الحمام

قد منحناه وشاحاً ووسام — من دمانا ومضينا للأمام

ندمر الشرك ونجتاح الظلام

- أما في مصر فقد وقفت مجلة الدعوة والاعتصام والمختار الإسلامي إلى جانب الثورة مؤيدة إسلاميتها، ومؤيدة لها ولزعيمها)اهـ ثم يسرد أقساماً من مقالات رزق وغيره.
- ومن مصر إلى موقف التنظيم الدولي للإخوان المسلمين الذي وجه بياناً إلى المسؤولين عن الحركات الإسلامية في كافة أنحاء العالم وذلك أثناء أزمة الجواسيس الرهائي جاء فيه: (لو كان الأمر يخص إيران وحدها لقبلت حلاً وسطاً بعد أن تبينت ما حولها، ولكنه الإسلام وشعوبه في كل مكان، وقد أصبحت أمانة في عنق الحكم الإسلامي الوحيد في العالم الذي فرض نفسه بدماء شعبه في القرن العشرين لتثبيت حكم الله فوق حكم الحكام..) ويشير البيان إلى رؤية الثورة لمن يحاول أن يفت في عضدها في أنه أحد أربعة (إما مسلم لم يستطع أن يستوعب عصر الطوفان الإسلامي ومازال يعيش في زمن الاستسلام فعليه أن يستغفر الله ويحاول أن يستكمل نقص فهمه بمعاني الجهاد والعزة في الإسلام، وإما عميل يتوسط لمصلحة أعداء الإسلام على حساب الإسلام متشدقاً بالأخوّة والحرص عليها، وإما مسلم إمعة يحركه غيره بلا رأي ولا إرادة، وإما منافق يراهن بين هؤلاء وهؤلاء)اهـ.
- وعندما بدأ الغزو الصدامي لإيران المسلمة أصدر التنظيم الدولي للإخوان المسلمين نداء وجهه إلى الشعب العراقي هاجم فيه حزب البعث الكافر – على حد تعبير البيان – الذي قال فيه: (ثورة .. تحت قيادة إمام مسلم وهو بلا شك فخر للإسلام والمسلمين...) ثم ينادي الشعب العراقي (اقتلوا جلاديكم فقد حانت الفرصة التي ما بعدها فرصة.. ألقوا أسحلتكم وانضموا إلى معسكر الثورة.. الثورة الإسلامية ثورتكم).

- أما موقف الجماعية الإسلامية في باكستان فقد تمثل في فتوى مولانا أبو الأعلى المودودي التي نشرت في مجلة الدعوة – القاهرة عدد 29 آب 1979 حيث قال: (وثورة الخميني ثورة إسلامية، والقائمون عليها هم جماعة إسلامية وشباب تلقوا التربية في الحركات الإسلامية وعلى جميع المسلمين عامة، والحركات الاسلامية خاصة أن تؤيد هذه الثورة وتتعاون معها في جمبع المجالات..)[1]

تصوروا بالله هذه الآراء التي وصلت إلى حد الدعوة للانضمام للشيعة والحرب معهم واتخاذ إمامهم الرافضي المتعصب الذي سوى بين أئمته ورسول الله صلى الله عليه وسلم وفضلهم على سائر أنبياء الله ورسله، وكتب انحرافات لا تقل عن هذا في كتب معروفة قبل الثورة.. اتخاذه إماماً للمسلمين، ترى هل قرأ القادة والشيوخ وهم يؤيدونه تلك الكتب أم هي الهزيمة النفسية والروحية أمام الجاهلية؟ تركت أصحابها يجرون وراء أي سراب مخلّص، والآن وقد هدأت العاصفة.. لقد تراجع الكثيرون من هؤلاء.. وللأسف فقد كان تراجع الكثيرين منهم سياسةً أيضاً، لأن الشيعة خذلتهم، ولم تمد لهم يد العون ولم يكن هذا التراجع –إعلامياً– بحجم التأييد الذي اكتسح الشارع المسلم اكتساحاً وأضل ألوف الشباب، ومن المؤسف والمرير حقاً أنه وبعد كل هذا، تطلع علينا مجلة الدعوة العدد 105 تموز 1985، الناطقة باسم التنظيم الدولي للإخوان المسلمين في مصر بمقالة لعمر التلمساني يدعو فيها للتقريب مرة ثانية مع الشيعة[2].. عجيب.. ولله الأمر ولا حول ولا قوة إلا بالله (سنفرد في آخر الكتاب فقرة خاصة بقضية الشيعة إن شاء الله).

ثالثاً: التشرذم والانقسامات وظاهرة الحزبية:

إن قصور الحركة الاسلامية عن التطور المكافئ لقضاياها المعاصرة، وما طرحته من أهداف وما تبنته من مبادئ تقوم على التمايز والمفاصلة والهوية الإسلامية الكاملة وما ربت عليه قواعدها الشابة، أفرز ظاهرة عمت كل الحركات الإسلامية تقريباً، وهي ظاهرة التشرذم والانقسامات، فالقواعد التي تربت على أفكار ومبادئ معينة، ثم لم تلمس من قياداتها مواقف بناءة عملية تناسب تلك الأفكار، لم يكن أمامها بد من البحث عن الحلول وفق تصورات أخرى، فانشقت في جماعات جديدة وفق تصورات جديدة للحلول تستند إلى مبادئ قديمة إجمالاً كما أن أسباباً أخرى منها شخصية ولدت انشقاقاً أخرى.. ولم تخل هذه الظاهرة من نتائج شاذة.. ولقد برز هذا أكثر ما يكون حيث تتمتع الدعوة بتاريخ طويل كمصر وسوريا وغيرها من البلدان.

ولم تسر هذه الظاهرة في منحى طبيعي أيضاً، فظهرت الحزبية والتكتلات بين هذه المحاور، وتحولت أحياناً لحملات نقد ونقد معاكس، واتهامات واتهامات معاكسة أصبحت شكلاً من أشكال الحرب الباردة بين تلك الجماعات، تشغلها عن معركتها الأساسية وتنسيها سكين الجزار التي لا تفرق بين مسلم وآخر.

رابعاً: فقدان القدرة على الرعم:

كان من البديهي أن يدرك القائمون على حركات إسلامية ترفع مثل هذه الشعارات والمبادئ، أنها ستلاقي العنت والعداء والقمع وكل محاولات التصفية من قبل إعدائها (الأنظمة المرتدة) وكان عليها أن تحتاط لذلك وتتخذ من تجاربها السالفة الطويلة عبر السنين الطوال العجاف التي قضتها مع الطغاة، عبرة تجد فيها حلاً رادعاً لهؤلاء الذين استباحوا دماء الدعاة وأعراضهم وأموالهم، ونكلوا بهم وشوهوا سمعتهم وأفسدوا عليهم مخططهم الإصلاحي التغييري، والحق أ، هذا لم يكن غائباً عن فكر الدعاة الأوليين

---

[1] ذكر أن الأستاذ المودودي رحمه الله تراجع في آخر أيامه عن هذه المقولة فإن صحّ ذلك فهو ما نظنّه برجل خدم الإسلام طويلاً وإن لم فلا شك أنها كبوة جواد وزلة عظيمة غفر الله له.

[2] بل إن المرشد الحالي حامد أبو النصر وبعد ذلك بخمس سنوات أيضاً امتدح الشيعة في لقاء صحفي بعد أن حضر لهم مؤتمراً في إسلام أباد وأشاد بدور الإخوان في التقريب معهم.

للحركة الاسلامية المعاصرة، فقد أقام الشهيد البنا مثلاً الجهاز الخاص بعد ظهور بوادر المؤامرة في فلسطين، لحماية الجماعة في مصر والدفاع عنها ولقد كان هذا سبباً في اغتياله، ولأن كان الجهاز قد خرج عن دوره المعد له ولعب دوراً سلبياً.. فهذا لايعني خطأ الفكرة بقدر ما يعني الخطأ في تركيبة الجهاز ووجوب تلافيها، وقد عمد قدماء الاخوان في سوريا كذلك إلى التدريب على السلاح خلسة في أوائل الخمسينات تحسباً لمثل هذه الاحتمالات. كما دعا إلى ذلك الشيخ مروان حديد رحمه الله في عام 1969 عندما أرسل شبابه للتدريب تمهيداً لتأسيس الطليعة بعد أن اقتنع بعدم جدية الاخوان في موضوع الجهاد المسلح. وتدربوا على السلاح مع (فتح) في الأردن.

ولكن الأيام التالية، حملت استبعاداً لفكرة الإعداد العسكري والجهادي العملي بحجة أن هذا يعطي المبرر للطغاة لضرب الجماعة الإسلامية، وهذا عجيب، فالطغاة لا ينتظرون مثل هذه الحجة، وهذا ما أثبتته تجارب اخوان مصر في 1954-1965-1979... وتجارب السوريين في 1959-1965-1973... وفي تجارب التونسيين والجزائريين والمغاربة والأتراك وغيرهم علماً بأنهم جميعاً لم يرفعوا سلاحاً ولم يدعوا إلى حرب، والسبب واضح جلي معروف للدعة.. انها في المبادئ والراية والأهداف، وأمام الدعاة أحد أمرين.. إما التخلي عن مبادئهم وأهدافهم سواء بشكل مباشر أو غير مباشر عن طريق الصدع بالحق والدفاع عنه، ولكن الإسلاميين أهملوا الإعداد إلى حد كبير، وسلكوا طريق الصبر والدعوة وتحمل الأذى دون طائل، فما كف هذا الطغاة عن حربهم، بل أفقدهم القدرة على الردع وأغرى بهم العدو وأصبحوا غنماً تُساق للذبح وفق مشيئة الجزار.. وغيرهم هذا مازال الشعار هو الشعار (الجهاد سبيلنا والموت في سبيل الله أسمى أمانينا).. ولكنه غدا شعاراً فارغاً وأصبحت الدعوة طريق تربية وإصلاح، لا حركة تغيير جذرية... وإن كان الشعار يحمل السيف والمصحف.

خامساً: الوقوف سلباً في وجه الانتفاضات الجهادية الجادة:

لم تبد هذه الظاهرة بكل أبعادها بعد بشكل واضح كسابقاتها... إذ ان الذين يقفون وراءها من قادة ومفكري الحركة الإسلامية، ألبسوها ثوباً مزركشاً من العناوين النظيفة، منها الحفاظ منها على الدعوة، وعدم تعجل قطف الثمار، ومنها مقاومة طيش المغامرين، ومنعهم من العبث بالدعوة ومكتسباتها ودفعها للمذبحة واستطاعوا أن يخفوا عوار موقفهم هذا تحت عباءة التعقل والتريث والتخطيط السليم المتزن والبعيد المدى، وقد تدرج موقفهم هذا من الحركات والانتفاضات الجهادية في المناطق التي بدأت بذورها فيها مثل مصر وسوريا[1]عبر أربعة مراحل، بدت متكاملة في سوريا عبر التجربة الجهادية التي بيننا.. ولم تسر في مصر لنهاية الشوط لحداثة التجربة ومحدوديتها. هذه المراحل هي:

1- الاستنكار. 2- التبني. 3- الاحتواء. 4- الاجهاض.

1- الاستنكار: وهو أول مواقف هذه القيادة المعلنة تجاه أية بادرة من بوادر الجهاد الحق الفعلية، فحين يكون العمل في أوله ولا يكون له من الأنصار الواضحين مايدفع لتبنيه، ولا تكون أبعاده قد بانت بحث يطمع في قطف ثماره، وحين تكون السلطات الطاغية غير عارفة بمنفديه الحقيقيين وامتدادهم.. تنكر هذه القيادت عمل هؤلاء الشباب الطائشين الذين سيجرون العمل الإسلامي لمذبحة خاسرة، وتبرأ من عملهم. فتضمن بذلك عدم بطش السلطات بها على الأقل، ولا تنسى هذه القيادات أن تسخر إعلامها وتجر إعلام الاسلاميين معها إلى حملة الاستنكار والتشويه، وهذا ما حصل في ثورة الجهاد السورية وفي عملية الشهيد خالد الاسلامبولي الرائعة رحمه الله.

[1] خلال السنوات الأخيرة تبدت هذه المراحل في مقاومة قادة العمل الإسلامي لحركات الجهاد الشابة في العديد من البقاع كاليمن والجزائر والأردن أخيراً حيث أصدر الإخوان مؤخراً بياناً استنكروا فيه مبادرات جهادية تبدأ انطلاقتها في تلك الأرض المباركة.

2- التبني: عندما تكتسح الجماهير الإسلامية موجة عارمة من الرضى بالعمل الجهادي وتأييده وتنطلق الحناجر مؤيدة المجاهدين داعية لهم بالنصر، تسارع تلك القيادات إلى تبني العمل متناسية سابق تصريحاتها بطريقة فجة.. وبهذا تحاول الاستيلاء على مكاسب ذلك العمل الجهادي لصالح رصيدها الحاضر المفلس من كل أشكال المغامرة والتضحية منذ زمن بعيد، وتضع قدمها بذلك على أول طريق جني مكاسبه واحتوائه متناسية قول الله تعالى: "لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم" آل عمران 188. كذلك لا تنسى هذه القيادات أن تسخر إعلامها وجر إعلام الإسلاميين لخدمة هذا الهدف، فتنطلق نفس الصحف التي استنكرت العمل سابقاً إلى تبنيه والثناء على منفذيه ومنحهم ألقاب الشهادة والبطولة والسخاء.. وتستغل استغلالاً خسيساً سابقةً انتماء رجال هذه الحركات الجهادية الناشئة المتمايزة إلى صفوفها سابقاً حين كانت الحركة في مرحلة ما قبل التمايز.. وتتناسى أن هؤلاء الذين كانوا تلامذتهم حقاً في فترة من الفترات في مدرسة الحركة الإسلامبة قد انشقوا عنهم وأوجدوا لأنفسهم طريقاً يناسب فهمهم غير ذلك الطريق الهرم –هذا إن كانوا منهم أصلاً–

3- الاحتواء: إذا تضخم العمل الجهادي وكبر وامتد كما حصل في التجربة الوحيدة المعاصرة، (التجربة السورية) فإن تلك القيادات تستغل إمكاناتها الإعلامية والمالية وانتشار أنصارها وأعوانها في احتواء الجهاد والمجاهدين الذين يكونون في مرحلة استضعاف وفاقة، فتصرح تلك القيادات أنها تبنت العمل الجهادي مكرهة أو مختارة (حسب قناعة الشيخ المصرِّح) أو أن على المسلمين المجاهدين أن يوحدوا صفوفهم ويكونوا يداً على عدوهم –ألم يأمر الله بذلك– ولا ينسوا أن يدعموا طروحاتهم هذه بالآيات والأحاديث التي تحض على الاتحاد والالفة... ولما يتم لها تبني العمل وتصبح من ألمع الشخصيات وأهمها بفضل جهاد المجاهدين.. تقدم نفسها وكأنها صانعة الخطوات على طريق الجهاد المبارر مرسية أسسه مغفلة دور أولئك الذين عبدوا الطريق بأشلائهم ودمائهم.

4- الإجهاض: بعد أن تتمكن تلك القيادات من احتواء المجاهدين معتمدة في الدرجة الأولى على فاقتهم وثقتهم وسلامة طويتهم وحداثة تجربتهم وتسليمهم لهم كدعاة لا يتوقع منهم الكذب والخيانة.. تقوم هذه القيادة بالدعوة إلى قناعتها الأولى بعدم جدوى الجهاد العسكري وعقمه وفداحة خسائره وتحرف المسار الجهادي المتمايز للحركة، أو ترتكب أعمالاً تؤدي إلى إجهاضه.. وهنا تختلف التفسيرات في دواعي مثل هذا العمل وخلفياته.

هل أجهضت هذه القيادات انتفاضة الجهاد لأنها فشلت في قيادتها وإدارتها لبعدها عن هذا الطرح على صعيد النية والكفاءة؟ أم أنه لصراع مراكز القوى فيها والسعي للسمعة والزعامة؟ أم لأسباب أخرى بعضها ومخزي؟!

إن الدارس للتجربة الجهادية السورية كما أسلفنا يرى عجباً ويدهش ويصل لاحتمالات لم يكن يخطر على بال مسلم مجرد تصورها.. وهي التجربة والوحيدة التي خطت تلك المراحل الأربعة جميعاً كما بينّا في كتاب (الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا آلام وآمال).

أما تجربة الجهاد المصرية والتي كان من إنجازاتها إعدام الخائن أنور السادات فلم تسر إلى الآن حتى نهاية المطاف –ولا نعرف عنها الكثير– سوى أن قيادات الإسلاميين صرحوا وعلى لسان كبرائهم باستنكارهم للعمل، بل ذهب مرشدهم العام في حينها –التلمساني– للقول أن السادات قتل مظلوماً وأنه لو كان يعلم بالحادث لأبلغ البوليس! ثم نفاجأ بصحفهم تحمل صور الإسلامبولي ورفاقه رحمهم الله جميعاً، وتنعتهم بنعوت الشهادة والبطولة!!.

هذه إجمالاً أهم السلبيات والمقاتل التي وقعت فيها الحركة الإسلامية المعاصرة وقيادتها — من وجهة نظرنا- ولمن أراد تبين مدى الانحراف الذي حصل في مسيرنا كحركة أصولية أن يقارن مؤلفات ومواقف جيلنا الأول الذي قضى معظمهم شهداء على الطريق كالبنا وقطب وعودة.. وبين طروحات المتأخرين ومواقفهم .. وسيرى إن كان ما حصل ويحصل مجرد تكتيك وتطور أم انحراف وردّة فكرية عن المبادئ، ولا أن نوغر الصدور ونفجر الحزازات بذكر الأسماء.. شخصيات وكتباً ومواقف.

وليت إخواننا طرحوا فكرهم من جديد باسم جديد وقدموه للناس على أنه تيار جديد وأمر آخر، ولكن الزعم أنه فكر الحركة الإسلامية وروح التجديد فيها، وتحت نفس الاسم والشعارات السابقة، فلا ثم لا.

. إن هذا التضارب حدا بالتلمساني رحمه الله — قسراً لأن يتبرأ من فكر سيد مثلاً وادعى أنه لا يمثل الإخوان المسلمين، إنما يمثل فكر كاتبه رغم أن قواعد الإخوان في طول البلاد وعرضها ومجلاتهم وإعلامهم تقتات على فكر الشهيد المعلم سيد رحمه الله وتتاجر بدمه.

إن المصيبة عظيمة في أولئك الذين يرفعون أنفسهم لمصاف تبني فكر سيد وعودة وإخوانهم ثم يقومون بتصرفات ومواقف وتحالفات هي الكفر المحض بميزان سيد...

نحن نعترف بل ونطالب، بأن متغيرات الزمان ومعطيات الواقع تقتضي التطوير وإن مشاكلنا اليوم تحتاج لتحرك استرتيجي وتكتيكي مختلف عن مشاكل البنا وسيد رحمهم الله.

ولكن يبقى هذا في نطاق الأسلوب والعمل، أما على صعيد الأصوليات فيبقى الثابت المستمد من ديننا الحنيف قاعدة انطلاق:

أما أن نعتبر تصريحاً مثل تصريح عدنان سعد الدين أحد قيادت زعماء الإخوان المسلمين في سوريا بأن: بعث العراقف اليميني العفلقي تميزه قيادات متدينة.. وأن الخلاف بيننا وبينهم موهوم.. فهذا انحراف وليس تطوير يقتضيه الظرف.. وقس على هذا عشرات التصريحات والمواقف من أغلب الكبراء في أكثر من بلد، ولابد من الإحراج، وكما قال سيد رحمه الله: (إن تبرئة الأشخاص لا تساوي تشويه المنهج). رحمك الله يا سيد.

6- سؤال يطرح نفسه:

إلام تعود هذه الانحرافات في اتجاه بعض قادة الحركة الإسلامية؟ إننا إذ نتتبع هذه الانحرافت وغيرها وحسب ما تسمح به هذه العجالة فإننا نرى أسبابها محصورة والله أعلم في أحد ثلاثة أوجه:

أولاً: أن هذه القيادات الإسلامية قد أنهكتها المحن المتوالية، وضربات الطواغيت وسجونهم فهزمت نفسياً وأدى هذا إلى أنها شاخت وعجزت عن مواكب التطور المتسارع المتناسب مع المد الإسلامي، فعجزت بالتالي عن وضع الخطط المناسب له، وتشبثت بالعمل الذي تديره، بل ورفضت التخلي عن مواقعها في القيادات لمن يقوم بهذا الأمر فانعكس هذا سلباً على النحو الذي رأينا.

ثانياً: إن هذه القيادات عجزت عملياً عن إعطاء المثل العملي والواقعي في التضحية والفداء لما رفعت من شعارات، وجبنت عن تكاليف الطرح وبذل الأرواح وتحمل المشاق ولم تعترف بهذا.. ولم تتخل عن قياداتها لمن يقوم بالأمر وبررت ذلك بأعذار واهية من ضرورة التعقل والتريث والتخطيط السليم.. ووصفت كل خروج عن نهجها بأنه طيش وجرّ إلى المذبحة، فانعكس هذا سلباً على النحو الذي بيننا.

ثالثا: – ونرجو الله من كل قلوبنا ألا يكون كذلك — أن القوى العالمية ومخابراتها وأجهزتها الامبريالية والماسونية، قد استطاعت تحديد عمق المد الإسلامي، وأدركت خطورته وأن المارد الإسلامي لا بد وأن يتحرك، وأن ينفجر الشباب المسلم في حركات جهاد

وفداء قد تستولي على أجهزة الحكم في البلاد الإسلامية، ولن يكون من المجدي دخول الصدام معهم.. فعمدت إلى حل أسهل وأخبث وهو التسلل إلى قلب هذه الحركات عن طريق زرع أشخاص عملاء لها ودفعم لسدة القيادة بالطريق المعتمدة لدى هذه الأجهزة الامبريالية، أو بشراء ضمائر آخرين بشكل أو بآخر، مما أدى إلى حرف سفينة الحركة الإسلامية وإبطال فاعليتها. فبرزت بشكل تصرفات وطروح عجيبة. وليس من الضروري أن زراعة العميل لقاء شرائه بالمال أو غيره، لقد تطورت أساليب زراعة العملاء إلى إيجاد نوع منهم لا يدري أنه عميل.. لقاء اشباع اتجاهات لديه يدفعه بها أعداؤنا إلى ما يريدون. ويلفت هذا الاحتمال النظر إلى سؤال طالما طرحناه في دائرتنا مثلاً: لم تستمر في قيادة الحركة الإسلامية في سوريا رجالات أصبحت بفشلها وانحرافها مرفوضة قاعدياً؟! هل هو العجز عن استبدالها أم أنها مفروضة علينا؟! .. والله أعلم.

وهنا يأتي دور السؤال العريض الذي طالما رددته وتردده حناجر المخلصين لهذا الدين (ماالحل؟؟ وكيف الخلاص؟؟)

وقبل أن نحاول الإجابة على هذا السؤال المصيري –من وجهة نظرنا– والله هو العليم، لابد وأن نقدم لذلك بالحديث عن أمر ذي أهمية كبيرة لإيضاح منطلقات الجواب على هذا الأمر المصيري. ألا وهو قضية الحكم، وحكم الدار التي نحن فيها الآن، وحكم الإسلام في حكامنا الحاليين، وما يوجبه علينا فيهم.. وقضايا أخرى هامة في هذا السياق.

7– الحكم قضية المسلمين الأولى: إن من المسلم به عقلياً ومنطقياً، أن يحدد الداء قبل وصف الدواء، وأن يعرف جرثوم المرض الأساسي وأن ننصرف لعلاجه بدلاً من أن نتوجه لعلاج كل عرض من أعراض المرض على حدة.. ومما لاشك فيه أن الجرثوم القاتل الذي ما فتئ يعلم في جسد الأمة ويسفر عن كل تلك الأزمات الفرعية من ذلك واندحار وهوان وفقر وفساد اجتماعي وسياسي واقتصادي هو (غياب الحكم بما أنزل الله) وخضوع المسلمين للحكم بأنظمة شتى من صنع البشر. ولاشك أن هذا الوباء الذي مازال ماكثاً في بلاد المسلمين يتمثل في حكام وحكومات مارقة عن دين الله، مازالوا يصرون على استبعاد شرع الله عن الحكم في بلاد تدين الغالبية الساحقة من أبنائها بالإسلام، ولابد لنا قبل أن نتصدى لقضية الحل من تشخيص الحال التي نحن فيها.. ومن أهم الأسئلة المطروحة بثقل.. ما حكم الدار التي نحن فيها، هل هي دار إسلام، وبالتالي دار سلم.. أم دار كفر وبالتالي دار حرب وهذا يجر سؤالاً آخر، ما حكم الحكام المتسلطين على رقاب المسلمين.. أكفار هم أم مجرد حكام مسلمين ظلمة متجاوزين لبعض شرع الله.. أم كما يزعم بعض المنافقين من علماء المسلمين فيهم.. مسلمون قائمون بشرع الله .. وقبل الخوض في هذه الأمور لابد من العودة إلى قول الله تعالى الفصل ودينه القويم في قضايا أساسية يرتكز إليها الجواب ولا محل فيها للأهواء باسم المصلحة والسياسة والضرورة... قضايا تنبع من صميم العقيدة ولابد من تبيانها علمها من علمها وجهلها من جهلها.. وفي السياق سنتعرض إلى أبواب هامة هي:

لمن الحكم والتحاكم.. مكانة السلطة الإلهية التشريعية في الإسلام.. حكم من تحاكم إلى غير كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم..حكم من لم يحكم بما أنزل الله، أصناف الحكام من وجهة نظر الشرع الإسلامي. (وهذه الفقرات منقولة بكاملها –مع اختصارات طفيفة– عن كتاب (الحكم وتكفير المشرك) الذي قام مؤلفه رحمه الله[1] بجمع الأدلة وأقوال العلماء القدماء والمعاصرين في هذه القضية). نقلناها لأنها تفي بالغرض الذي نتوخى منه استنباط بعض الأحكام للإجابة على تلك الأسئلة بكل تحديد ومباشرة. وقد عمدنا إلى استنباط النتائج حسب ما بدا لنا بتيسير الله لأن الأخ نحى منحى متشدداً في الاستنتاج والله أعلم – رحمه الله تعالى وجزاه كل خير.

[1] هو الأخ أبو أسيد رحمه الله، أحد مجاهدي الطليعة المقاتلة، أُوفد إلى طرابلس لبعض مهام الاتصال، وشارك هناك في المعارك التي وقعت مع الشيوعيين مجاهداً إلى جانب إخوانه اللبنانيين واستشهد رحمه الله في (1985) وقد عرض هذا البحث الفقهي من الفقرة (8-12) على بعض أهل العلم جزاه الله خيراً فعلق على حاشيته وصحح فيها فأثبتنا تعليقهه بالحاشية كما أورده بالنص. لتتم الفائدة فيرجى أخذ هذا بعين الاعتبار.

8- لمن الحكم والتحاكم:

إن السلطة الحاكمة في هذا الكون –حسب الشريعة الإسلامية- ليست لأحد غير الله ولا يمكن أن تكون لأحد سواه، وليس لأحد غير الله ولا يمكن أن تكون لأحد سواه، وليس لأحد أن يكون له نصيب منها، قال الله تعالى: "ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض" البقرة107، وقال: "ولم يكن له شريك في الملك"، وقال: "له الحمد في الأولى ولآخرة وله الحكم وإليه ترجعون" القصص 70.

وقال: "إن الحكم إلا لله" يوسف 40، وقال: "لله الأمر من قبل ومن بعد" الروم4، وقال: "له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور" الحديد5.

وعندما يتحدث علماء الأصول فلا خلاف بينهم على أن الحاكم هو الله عز وجل يقول: الأستاذ علي حسب الله: "ولاخلاف بين المسلمين في أن الله تعالى يحكم على عباده فيأمرهم وينهاهم وأن العباد يجب عليهم أن يطيعوه، وأنهم يثابون بالطاعة، ويعاقبون بالمعصية" أصول التشريع الإسلامي ص979 ط دار المعارف. ومن توحيده عز وجل، أن يكون له وحده حق الحكم والتشريع يقول جل وعلا "ولا يشرك في حكمه أحداً" الكهف، يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسير هذه الآية: "قرأ هذا الحرف عامة السبعة ما عدا ابن عامر (ولاتشرك) بالياء المثناة التحتية وضم الكاف على الخبر ولا نافية والمعنى ولا يشرك الله جل وعلا أحداً في حكمه، بل الحكم له وحده جلا وعلا ولا حكم لغيره البتة، فالحلال ما أحله الله والحرام ما حرمه والدين ما شرعه والقضاء ما قضاه، وقراءة ابن عامر من السبعة ولا تشرك بضم التاء المثناة الفوقية وسكون الكاف للنهي أي ولا تشرك يا نبي الله، أو لا تشرك أيها المخاطب أحداً في حكم الله جل وعلا بل أخلص الحكم لله من شوائب شرك غيره في الحكم، وحكمه جل وعلا المذكور في قوله (ولا يشرك في حكمه أحداً) شامل لكل ما يقضيه جل وعلا ويدخل في ذلك التشريع دخولاً أولياً، وما تضمنه هذه الآية الكريمة من كون الحكم لله وحده لا شريك له في كلتا القراءتين، جاء مبيناً في آيات أخرى كقوله تعالى: "إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه" ،وقوله تعالى: "إن الحكم إلا لله عليه توكلت"، وقوله تعالى: "وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله"، وقوله تعالى: "ذلك بأنه إذا دعى الله كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا، فالحكم لله العلي الكبير"، وقوله تعالى: "كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون"، وقوله تعالى: "أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون"، وقوله تعالى: "أفغير الله أبتغي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً" إلى غير ذلك من الآيات (تفسير أضواء البيان ج10 ص292) على هذا الأساس تقوم ركيزة دولة التوحيد، يقول أبو الأعلى المودودي : "وهذا الأساس الذي ارتكزت عليه دعامة النظرية السياسية في الإسلام، أن تنزع جميع سلطات الأمر والتشريع من أيدي البشر، منفردين ومجتمعين، ولا يؤذن لأحد منهم أن ينفذ أمره في بشر مثله فيطيعوه، أو يسن قانوناً لهم فينقادوا له ويتبعوه، فإن ذلك الأمر مختص بالله وحده ولا يشاركه فيه أحد غيره كما قال عز وجل: "إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم" يوسف. وقوله: "يقولون هل لنا من الأمر شيء قل إن الأمر كله لله" آل عمران154، "ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام" النحل116، "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون" المائدة45، فهذه الآيات تصرح بأن الحاكمية لله وحده وبيده التشريع، وليس لأحد –وإن كان نبياً- أن يأمر وينهى من دون أن يكون له سلطان من الله، فالنبي لا يتبع إلا ما أوحى إليه (إن أتبع إلا ما يوحى إلي) وما فرض الله علينا طاعة نبيه إلا لأنه يأتينا بأحكام الله: "وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله) النساء64، "وما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون"آل عمران79.

فالخصائص الأولية للدولة الإسلامية كما يظهر من الآيات:

أولاً: ليس لفرد أو أسرة أو طبقة أو حزب أو مجموعة أو لسائر القاطنين في الدولة نصيب من الحاكمية فإن الحاكم الحقيقي هو الله، والسلطة الحقيقية مختصة بذاته تعالى وحده. والذين من دونه في هذه الدنيا إنما هم رعايا في سلطانه العظيم، فما عليهم إلا اتباع أوامره.

ثانياً: ليس لأحد من دون الله شيء من أمر التشريع والمسلمون جميعاً لا يستطيعون أن يشرعوا قانوناً[1] ولا يقدروا أن يغيروا شيئاً مما شرع لهم.

ثالثاً: إن الدولة الإسلامية لا يؤسس بنيانها إلا على ذلك القانون المشرع الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من عند ربه، مهما تغيرت الظروف والأحوال التي بيدها زمام هذه الدولة فهي – أي الحكومات– لا تستحق طاعة الناس، إلا من حيث أنها تحكم بما أنزل الله وتنفذ أمره تعالى في خلقه، ومن هنا تأخذ الحكومات شرعيتها). رسالة: نظرية السياسة للمودودي.اهـ.

وهذا يتفق مع بدهيات الأمور، فلماذا يكون من حق الله أن يتدخل في أمور عباده منفردين ولا يكون من حقه التدخل في شكل الدولة مع كونها الأهم..

فهل يعلم الله مصلحة الفرد وخيره وشره ولا يعلم مصلحة الجماعة وخيرها وشرها أو يبالي بأمره ولا يبالي بأمرها، وهذا المفهوم عن سلطة الله في الحكم هو تصور المسلم عن الإيمان بالله، فليس المقصود بالإيمان بالله، الإيمان بوجوده فقط، فذلك أمر من البديهيات التي لا تحتاج إلى نقاش في منظور الإسلام، فنحن نؤمن بوجود الحجر والشمس والقمر، كما نؤمن بوجود أعدائنا إيماناً لا شك فيه، ومن المقطوع به أن المقصود ليس الإيمان بالله إيماناً كهذا. فلقد سجل القرآن الكريم اعتراف المشركين بوجود الله حيث قال عز وجل: "ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله" الزخرف87، وقال: "ولئن سألتهم من نزل من السماء والأرض ليقولن الله" الزمر38، وقال: "ولئن سألتهم من نزّل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ليقولن الله، قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون" العنكبوت 63، بل سجل إخلاصهم في الدعاء وقت الشدة حيث قال: "فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون" العنكبوت65.

فتصور المسلم عن الإيمان بالله: أنه موجود، متصف بصفات الكمال، له الأسماء الحسنى وأنه وحده صاحب التشريع في هذا الكون، فمن أعطى لنفسه الحق في إيجاد منهج للحياة، أو التشريع، فقد أشرك وكفر بالله أساساً، واتخذ إلهه هواه حتى ولو ادّعى الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، لأنه يكون قد أعطى لنفسه حقاً لا يجوز إلا لله تعالى _وهو الحكم على العباد– ففرعون حين قال لقومه "ما علمت لكم من إله غيري" لم يرم من ذلك إثبات أنه هو الذي خلق الكون، أو أنه يستطيع أن يتصرف بالشمس والقمر والريح أو فيضان النيل، ولم تكن عبادة الناس له بهذا المعنى وإنما قصد أنه المطاع الوحيد فيهم بما له من سلطان، وأن كل المصريين كانوا يعرفون أن فرعون ليس له من أمر الكون شيء، وأنه ولد كبقية الناس، وكبر مثلهم، وأنه يستطيع أن يتصرف في الشمس أو القمر أو الريح أو غير ذلك، ولكنه أطاعوه فيما شرع فمن وضع نفسه من الأمة موضع فرعون هذا – موضع المشرع– فقد نصب نفسه إلهاً عليهم ومن أطاعه عن رضى فقد عبده من دون الله، وحديثنا عن ارتباط سلطة الله التشريعية بالإيمان يدعونا إلى حديث عن أهمية هذه القضية ومكانتها من الإيمان بالله وتوحيده.

---

[1] يستحسن أن يضاف بعد كلمة (قانوناً) عبارة يخالف الشريعة إذ من المتفق عليه أن الأحداث تتجرد ولا بد من اجتهاد العلماء لإيجاد الأحكام لها. والتشريع الذي أنكره الله هو المخالف لشرعه كما قال تعالى: (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) الشورى. فقيده سبحانه بقوله: (ما لم يأذن به الله) (المحقق).

9- مكانة سلطة الله التشريعية في الإسلام:

لقد تحدث الشيخ أحمد شاكر عن مُنْكِرِ حد مما شرع الله عز وجل وهو حد السرقة فقال: (المسألة عندنا –نحن المسلمين- هي من صميم العقيدة ومن صميم الإيمان فهؤلاء المنتسبون إلى الإسلام المنكرون لحد القطع أو الراغبون عنه سنسألهم: أتؤمنون بالله وبأنه خلق هذا الكون، فسيقولون نعم، أفتؤمنون أنه يعلم ما كان وما سيكون وبأنه أعلم من خلقه بأنفسهم وبما يصلحهم وما يضرهم، فسيقولون نعم أفتؤمنون أنه أرسل رسوله محمداً بالهدى ودين الحق، وأنزل عليه القرآن من لدنه هدى للناس وإصلاحاً لهم في دينهم ودنياهم، فسيقولون نعم. إذن فأنى تصرفون وعلى أي شرع تقومون..

أما من أجاب –ممن ينتسب إلى الإسلام- على أي سؤال من هذه السؤالات بأن لا فقد فرغنا منه وعرفنا مصيره، وقد أيقن كل مسلم من عالم أو جاهل أو مثقف أو أمي أن من يقول بشيء من هذا لا، فقد خرج من الإسلام وتردى في حمأة الردة. وأما من عدا المسلمين، ومن عدا المنتسبين إلى الإسلام، فلن نجادلهم في هذا ولن نسايرهم في الحديث إذ لم يؤمنوا بمثل ما آمنّا، ولن يرضوا عنا أبداً إلا أن نقول مثل قولهم وعياذاً بالله من ذلك) عمدة التفسير ج4ص146-147ط دار المعارف- اهـ.

ويتحدث شيخ الإسلام بالدولة العثمانية الشيخ مصطفى صبري عن صورة تطبيقية لتنحية شرع الله عز وجل، وهي فصل الدين عن الدولة فيقول: (والحق أن ترويج فصل الدين عن الدولة سواء كان هذا الترويج من رجال الحكومة أو من الكتاب المفكرين في مصلحة الدولة والأمة، لا يتفق مع الإيمان بأن الدين منزل من عند الله، وأن أحكامه المذكورة في الكتاب والسنة، أحكام الله المبلغة بواسطة رسوله) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين ج4ص294 ط عيسى الحلبي.

ولا يجتمع إيمان بالله وتحاكم إلى غيره، يقول عز وجل: (ولقد بعثنا في كل أمة رسول أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) ويقول: (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت، وقد أمروا أن يكفروا به، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً) النساء60. يقول الشيخ الشنقيطي عند كلامه عن شرك الطاعة: (وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم هذا لعدي بن حاتم رضي الله عنه عندما سأله عن قوله تعالى: "اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله.."الآية فبين له صلى الله عليه وسلم أنهم أحلوا لهم ما حرم الله، وحرموا عليهم ما أحل الله، فاتبعوهم في ذلك، وأن ذلك هو اتخاذهم إياهم أرباباً، ومن أصرح الأدلة على هذا أن الله عز وجل في سورة النساء بيّن أن من يريدون التحاكم إلى غير الله، يتعجب من زعمهم أنهم مؤمنون وما ذلك إلا لأن دعواهم الإيمان مع إرادة التحاكم إلى الطاغوت بالغة من الكذب ما يحصل منه العجب وذلك في قوله: "ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً" أضواء البيانج4ص82 ومابعدها.ط المدني. ويقول في موضع آخر بعد ذكره الآية السالفة: (وأشار أنه لا يؤمن أحد حتى يكفر بالطاغوت) بقوله: "فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى" ومفهوم الشرط أن من لم يكفر لم يستمسك بالعروة الوثقى، فهو بمعزل عن الإيمان، لأن الإيمان بالله هو العروة الوثقة، والإيمان بالطاغوت يستحيل اجتماعه مع الإيمان بالله إذ هو ركن منه كما هو مدلول قوله: "فمن يكفر بالطاغوت" الآية (أضواء البيان ج1 ط دار المعارف؟؟؟)

ولا بد أن يعرف الإنسان ما هو الطاغوت حتى يكفر به ويصير مؤمناً، يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب: (واعلم أن الإنسان لا يصير مؤمناً بالله إلا بالكفر بالطاغوت والدليل قوله تعالى: "فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم" مجموعة التوحيد ص 29 ط دار التراث العربي.

يقول عن صفة الطاغوت: (والطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله ورضى بالعبادة فهو طاغوت، من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت، ورؤوسهم خمسة: الأول: الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله، الدليل قوله تعالى: "ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين". الثاني: الحاكم الجائر المغير لأحكام الله، والدليل قوله تعالى: "ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت، وقد أمروا أن يكفروا به، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً". الثالث: الذي يحكم بغير ما أنزل الله، الدليل قوله تعالى: "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون". والرابع: الذي يدعي علم الغيب من دون الله والدليل قوله تعالى: "عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً"، وقال تعالى: "وعنده مفاتح لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين".

الخامس: الذي يعبد من دون الله وهو راضٍ بالعبادة. والدليل قوله تعالى: "ومن يقل منهم اني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين" مجموعة التوحيد ط.دار التراث العربي.

ويقول ابن القيم: (ثم أخبر سبحانه، أن من تحاكم أو حاكم إلى غير ماجاء به الرسول فقد حكم الطاغوت وتحاكم إليه، والطاغوت كل ما تجاوز به العبد حدّه من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة الله) اعلام الموقعين ج1 ص5.ط دار الفكر.

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: "بأن قوله تعالى: (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك)(4:6-62) قال العماد ابن كثير رحمه الله، والآية ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد به الطاغوت ههنا، ونقدم ما ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى في حده للطاغوت وأنه كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فكل من حاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأنزله منزلة لا يستحقها وكذلك من عبد شيئاً دون الله تعالى، فإنما عبد الطاغوت..)

وكذلك من دعا إلى تحكيم غير الله ورسوله فقد ترك ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، ورغب عنه وجعل لله شريكاً في الطاعة، وخالف ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أمر الله به في قوله: "وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك" وقوله تعالى: "فلا وربك لا يؤمنون[1] حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً" فمن خالف ما أمر به الله ورسول الله صلى الله عليه وسلم، بأن حكم بين الناس بغير ما أنزل الله وطلب ذلك اتباعاً لما يهواه ويريده فقد خلع ربقة الإسلام والإيمان من عنقه، وإن زعم أنه مؤمن، فإن الله تعالى أنكر على من أراد ذلك وكذبهم في زعمهم الإيمان لما في قوله تعالى:"يزعمون" ونفى إيمانهم، فإن "يزعمون" إنما تقال غالباً لمن ادعى دعوى هو فيها كاذب لمخالفته لموجبها وعمله بما ينافيها ويحقق ذلك قوله: "وقد أمروا أن يكفروا به، لأن الكفر بالطاغوت ركن التوحيد كما في آية البقرة فإن لم يحصل هذا الركن لم يكن موحداً، والتوحيد هو الإيمان الذي تصلح به جميع

---

[1] كلمة لا يؤمنون لا تساوي (يكفر) فلا يصح حملها دائماً على الكفر إلا بقرينة أخرى مثال: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" متفق عليه. مع تسمية قاتل العمد مؤمن "فمن عفا له من أخيه شيء" البقرة، "وإن طائفتان من المؤمين اقتتلوا" الحجرات، ففي الحديث السابق "أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم" مثال: وتقال (لايؤمن) للكافر كأهل الكتاب (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله) التوبة وكقوم هود (وما نحن لك بؤمنين) هود، ولذلك لا بد من تحديد المراد بنفي الإيمان هل كله أو بعضه وهذا يحتاج إلى قرينة أخرى. (المحقق).

الأعمال وتفسد بعدمه، كما أن ذلك بين في قوله تعالى: "فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى" الآية. وذلك أن التحاكم إلى الطاغوت إيمان به) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص 391السنة المحمدية.

ويعلق الشيخ محمد حامد الفقي على المقصود بالطاغوت فيقول: (الذي يستخلص من كلام السلف رضي الله عنهم، أن الطاغوت كل من صرف العبد وصده عن عبادة الله وإخلاص الدين والطاعة له ولرسوله، سواء في ذلك الشيطان من الجن والشيطان من الإنس والأشجار والأحجار وغيرها، ويدخل في ذلك بلا شك الحكم بالقواني الأجنبية عن الإسلام وشرائعه وغيرها من كل ما وضعه الإنسان ليحكم في الدماء والفروج والأموال ولبيطل بها شرائع الله من إقامة الحدود، وتحريم الربا والزنا والخمر وغير ذلك، مما أخذت هذه القوانين تحللها وتحميها وأمثالها في كتاب وضعه العقل البشري ليصرف به عن الحق الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، إما عن قصد أو عن غير قصد من واضعه فهو طاغوت) فتح المجيد ص282 هامش ط السنة المحمدية.

أما عن صفة الكفر بالطاغوت فيقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب: (فأما صفة الكفر بالطاغوت أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتكفر أهلها وتعاديهم) مجموعة التوحيد ص30. فمكانة سلطة الله التشريعية في الإسلام أنه ركن من أركان التوحيد، لا يتحقق التوحيد إلا بتحققه، ويتحقق بالكفر بالطاغوت، والطاغوت ليس له صورة واحدة بل يتعدد ويتكشل في صور عدة، فلا بد من الكفر به في أي صورة كان وهو في هذا الزمان جل تشخيصه في القوانين الوضعية، وواضعيها ومروجيها. فكان لكي يتحقق توحيد شخص ما، أن يعتقد بطلان هذا الطاغوت الجديد ويتركه ويكفر أهله ويتبرأ منه ومن أهله ويعاديهم، هذا ولا يغرنك قولهم (ان الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع، أو المصدر الأساس..)[1]فإنهاعبارة شركية.

لتضمنها وجود مصادر أخرى للتشريع غير الشريعة الإسلامية، حتى ولو كانت فرعية لأن هذا تحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ابتداء، فالله تعالى يقول مخاطباً رسوله صلى الله عليه وسلم: (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهوائهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك) المائدة49.

- ولتضمنها الرضى بمصدر غير الإسلام للتشريع، وهذا وحده كفر لأن الرضى بالكفر كفر وقد يقول قائل: إن الإسلام لا يمنع اللجوء لمصادر أجنبية في الأعمال المدنية التي ليس فيها تفصيل إسلامي ما لم يتعارض مع مبادئ الإسلام الكلية، ويقال له: إن هذا لو لم يبحه الإسلام لما كان مباحاً، فالإسلام هو المصدر الوحيد للتشريع، وهو من هذا الباب يوافق أو لا يوافق على مدى جواز اللجوء إلى مصادر أخرى تعمل من منطلقه، فالإسلام أعلى علواً وأسمى سمواً من أن يحدد أحدٌ مكانته الرئيسية أو الأساسية أو غير ذلك فهو الذي يضع مكانة المصادر والسلطات والأفراد، فتوحيد الله عز وجل لا بد أن يتضمن الاعتقاد بتوحيده كسلطة عليا وحيدة للتشريع وذلك حتى يتحقق الكفر بالطاغوت، والكلام الماضي بالنسبة لتحقيق ركن التوحيد بالكفر بالطاغوت ينتهي بنا إلى ذكر نصوص العلماء فيمن تحاكم إلى غير كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم أي نصوص العلماء التطبيقية فيمن تحاكم إلى الطاغوت وهي النقطة التالية.

10: حكم من تحاكم إلى غير كتاب الله:

ونصوص العلماء في ذلك كثيرة، وسنذكر إن شاء الله ما فيه كفاية لهذا الأمر، يقول الشيخ أحمد شاكر: (نرى في بعض بلاد المسلمين قوانين ضربت عليها نقلت عن أوربة الوثنية الملحدة وهي قوانين تخالف الإسلام مخالفة جوهرية في كثير من أصولها وفروعها، بل إن في بعضها ما ينقض الإسلام ويهدمه وذلك أمر واضح بديهي لا يخالف فيه إلا مغالط لنفسه، يجهل دينه أو

---

[1] هذه العبارة ترد في كثير من دساتير الدول المسماة إسلامية، كما وردت في ميثاق التحالف الوطني لتحرير سورية بين الإخوان المسلمين والأحزاب المرتدة. (المؤلف)

يعاديه من حيث لا يشعر، وهي في كثير من أحكامها أيضاً توافق التشريع الإسلامي أو لا تنافيه على الأقل، وقد وضع الإمام الشافعي قاعدة جلية دقيقة في نحو هذا، ولكنه لم يضعها في الذين يشرعون القوانين من مصادر غير الإسلامية فقد كانت بلاد الإسلام إذ ذاك بريئة من هذا العار، ولكنه وضعها في المجتهدين من العلماء المسلمين الذين يستنبطون الأحكام قبل أن يتثبتوا مما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة ويقيسون ويجتهدون برأيهم على غير أساس صحيح فقال في كتاب الرسالة رقم 178 بشرحنا وتحقيقنا: (ومن تكلف ما جهل وما لم تثبته معرفته وكانت موافقته للصواب إن وافقه من حيث لا يعرفه غير محمودة والله أعلم، وكان بخطئه غير معذور، إذا ما نطق في ما لايحيط علمه ما الفرق بين الخطأ والصواب فيه) ومعنى هذا واضح، إن المجتهد في الفقه الإسلامي على قواعد الإسلام لا يكون معذوراً إذا ما كان اجتهاده على غير أساس من معرفة وعن غير تثبت في البحث عن الأدلة من الكتاب والسنة حتى ولو أصاب في الحكم إذ تكون إصابته مصادفة، لم تبن على دليل، ولم تبن على يقين، ولم تبن على اجتهاد صحيح أما الذي يجتهد ويشرع على قواعد خارجة عن قواعد الإسلام، فإنه لا يكون مجتهداً ولا يكون مسلماً، إذا قصد إلى وضع ما يراه من الأحكام، وافقت الإسلام أم خالفته، فكانت موافقته للصواب من حيث لا يعرفه بل من حيث لا يقصده غير محمودة بل كانوا بها لا يقلون كفراً عمن يخالفون وهذا بديهي) مسند الإمام أحمد ج6ص303 ط.دار المعارف.

ويتحدث شيخ الإسلام بالدولة العثمانية (مصطفى صبري) عن نتيجة من آثر التحاكم إلى غير كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وصورة تطبيقية لذلك وهي فصل الدين عن الدولة فيقول: (لكن حقيقة الأمر، أن هذا الفصل مؤامرة بالدين للقضاء عليه وقد كان في كله بدعة أحدثها العصريون المتفرنجون في البلاد الإسلامية كيداً للدين ومحاولة للخروج عليه، لكن كيدهم في فصله عن السياسة أدهى وأشد من كل كيد في غيره فهو ثورة حكومية على دين الشعب في حين أن العادة أن تكون الثورات من الشعب على الحكومة، وشق عصا الطاعة منها -أي الحكومة- لأحكام الإسلام، بل ارتداد عنه من الحكومة أولاً ومن الأمة ثانياً، إن لم يكن بارتداد الداخلين في حوزة الحكومة تلك باعتبارهم أفراد فباعتبارهم جماعة، وهو أقصر طريقاً إلى الكفر من ارتداد الأفراد بل انه يتضمن ارتداد الأفراد أيضاً لقبولهم الطاعة لتلك الحكومة المرتدة التي ادعت الاستقلال لنفسها بعد كانت خاضعة لحكم الإسلام عليه)، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين ج4ص280 ط عيسى الحلبي. ويقول: (فإذا خرج عن الإسلام من لايقبل سلطة الدين عليه بالأمر والنهي وتدخله في أعماله حال كونه فرداً من أفراد المسلمين فكيف لا يخرج من لايقبل هذه السلطة وهذا التدخل بصفة أنه داخل في هيئة الحكومة) –المصدر السابق- وهذا طبيعي، فإن فصل الدين عن الدولة هي صورة للتحاكم إلى الكتاب والسنة في علاقة الإنسان بربه من صلاة وصيام وحج وغيرها من الشعائر ثم التحاكم إلى غير الكتاب والسنة في غير ذلك، فمن أخذ صلاته وصيامه وشعائره من غير الكتاب والسنة فهو بلا شك كافر، وكذلك من أخذ منهج حياته من مصدر آخر غير الكتاب والسنة فهو كافر أيضاً لأنه تحاكم إلى غير كتاب الله وسنة نبيه).

ويقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي بعد ذكر الآية "وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله": ويفهم من هذه الآية الكريمة أنه لا يجوز التحاكم إلى غير كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وقد أوضح تعالى مبيناً هذا المفهوم موبخاً المتحاكمين إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم مبيناً أن الشيطان أضلهم ضلالاً بعيداً عن الحق بقوله: "ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً" أضواء البيان ج1 ص92 ويقول: (ويفهم من هذه الآيات كقوله تعالى –"ولايشرك في حكمه أحداً" أن متبعي أحكام المشرعين غير ما شرعه الله أنهم مشركون بالله، وهذا المفهوم جاء مبيناً في آيات أخر كقوله فيمن اتبع تشريع الشيطان في إباحة الميتة بدعوى أنها ذبيحة الله "ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق، وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم

وإن أطعتموهم إنكم لمشركون" فصرح أنهم مشركون بطاعتهم، وهذا الاشراك بالطاعة واتباع التشريع المخالف لما شرعه الله تعالى هو المراد بعبادة الشيطان في قوله تعالى: "ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين، وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم" وقوله تعالى على لسان نبيه إبراهيم: "يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً"، وقوله تعالى: "إن يدعون من دونه إلا إناثاً وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً" أي ما يعبدون إلا شيطاناً، وذلك باتباع تشريعه، ولذلك سمى الله تعالى الذين يطاعون فيما زينوا من المعاصي شركاء في قوله تعالى: "وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم" الآية) ثم يقول بعد ذكره آية: ("ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت، وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً" يقول: وبهذه النصوص السماوية التي ذكرنا يظهر غاية الظهور أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على لسان أوليائه مخالفة لما شرعه الله جل وعلا، على ألسنة رسله، أنه لا يشك في كفرهم وشركهم[1] إلا من طمس الله بصيرته وأعماه عن نور الوحي مثلهم) أضواء البيان ج4ص83 ومابعدها. يقول الإمام القرطبي: (قال أبو علي: إن من طلب غير حكم الله من حيث لم يرض به فهو كافر) تفسير القرطبي ص3185 ط دار الشعب.

ويقول الإمام ابن تيمية: (ومعلوم بالاضرار من دين المسلمين وباتفاق جميع المسلمين أن من سوغ اتباع غير دين الإسلام أو اتباع غير شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر) الفتاوى الكبرى ج4 مسألة 515.

ويقول ابن كثير: وقوله "فلا وربك لا يؤمنون[2] حتى يحكموك فيما شجر بينهم" يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور مما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً) تفسير ابن كثير ج1 ط الحلبي ص 52 ويقول: ("وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله" فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال ولهذا قال الله تعالى: "إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر" أي ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم "إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر" فدل على أن من لم يتحاكم إلى الكتاب والسنة ولم يرجع إليهما فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر).تفسير ابن كثير ج1 ص518 الحلبي.

ويقول أيضاً: (فمن ترك التشريع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء، وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة فقد كفر، فكيف بمن تحاكم إلى الياسا وهو الياسق، -وسيأتي بيانه- وقدمه عليه، لاشك أن هذا يكفر بإجماع المسلمين) البداية والنهاية 13 ص119 مكتبة دار العارف.

بقيت نقطة وهي ما ذكره ابن حجر العسقلاني (ان معنى "لايؤمنون" في قوله تعالى"فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم" أي لا يستكملون الإيمان وفي هذا التخصيص يقول ابن حزم (هذا نص لايحتمل تأويلاً ولاجاء نص آخر يخرجه عن ظاهره أصلاً، ولا جاء برهان بتخصيصه في بعض وجوه الإيمان) الملل والنحل ج3 ص249 ط دار الفكر.

وقد عقب الدكتور عبد الله عزام على قول الإمام ابن حجر فقال: وهذا قول مردود من نواحي:

1- فهو مردود من الناحية اللغوية (...)

2- وهو مردود من الناحية الأصولية الفقهية (...)

[1] الآيات من قوله تعالى "ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا" ... إلى قوله تعالى: "فلا وبك لا يؤمنون" النساء. نزلت فيمن وجد مجالاً للتحاكم إلى الشريعة ثم عدل عنها باختياره. بدليل أنه ورد في سياقها "وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً" وهذا لا ينطبق على المسلمين في البلاد التي تعلوها الأحكام الوضعية الكفرية. إذ لا خيار أمامهم. ولهذا تفصيل في موضع آخر.

[2] كلمة (لا يؤمنون) لا تساوي الكفر الأكبر دائماً انظر الهامش ص 72. (المحقق).

3- وهو مردود من وجهة سياق الآية (...)

ـــــ تنبيه : هناك من فرق بين تحكيم النظام الشرعي، وتحكيم النظام الإداري مما لم يتعرض له الإسلام، يقول محمد نعيم ياسين: (إذا قام حاكم ينتحل الحق في إصدار تشريعات مناقضة لما هو ثابت بالكتاب والسنة يحلل ما حرم الله أو يحرم ما أحل الله سبحانه وتعالى كفر وارتد عن دين الله القويم، لأنه يعتقد أنه يسعه الخروج عن شريعة الإسلام بما يشرع للناس ومن اعتقد ذلك كان من الكافرين، ولكن هذا الحكم لا يدخل فيه التشريعات التي لم تتناولها نصوص الشرع، أو لم تتعرض لها، ولا الأحكام الاجتهادية التي اختلف العلماء فيها، فمن سن قانوناً يبيح الزنا أو الربا، أو أي شيء من المعاصي المتفق على حرمتها في شرع الله فقد كفر، ويكفر جميع من يسهم برضاه في إصدار مثل هذا القانون، ولكن لا يكفر من سن قانوناً، ينظم فيه السير مثلاً أو نحوه مما لم يتعرض له الشرع بالذكر، ولا يكفر من سن قانوناً ينظم فيه الأسعار، ولا يقال أن التسعيرة حرام لأن بعض العلماء لا يجيزه، وذلك لأنه أمر اجتهادي وقد قال به بعض الفقهاء) –الإيمان، أركانه نواقضه ص17.

ويقول الشيخ الشنقيطي: (اعلم أنه يجب الفصل بين النظام الوضعي الذي يقتضي تحكيمه الكفر بخالق السماوات والأرض، وبين النظام الذي لا يقتضي ذلك، وايضاح ذلك أن النظام قسمان، إداري وشرعي، أما الإداري الذي يراد به ضبط الأمور وإتقانها فقد عمل فيه الصحابة فمن بعدهم، وقد عمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه من ذلك أشياء كثيرة وأما النظام الشرعي المخالف لتشريع خالق السموات والأرض، كدعوى أن تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث ليس بانصاف... وأنهما يلزم استواؤهما في الميراث، وكدعوى أن تعدد الزوجات ظلم، وأن الطلاق ظلم للمرأة وأن الرجم والقطع وحشية لا يسوغ فعلها بالإنسان ونحو ذلك.. فتحكيم هذا النظام في أنفس المجتمع وأمواله وأعراضهم وأنسابهم وعقولهم وأديانهم، كفر بخالق السماوات والأرض وتمرد على نظام السماء الذي وضعه من خلق الخلائق كلها وهو أعلم بمصالحها سبحانه وتعالى عن أن يكون معه مشرع آخر علواً كبيراً...) أضواء البيان ج4 ص84.

11- حُكْم من حَكَمَ بغير ما أنزل الله:

إن أول ما يطالعنا في هذا الموضوع هو حكم الله عز وجل حيث يقول: "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون" المائدة 44. ويقول: "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون" المائدة 45. ويقول: "ومن لم يحاكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون" المائدة 47.

ولكن الشيطان سول لنفوس من العباد حتى جعل بعضهم يفهم الآية كأنها أنزلت ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم المسلمون... وعندما يأتي الشيطان من هذا الباب فإنه لا يأتي سافر الوجه، بل يقدم لهم أقوال الصحابة والتابعين أئمة المفسرين مزيناً لهم بذلك زيغهم عن الحق هذا وقد أثيرت حول هذا الموضوع عدة نقاط كان أهمها نزول الآية في اليهود أو غيرهم ثم صرف الآية وتأويلها بأن الكفر ليس مخرجاً من الملة بل كفر دون كفر وغير ذلك من الشبهات التي سنتعرض لها في حينها إن شاء الله وأول ما ندرس إن شاء الله هو فمين نزلت هذه الآية "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون" أو بأسلوب أدق على من تقع هذه الآية...

أ- رأى فريق من العلماء أن هذه الآية نزلت في اليهود وبعضهم قال في الكفار عموماً، جاء في أضواء البيان: (قال بعض العلماء: والقرآن العظيم يدل على أنها في اليهود لأنه تعالى ذكر فيما قبلها أنهم يحرفون الكلم عن مواقعه وأنهم يقولون (إن أوتيتم هذا فخذوه) يعني الحكم المحرف الذي هو غير حكم الله فخذوه (وإن لم تؤتوه) –أي المحرف- بل أوتيتم حكم الله الحق، فاحذروا، فهم يأمرون بالحذر من حكم الله الذي يعلمون أنه حق، وقد قال تعالى بعدها: "وكتبنا عليهم

فيها أن النفس بالنفس" فدل على أن الكلام فيهم، وممن قال بأن الآية في أهل الكتاب كما دل عليه ما ذكر – البراء بن عازب وحذيفة بن اليمان وابن عباس وأبو مجلز وأبو رجاء العطاردي وعكرمة وعبيد الله بن عبد الله والحسن البصري وغيرهم) أضواء البيان ج2ص21.

وقال الشيخ صديق حسن خان: (وقيل أنها مختصة بأهل الكتاب وقيل بالكفار مطلقاً لأن المسلم لا يكفر بارتكاب الكبيرة، وبه قال ابن عباس وقتادة والضحاك وقيل في خصوص بني قريظة والنضير وعن البراء بن عازب قال أنزلت هذه الآية في الكفار –أخرجه مسلم) تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن ج2ص21 نشر عبد الحي علي محفوظ. وقال ابن القيم: (ومنهم من تأولها على أهل الكتاب وهو قول قتادة والضحاك وغيرهما وهو بعيد وهو خلاف ظاهر اللفظ فلا يصار إليه) مدارج السالكين ج1ص33ط السنة المحمدية.

ب – ومنهم من رأى أنها نازلة في اليهود ولم يمنع عملها في المسلمين، قال ابن كثير: (قال الحسن: إن هذه الآية نازلة في أهل الكتاب، وهي علينا واجبة)، وقال عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم قال: (نزلت هذه الآيات في بني إسرائيل ورضي الله لهذه الأمة بها) تفسير ابن كثير.

وقال الشيخ صديق حسن خان: (وعن حذيفة بسند صحيح أن هذه الآيات ذكرت عنده ومن لم يحكم بما أنزل الله وأولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون .. فقال رجل إن هذه في بني إسرائيل، فقال حذيفة نعم الأخوة لكم بني إسرائيل إن كان لكم كل حلوة لهم وكل مرة كلا والله لتسلكن طريقهم قد الشراك، وعن ابن عباس نحوه..) فتح البيان ج3 ص30 انظر تفسير القرطبي

وقال الشيخ جمال الدين القاسمي في تفسيره: (وقال إسماعيل القاضي في أحكام القرآن: ظاهر الآيات يدل على أنه من فعل مثل ما فعلوه –يعني يهود– واخترع حكماً يخالف به حكم الله وجعله ديناً يُعمل به فقد لزمه ما لزمهم من الوعيد المذكور حاكماً كان أو غيره) تفسير محاسن التأويل ص 20 ط عيسى الحلبي.

ج– ومن العلماء من رأى أن (الكافرون) للمسلمين و (الظالمون) لليهود والفاسقون للنصارى. قال القرطبي: (وقيل الكافرون) للمسلمين و(الظالمون) لليهود و(الفاسقون) للنصارى، وهذا اختيار أبي بكر بن العربي، قال لأنه ظاهر من الآيات، وهو اختيار ابن عباس وجابر بن زيد وابن أبي زائدة وابن شبرمة والشعبي أيضاً) تفسير القرطبي ص2187. وقال الشيخ الشنقيطي: ("فلا تخشوا الناس واخشون ولاتشتروا بآياتي ثمناً قليلاً" ثم قال: "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون" فالخطاب للمسلمين كما هو متبادر من سياق الآية) أضواء البيان ج2 ص 92.

– وذكر بعض العلماء أن الآية عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله مسلمين أو يهود أو كفار، قال الشيخ صديق حسن خان: "ومن لم يحكم بما أنزل" لفظ (من) من صيغ العموم فيفيد أن هذا غير مختص بطائفة معينة بل لكل من ولي الحكم وهو الأولة وبه قال السدي، ثم يقول: (وقال ابن مسعود والحسن والنخعي هذه الآيات الثلاث عامة في اليهود وفي هذه الأمة، فكل من ارتشى وحكم بغير حكم الله فقد كفر وظلم وفسق، هو الأولى لأن الاعتبار بعموم الألفاظ لا بخصوص السبب) فتح البيان ج3 ص29 ويقول في موضع آخر: (هذه الآية نزلت في اليهود، ولكنها ليست مختصة بهم لأن الاعتبار بعموم الألفاظ لا بخصوص السبب، وكلمة (من) وقعت في معرض الشرط فتكون للعموم، فهذه الآية الكريمة متناولة لكل من لم يحكم بما أنزل الله، وهو الكتاب والسنة) فتح البيان ج3 ص30 وقال القرطبي: (وقيل فيه اضمار أي ومن لم يحكم بما أنزل الله رداً للقرآن وجحداً لقول الرسول

صلى الله عليه وسلم، فهو كافر، قال مجاهد فالآية عامة على هذا، وقال ابن مسعود والحسن هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين واليهود والكفار) تفسير القرطبي ص 2187.

وقال العلامة القاسمي تحت عنوان (تنبيهات): (الرابع ما أخرجه مسلم عن البراء أن قوله تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله) الآيات الثلاث في الكفار كلها وكذا أخرجه أبو داوود عن ابن عباس، أنها في اليهود خاصة قريظة والنضير، لاينافي تناولها لغيرهم لأن الاعتبار بعموم الألفاظ لا بخصوص السبب وكلمة (من) وقعت في معرض الشرط، فتكون للعموم) وقال أيضاً: ("ومن لم يحكم بما أنزل الله" أي كائناً من كان دون المخاطبية خاصة فإنهم مندرجون فيه اندراجاً أولياً). تفسير محاسن التأويل ص 1998.

مما سبق يتبين لنا:

أن الخلاف بين العلماء فيمن وقعت خلاف نظري لأنه لا خلاف بينهم أن الآية ولو كانت نازلة في الكفار عامة أو اليهود خاصة –على رأي من قال ذلك– فإنها عاملة في المسلمين وهذا يتفق مع المفهوم الإسلامي العام، فمن قال أن الآية عاملة في اليهود وليست عاملة في المسلمين كأنه يتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه يقول ولا يفعل فهو يقول لليهود إذا لم تحكموا بما أنزل الله فأنتم كافرون أما أنا فلا أكون كافراً إذا لم أحكم بما أنزل الله. أليس معنى هذا أنه صلى الله عليه وسلم تنطبق في حقه الآية: "أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون" حاشاه صلى الله عليه وسلم.

اللهم إلا أن يقال أيضاً، أن هذه الآية نزلت في أهل الكتاب، فيجوز للمسلم أن يأمر الناس بالبر وينسى نفسه، أو يجعل الرسول صلى الله عليه وسلم أقل شأناً من شعيب عليه السلام حين يقول لقومه: "ولا أريد أن أخالفكم لما أنهاكم عنه" إلا أن يقول أن هذا غير ملزم للرسول صلى الله عليه وسلم، فهو يجوز أن يخالف لما ينهى عنه –وحاشه صلى الله عليه وسلم– ونسي من يدعى أن الآية غير عاملة إلا في اليهود نسي أن قضايا العقيدة واحدة عند الأنبياء ولكن التشريع مختلف، يقول الله تعالى: "فبهداهم اقتده" ويقول: "لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً" وطاعة الله من العقيدة، ولم يؤمر بها اليهود وحدهم وإنما المسلمون مأمورون بذلك أيضاً، وإذا كان اليهود كافرين إذا لم يحكموا بما أنزل الله، فإن المسلمين يكونون أشد كفراً إذا فعلوا نفس الفعلة، فإنه إذا قلنا أنه لا يليق بطلاب المدارس أن يسيروا حفاة الأقدام فهو من باب أولى لا يليق بطلاب الجامعة، وذلك حاجة للنص عليه، فحين يقول الله تعالى لليهود: "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون" فبطريق اليهود ينطبق ذلك على المسلمين لأنهم أرقى من اليهود، والذي نرجع إليه هو نص القرآن بفهم العلماء ونص القرآن يقول: "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون". وخلاصة فهم العلماء للآية كما يلي:

1- فهم بعض العلماء أن الآية نزلت في المسلمين أو فيهم ضمن العموم، ومنهم ابن عباس كما ذكر ابن العربي وجابر بن زيد وابن مسعود والحسن –كما عند القرطبي وابن القيم– وابن أبي زائدة والسدي وابن شبرمة والشعبي وأبو بكر بن العربي والشنقيطي وصديق حسن حين خان والقاسمي وغيرهم.

2- من ذكر من العلماء أن الآية تنزلت في اليهود وأجراها في المسلمين ومنهم: ابن عباس ابن مسعود وحذيفة والحسن البصري والنخعي وإبراهيم وأبو سفيان الثوري وإسماعيل القاضي.

3- إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وكلمة (من) من صيغ العموم لأنها جاءت في معرض الشرط وإذا تبين أن الآية عاملة في المسلمين سواء كانت نازلة فيهم أو في غيرهم. انتقلنا إلى النقطة التالية.

12- أقسام الحكام:

الناظر في كلام العلماء، يستخلص أن الحاكم ينقسم بحسب حاله إلى أربعة أقسام رئيسية:

1- حاكم يحكم بشريعة الله عز وجل ينفذ كل أحكامها ولا يخرج عن شيء منها.
2- حاكم يحكم بشريعة الله عز وجل ولكنه لا يحكم بما أنزل الله في بعض القضايا عن اجتهاد خطأ.
3- حاكم يحكم بشريعة الله عز وجل ولكنه لا يحكم بما أنزل الله في بعض القضايا عن زيغ وهوى شخصي.
4- حاكم يحكم بغير شرع الله وهو ينقسم إلى
أ- حاكم يدعي أن هذا الشرع المخالف لشرع الله هو من عند الله.
ب- حاكم يعترف أن هذا الشرع المخالف لشرع الله من عند نفسه أو غيره ومن جمع ووضع البشر.

وحكم كل حاكم من هؤلاء عند العلما ء كما يلي:

1- فأما الأول فلا خلاف أنه مسلم عند جميع فرق وطوائف وعلماء المسلمين.
2- والثاني الذي لا يحكم بما أنزل الله في قضية معينة عن اجتهاد خطأ فهو مسلم مأجور أجراً واحداً بشرط أن يكون خطؤه في الفروع لا في الأصول، وأن يكون في حكم غير معلوم من الدين بالضرورة وأن يكون قد استفرغ جهده في الوصول للحكم، ولاخلاف في ذلك عند أهل السنة أيضاً.
3- والحاكم الثالث هو الذي وقع فيه معظم كلام السلف رحمهم الله وهذا الحاكم كفره غير مخرج من الملة على مذهب أهل السنة، فهو عاص لارتكابه ذنباً عن هوى شخصي في هذه القضية المفردة المعينة.

فمن يدقق في كلام السلف، يجد أنهم يتحدثون عن قضية مفردة تقع فيها معصية وهي الحكم بغير ما أنزل الله، وجميع كلام السلف لدفع الكفر المخرج عن الملة إنما هو لدفعه عن هذا الصنف من الحكام، مع ملاحظة أن هذا الحاكم لا يحكم بما أنزل الله عن تبديل لحكم الله، فإنه لم يحدث في تاريخ الإسلام أن سنَّ الحاكم حكماً وجعله شريعة ملزمة القضاء بها، بل عن هوى شخصي يدفعه إلى ادعاء عدم وقوع الحكم على الواقعة، فهو مثلاُ عندما يحكم في سارق يعرف أنه سرق –ونحن نفترض أنه في هذه القضية العينية عن هوى– لا يقول أنه يحكم عليه بالجلد مثلاً لأن عقوبة السرقة هي الجلد بل يقول أن المدعى عليه لم يسرق بل احتال على صاحب العين المسروقة وحكمنا عليه بالجلد تعزيراً له لتعزيره بالمدعي...

مع أن هذا الحاكم لم يأت بتشريع جديد للحكم في القضية، إلا أن له شروطاً حتى يحتفظ بعدم خروجه عن الملة، وإليك كلام العلماء في هذا الحكم:

يقول القرطبي: ("ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون" والظالمون والفاسقون، نزلت كلها في الكفار، ثبت ذلك في صحيح مسلم من حديث البراء وقد تقدم –وعلى هذا المعظم، فأما المسلم فلا يكفر وإن ارتكب كبيرة) تفسير القرطبي ص 2187. قال طاووس وغيره: (ليس بكفر ينقل عن الملة ولكن كفر دون كفر) المصدر السابق. (وكذلك عند ابن جريج وعن عطاء أنه قال: كفر دون كفر ، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق، وعن ابن عباس في قوله: "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون" قال: (ليس بالكفر الذي تذهبون إليه) تفسير ابن كثير ج1ص61.

ويقول القرطبي: (وإن حكم به –أي غير حكم الله– هوى ومعصية فهو ذنب تدركه المغفرة على أصل أهل السنة في الغفران للمذنبين) تفسير القرطبي 2187.

ويقول الشيخ الشنقيطي: (ومن لم يحكم بما أنزل الله معتقداً أنه مرتكب حراماً فاعل قبيحاً فكفره وظلمه غير مخرج عن الملة، وقد عرفت أن ظاهر الآيات على أن الأولى في المسلمين والثانية في اليهود والثالثة في النصارى والعبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص السبب أضواء البيان ج2 ص93.

ثم يقول في موضع آخر: (ومن كان امتناعه عن الحكم لهوى، وهو يعتقد قبح فعله فكفره وظلمه غير مخرج من الملة إلا إذا كان ما امتنع عن الحكم به شرطاً في صحة إيمانه، كالامتناع عن اعتقاد ما لا بد اعتقاده، هذا هو ظاهر الآيات المذكورة كما قدمنا والعلم عند الله تعالى) أضواء البيان ج2 ص97.

ويقول ابن أبي العز: (وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وعلمه في هذه الواقعة، وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فهو عاصٍ، ويسمى كافراً كفراً مجازياً، أو كفراً أصغراً) شرح العقيدة الطحاوية ص 363 ط المكتب الإسلامي.

ويقول ابن القيم: (فإنه إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة وعدل عنها فهذا كفر أصغر) مدارج السالكين ج1 ص336 ط السنة المحمدية.

يقول شيخ الإسلام بالدولة العثمانية الشيخ مصطفى صبري: (وقد كانت الحكومات الإسلامية منذ عهد الصحابة رضي الله عنهم إلى عهد قريب مما نحن فيه من السنوات النحسات يحكمن على الأمة ويحكم عليهن الإسلام من فوقهن، فإن فعلن من خلال هذه الخطة المرسومة ما يخالف حكماً من أحكام الدين، فإنما ذلك يعد ذنباً على الحكومة الفاعلة، كما يقترف أحد المسلمين إثماً متبعاً هوى نفسه خافق القلب مخافة الله ومخافة الناس، أما مجاهرة الخروج على رقابة الإسلام، ومحاولة فصل الدين وعزله عن السياسة، أي عزله عن الحكم والحكومة ووضع هذه المسألة موضع البحث في شكل مشروع جديد، ومذهب اجتماعي جديد ومحاولة تقليد الحكومات الأجنبية رغبة عن الإسلام في ذلك، فلم تكن تطرق ببال أي حكومة من حكومات المسلمين مهما كانت فاسقة مستهترة في أفعالها) موقف العقل والعلم والعالم ج4 ص294.

ويوضح الشيخ محمود شاكر الفرق بين حكام اليوم وبين هذا الصنف من الحكام في تعليقه على الأثرين التاليين الواردين في تفسير الطبري: (حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت عمران بن حدير قال: أتى أبي مجلز ناس من بني عمرو بن سدوس فقالوا: يا أبا مجلز أرأيت قوله تعالى: "من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون"أحق هو... قال نعم. قالوا: "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون" أحق هو... قال نعم. فقالوا: "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون" أحق هو... قال: نعم، قالوا يا أبا مجلز أفيحكم هؤلاء بما أنزل الله.. قال: هو دينهم الذي يدينون به، وبه يقولون وإليه يدعون، فإن هم تركوا شيئاً منه عرفوا أنهم قد أصابوا ذنباً، فقالوا: لا والله، ولكنك تفرق. قال: أنتم أولى بهذا مني، ولا أرى وأنكم ترون هذا ولاتخرجون، ولكنها نزلت في اليهود والنصارى وأهل الشرك، أو نحو هذا 12026).

حدثني المثنى قال حدثنا حجاج حماد عن عمران بن جدير قال قعد إلى أبي مجلز نفر من الإباضية قال فقالوا له: يقول الله تعالى: "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون"، "فأولئك هم الظالمون"، "فأولئك هم الفاسقون" قال أبو مجلز: إنهم يعملون بما يعلمون – يعني الأمراء- ويعلمون أنه ذنب قال: وإنما أنزلت هذه الآية في اليهود والنصارى، قالوا أما والله إنك لتعلم مثل ما نعلم ولكنك تخشاهم، قال أنتم أحق بذلك منا، أما نحن فلا نعرف ما تعرفون، قالوا ولكنكم تعرفونه ولكن يمنعكم أن تمضوا أمركم من خشيتهم. تفسير الطبري ج1 ص347 ط دار المعارف، ويعقب الأستاذ محمد شاكر على الأثرين بقوله في التعليق رقم (2) : الأثران (12025)-(12026) (اللهم إني أبرأ إليك من الضلالة، وبعد فإن أهل الريب والفتن ممن تصدروا الكلام في زماننا هذا قد تلمس المعذرة لأهل السلطان في ترك الحكم بما أنزل الله، وفي القضاء في الأموال والأعراض والدماء بغير شريعة الله التي أنزلها في كتابه وفي اتخاذهم قانون أهل الكفر شريعة في بلاد الإسلام، فلما وقف على هذين الخبرين، اتخذهما رأياً يرى صواب القضاء في الأموال والأعرض والدماء بغير ما أنزل الله، وإن مخالفة شريعة الله في القضاء العام لا تكفر الراضي بها والعامل عليها... والناظر في هذين الخبرين لا محيص له عن معرفة السائل والمسؤول، فأبو مجلز (لاحق بن حميد الشيباني السدوسي)

تابعي، وكان يحب علياً رضي الله عنه، وكان قوم أبي مجلز وهم بنو شيبان من شيعة علي يوم الجمل وصفّين، فلما كان أمر الحكمين يوم صفين، واعتزلت الخوارج، كان فيمن خرج على علي رضي الله عنه طائفتان من بني شيبان ومن بني سدوس بن شيبان بن زهل، وهؤلاء الذين سألوا أبا مجلز ناس من بني عمرو بن سدوس، كما في الأثر 12025، وهم نفر الإباضية كما في الأثر 12026 والإباضية هم جماعة من الخوارج (...) ومن البيّن أن الذين سألوا أبا مجلز من الإباضية إنما كانوا يريدون أن يلزموه الحجة في الأمراء لأنهم في معسكر السلطان، ولأنهم ربما عصوا وارتكبوا بعض ما نهاهم الله عن ارتكابه، ولذلك قال لهم في الخبر الأول (12025) فإن هم تركوا شيئاً منه عرفوا أنهم قد أصابوا ذنباً، وقال لهم في الخبر الثاني (إنهم يعملون بما يعلمون أنه ذنب) وإذن فلم يكن سؤالهم عما احتج به مبتدعة زماننا من القضاء في الأموال أو الدماء والأعراض بقانون مخالف لشريعة الله، ولا في إصدار قانون ملزم لأهل الإسلام، بالاحتكام إلى غير حكم الله في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، فهذا الفعل إعراض عن حكم الله ورغبة عن دينه، وإيثار لأحكام أهل الكفر على حكمه سبحانه وتعالى، هذا كفر لا يشك فيه أحد من أهل القبلة – على اختلافهم – في تكفير القائل به والداعي إليه، والذي نحن فيه اليوم هو هجر لأحكام الله عامة بلا استثناء، وايثار أحكام غير حكمه في كتابه وسنة نبيه وتعطيل لكل ما في شريعة الله، بل بلغ مبلغ الاحتجاج على تفضيل أحكام القانون الموضوع على أحكام الله المنزلة، وادعاء المحتجين لذلك بأن أحكام الشريعة إنما أنزلت لزمان غير زماننا ولعلل وأسباب انقضت فسقطت الأحكام كلها بانقضائها. فأين هذا مما بينّا في حديث أبي مجلز والنفر من الإباضية من بني عمر بن سدوس ولو كان الأمر على ما ظنوا في خبر أبي مجلز، أنهم أرادوا مخالفة السلطان في حكم من أحكام الشريعة فإنه لم يكن يحدث في تاريخ الإسلام أن سنّ حاكم حكماً وجعله شريعة ملزمة للقضاء بها وهذه واحدة، والأخرى أن الحاكم الذي حكم في قضية بعينها بغير حكم الله فيها فإنه إما يكون حكم بها وهو جاهل فهذا أمره أمر الجاهل بالشريعة، وإما أن يكون حكم بها هوى ومعصية فهذا ذنب تناله التوبة، وتلحقه المغفرة، وإما أن يكون حكم بها متأولاً حكماً خالف به سائر العلماء فهذا حكمه حكم كل متأول يستمد تأويله من الإقرار ببعض الكتاب وسنن الرسول صلى الله عليه وسلم، وأما أن يكون في زمان أبي مجلز أو قبله أو بعده، حاكم حكم في أمر جاحداً بحكم من أحكام الشريعة، أو مؤثراً لأهل الكفر على أحكام أهل الإسلام، فذلك لم يكن قط، فلا يمكن صرف كلام أبي مجلز والإباضية إليه فمن احتج بهذين الأثرين وغيرهما في غير بابها وصرفها إلى غير معناها، رغبة في نصرة سلطان أو احتيالاً على تسويغ الحكم بغير ما أنزل الله وفرض على عباده فحكمه في الشريعة كالجاحد لحكم من أحكام الله، أن يستتاب فإن أصر وكابر وجحد حكم الله ورضي بتبديل الأحكام، فحكم الكافر المصر على كفره معروف لأهل هذا الدين.

واقرأ كلمة أبي جعفر بعد ص 358 من أوله قوله: (فإن قال قائل ففه قول ... فصل وتفصيل القول في خطأ المستدلين بهذين الخبرين وما جاء من الآثار هنا في تفسيره هذه الآية يحتاج إلى إفاضة، اجترأت فيما كتبت الآن وكتبه محمود شاكر) تفسير الطبري ج1ص348 حاشية 2 ط دار المعارف.

انتهى كلام الشيخ محمود شاكر بتمامه، وكلامه هذا ينتهي بنا ويقربنا إلى الصنف الرابع من الحكام وهو التالي، ولكن قبل أن نترك هذا الصنف الثالث، نود أن نخرج بخلاصة كلام العلماء في هذا الصنف، وكلام العلماء يدل على أن:

الحاكم الذي لا يحكم بما أنزل الله يكون مسلماً فاسقاً أو كافراً كفراً غير مخرج عن الملة، مادام تتحقق فيه الشروط التالية، فإذا تخلف شرط منها أو جميعها لم يكن مسلماً

أ- أن يكون عدم الحكم بما أنزل الله في (قضية معينة) أي ليس منهجاً وسنة حياة.

ب- أن يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في الواقعة التي لم يحكم فيها بما أنزل الله.

ت- أن لا يعتقد أنه مخير في الحكم أو عدم الحكم بما أنز ل الله مع تيقنه أن الحكم حكم الله.

ث- أن لا يستهين بالحك مع تيقنه أنه حكم الله.

ج- أن يعتقد وهو لا يحكم بما أنزل الله أنه مرتكب حراماً فاعل قبيحاً.

فأما إذا أتى بشرع جديد من وضعه أو وضع غيره، فإنه يكون مبدلاً ومنحياً لحكم الله ولا يدخل تحت هذا القسم بل يكون القسم التالي:

4- هو الحاكم بغير ما أنز ل الله بسبب حكمه بشرع غير شرع الله وهو ينقسم إلى:

أ- من يدعي أن هذا الشرع المخالف لشرع الله هو شرع الله فهو كافر لتبديل الحكم، يقول القرطبي: (وهذا يختلف إن حكم بما عنده على أنه من عند الله فهو تبديل يوجب الكفر) تفسير القرطبي ص 2188.

ب- من جمع ووضع الشرع المخالف لشرع الله قانوناً لقومه، ويعترف أنه من نفسه أو من عند غيره، فهذا الحاكم هو قضيتنا اليوم وهو كافر خارج عن ملة المسلمين عند جميع فرق وطوائف المسلمين وعلمائهم:

أولاً : لأنه طلب الحكم من غر الكتاب والسنة أي تحاكم إلى غير الكتاب والسنة، ومن فعل ذلك كان ذلك كافراً لا خلاف في ذلك كما وضح.

ثانياً : لأنه لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وهذا يجب الفطنة إليه وهو أنه ليس شرطاً لهذا الحاكم أن يكون جاحداً لحكم الله، فهناك فرق بين جحود الحكم، واعتقاد أن الحكم غير واجب وكلاهما كفر، وقد يكون الشخص غير جاحد حكم الله بل يقره ولكنه لا يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وذلك بتسويغه الحكم بغير ما أنزل أي أنه يجعل حكم الجاهلية جائزاً تنفيذه كتنفيذ حكم الله عز وجل فهذا الحاكم كافر، حتى ولو كان حكمه موافقاً لحكم الله، هذا مع ملاحظة أن جحود الحكم بما أنزل الله يكون كفراً في ذاته سواء اجتمع معه، عدم الحكم بما أنزل الله أو لم يجتمع، يقول ابن القيم: (ومنهم من تأول الآية على ترك الحكم بما أنزل الله جاحداً له، وهو قول عكرمة، وهو تأويل مرجوح، فإن نفس جحوده كفر سواء حكم أو لم يحكم) مدارج السالكين ج1 ص336 ط السنة المحمدية.

وثالثاً : لأنه وضع قانوناً غير قانون الله، واعترف بهذا القانون للعمل به، وقد مر بنا كلام العلماء فيمن تحاكم إلى غير الكتاب والسنة فإليك نصوص العلماء فيمن اعتقد عدم وجوب الحكم بما أنزل الله، أو وضع دستوراً لقومه من عند نفسه أو جوز ما وضعه غيره. يقول ابن القيم: (ومن اعتقد أنه غير واجب أو مخيّر فيه مع تيقنه أنه حكم الله فهذا كفرٌ أكبر) مدارج السالكين ج1 ص337 ط السنة المحمدية.

ويقول شارح الطحاوية لابن أبي العز ص 363 ط المكتب الإسلامي.

ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب متحدثاً عن نواقض الإسلام أنها عشرة: (الرابع من اعتقد أن غير هدي النبي صلى الله عليه وسلم أكمل من هديه أو أن حكم غيره أحسن من حكمه كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر) مجموعة التوحيد ص29 ط دار التراث العربي؟

يقول العلامة القاسمي: ("ومن لم يحكم بما أنزل الله" أي من لم يحكم بذلك مستهيناً به منكراً له، كما يقتضيه ما فعلوه اقتضاء بيّنا "فأولئك هم الكافرون" لاستهانتهم به، والجملة تزييل مقرر لمضمون ما قبلها أبلغ تقرير وتحذير عن الإخلال به أشد تحذير حيث علق فيه الحكم بالكفر بمجرد ترك الحكم بما أنزل الله، فكيف وقد انضم إليه الحكم بخلافه، لاسيما مع مباشرة ما نهوا عنه من تحريف، ووضع غيره، وادعاء أنه من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً") محاسن التأويل ص 1998.

ويقول أيضاً: (قال اسماعيل القاضي في أحكام القرآن: ظاهر الآيات يدل على أنه من فعل مثل ما فعلوا –يعني اليهود– واخترع حكماً يخالف به حكم الله وجعله ديناً يعمل به، فقد لزمه ما لزمهم من الوعيد المذكور حاكماً كان أو غيره) محاسن التأويل ص 2000.

ويقول ابن كثير في تفسير آية "أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يؤمنون": (ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وكما يحكم التتار من السياسات الملكية المأخوذة من ملكهم (جنكيز خان) الذي وضع لهم الياسق وهو عبارة عن كتاب مجموع من آراء قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية ومن الملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت في بنيه شرعاً متبعاً يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير) تفسير ابن كثير ج2 ص67 ط الحلبي.

ويقول الشيخ أحمد شاكر معلقاً على الكلام السابق لابن كثير: (أقول: أفيجوز مع هذا في شرع الله أن يحكم المسلمون في بلادهم بتشريع مقتبس عن تشريعات أوروبا الوثنية الملحدة... بل بتشريع تدخله الآراء والأهواء الباطلة يغيرونه ويبدلونه كما يشاؤون ولا يبالي واضعه أوافق شرع الإسلام أم خالفه..

إن المسلمين لم يبلوا بهذا قط فيما نعلم من تاريخهم إلا في عهد التتار وكان أسوأ عهود الظلام، ومع هذا فإنهم لم يخضعوا له، بل غلب الإسلام التتار، ثم مزجهم فأدخلهم في شرعه وزال أثر ما صنعوا بثبات المسلمين على دينهم وشريعته، وبما أن هذا الحكم السيئ الجائر كان مصدره هذا الفريق الحاكم أو ذاك، لم يندمج فيه أحد من أفراد الأمم الإسلامية المحكومة ولم يتعلمه أبناؤهم فما أسرع ما زال أثره.

أرأيتم هذا الوصف القوي من الحافظ ابن كثير في القرن الثامن، لذلك القانون الوضعي الذي يصنعه عدو الإسلام جنكيز خان.. ألستم ترونه يصف حال المسلمين في هذا القرن الرابع عشر الهجري، إلا في فرق واحد أشرنا إليه آنفاً، ان ذلك في طبقة خاصة من الحكام أتى عليها الزمان سريعاً فاندمجت في الأمة الإسلامية وزال أثر ما صنعت ثم كان المسلمون الآن أسوأ حالاً وأشد ظلماً وظلاماً منهم، لأن أكثر الأمم الإسلامية تكاد تندمج في هذه القوانين المخالفة للشريعة والتي هي أشبه شيء بذلك الياسق الذي اصطنعه رجل كافر ظاهر الكفر.

هذه القوانين التي يصطنعها ناس ينتسبون للإسلام ثم يتعلمها أبناء المسلمين ويفخرون بذلك آباء وأبناء ثم يجعلون مجرد أمرهم الى هذا (الياسق العصري) ويحقرون من يخالفهم في ذلك ويسمون من يدعوهم للاستمساك بدينهم رجعياً وجامداً وما إلى ذلك من الألفاظ الفارغة، بل إنهم أدخلوا أيديهم فيما بقي من الحكم والتشريع الإسلامي يريدون تحويله إلى (ياسقهم) الحديث بالهوينا واللين تارة وبالمكر والخديعة تارة وبما ملكت أيديهم من السلطات تارة، ويصرحون ولا يستحون بأنهم يعملون على فصل الدين عن الدولة، أفيجوز اذن –مع هذا– لأحد من المسلمين أن يعتنق هذا الدين الجديد أعني التشريع الجديد.. أو يجوز لأب أن يرسل أبناءه لتعلم هذا الدين واعتقاده والعمل به عالماً كان الأب أو جاهلاً، أو يجوز لرجل مسلم أن يلي القضاء في ظل هذا (الياسق العصري) وأن يعمل به وأن يعرض عن شريعته البينة.

ما أظن رجلاً مسلماً يعرف دينه ويؤمن به جملة وتفصيلاً ويؤمن بأن هذا القرآن أنزله الله على رسوله كتاباً محكماً، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وبأن طاعته وطاعة الرسول الذي جاء به واجبة قطعية الوجوب في كل حال. ما أظنه يستطيع إلا أن يجزم غير متردد ولا متأول بأن ولاية القضاء في هذه الحالة باطلة بطلاناً أصلياً لا يلحقه التصحيح ولا الإجازة.

الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس... هي كفر بواح... لا خفاء فيه ولا مداراة ولا عذر لأحد ممن ينتسب للإسلام –كائناً من كان– في العمل بها أو اقرارها فليحذر امرؤ نفسه وكل امرىء حسيب نفسه) عمدة التفسير ج4ص171-172 ط دار المعارف وقد مر بنا كلام الشيخ محمود شاكر – تفسير الطبري – على حكام اليوم وذلك في الحديث عن الصنف الثالث من الحكام فراجعه إن أحببت.

- تنبيه: الوصف الثاني والثالث لمن لم يحكم بما أنزل الله (الظالمون) (الفاسقون) لا يعني أنها حالتان أخريان غير التي سبق فيها الوصف بالكفر وإنما يعني إضافة صفتين لمن لم يحكم بما أنزل الله، فهو كافر ظالم فاسق وهذا ما يقتضيه اتحاد المسند إليه وفعل الشرط "ومن لم يحكم بما أنزل الله" فجواب الشرط الثاني والثالث يضافان إلى جواب الشرط الأول ويعودون كلهم إلى المسند إليه في فعل الشرط وهو (من) من المطلق العام، وقد وصف الشرك بأنه ظلم في قوله تعالى: "الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم" أي شك وفي قوله تعالى على لسان لقمان "إن الشرك لظلم عظيم" وهنا أيضاً فسوق كفر كقوله تعالى "يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه" الآية وقوله عز وجل: "ولقد أنزلنا آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون" وكقوله تعالى: "وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها" الآية، فهذا كله فسوق وكفر، فالظلم والفسق مثل الكفر منه ما يخرج عن الملة ومنه ما لا يخرج وينطبق على الظلم والفسق ما ينطبق على الكفر في حالة الذي لا يحكم بما أنزل الله) اهـ. انتهى النقل عن كتاب الحكم وتكفير المشرك –لأبي أسيد رحمه الله تعالى – وقد توقفنا هنا ولم نأخذ باستنتاجاته رحمه الله لأن لنا تحفظات على طبيعتها التعميمية واقتصرنا على الاستشهاد بجهده في جمع الأدلة جزاه الله عنا كل خير.

13 – أقسام الناس وقضية الحكم. وحكم الإسلام فيهم:

والذي نستنتجه نحن من كلام العلماء وما تقدم أن هذه القضية قضية الحكم بقوانين وضعية على غير ما أنزل الله، تمس قطاعات أربعة من الناس:

أ- المشرعين وواضعي القوانين: وهم كل من أعد هذه القوانين أو ساهم في إعدادها أو جعلها تشريعات ملزمة وفرضها في بلاد المسلمين من حكام ومشرعين، فهم كفار قطعاً، كفراً أكفر وليسوا بمسلمين ماداموا على ذلك، فقد نصبوا أنفسهم آلهة لهذه الأمة تسن لها القوانين، ووضعوا أنفسهم مكان فرعون عندما قال لقومه: (ما علمت لكم من إله غيري) ولعبوا دور جنكيز خان عندما فرض الياسق من خليط الملل والأديان والأهواء.

ب- منفذي القوانين والعاملين على إنفاذها في الأمة: وتشمل هذه الفئة فيما تشمل أعضاء البرلمانات الذين يصادقون عليها، والوزراء الذين ينفذونها وكبار أعضاء الحكومة الذين يفرضونها ويقومون عليها، ورؤساء أجهزة القمع من أجهزة أمن وما إليها... وهؤلاء كفار كسابقيهم وهم جنود أولئك الطواغيت والقائمين على حرب الله ورسوله وشرعه في الأمة المسلمة.

ت- صغار المنفذين وأذيال الطاغوت: وهم طبقة القضاة ومحققي الأمن والشرطة وأعضاء جهاز الحكومة التنفيذي ورجال الأمن والمباحث الذين يعملون بموجب هذه القوانين، فإن كانوا عالمين بمعارضتها لشريعة الإسلام وحكمه فيها وفي

بطلانها ومع ذلك انفذوها غير معترضين عليها وأخلصوا في تطبيقها وانفاذها، ولم ينكروها ولو بقلوبهم إن عجزوا عن غير ذلك، فهم كفار ومن أعوان سابقيهم وحكمهم هو نفسه.

ث- أفراد الأمة وأبناء الشعب: وتشمل هذه الفئة سائر المسلمين المحكومين بهذه الأحكام والمغلوبين على أمرهم، على هؤلاء أن ينكروا هذه القوانين والأحكام والأوضاع وأن يحاربوها بأيديهم فإن لم يكن فبلسانهم فإن لم يكن فبقلوبهم وهذا أضعف الإيمان -لا يكلف الله نفساً إلا وسعها- فمن بلغه حكم الله في هذه القوانين والعقائد الكافرة وفي بطلانها، وقامت عليه الحجة وانتفى جهله ثم رضيها ولم يكن عنده فرق من أن تنفذ أو ينفذ غيرها أو استخف بأحكام الله أو انتهكها، أو اعتقد فسادها وأنها رجعية ولا تصح لهذا الزمان أو زعم أنها غير عادلة أو انتقصها فقد كفر كفراً أكبر والعياذ بالله.

فليحذر كل امرىء نفسه، وسيقف كل واحد أمام ربه يحاسبه فرداً يوم يكون فيه الحال كما قال تعالى: "إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب، وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار".

وقد ينكر البعض علينا تبيان هذه الأحكام بهذه الجدية وهذا التخصيص والتفصيل ويراه من التكلف الذي لا لزوم له، والذي نقوله رداً على هذا الاعتراض وبالله القوة: أن هذا الكلام هو حق مشفوع بالدليل الشرعي في حق كل من علم هذا ووقف منه الموقف الذي اقتضى الحكم فيه بعد أن انتفى جهله، وهو لا ينال الطائفة الجاهلة من المسلمين حيث لم يبلغ حكم الله في هذا الأمر والتي قد تأتي بأعمال هي بمستوى المعصية التي قد تكون كفراً أصغراً أو فسقاً يناله المغفرة بمشيئة الله بعد التوبة في حين يكون هذا الكفر أكبر لو علم الحكم في ذلك الأمر وجحده وتحداه وهذا أمر بدهي أسهب فيه العلماء كثيراً -وليس مجال بحثه هنا- أما كلامنا بهذا التخصص والابيان عن الحكام والمشرعين ومن والاهم من أجهزة ورؤساء القمع والطغيان.. فكلهم أو جلّهم قد بُلّغ وانتفى جهلهم بعشرات السنين من الدعوة إلى الله التي قام بها الدعاة بل إنهم حاربوهم ونكلوا بهم عن علم وقاموا بقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس وبالنكال بهم... فهؤلاء حكمهم واضح والجهر به وهو من أغراض الشريعة ومقاصدها (هذا من الناحية الشرعية).

أما من الناحية العقلية فلا يعقل أن ندعو الناس من المؤمنين لحربهم والانفضاض عنهم وبهذا ندعو المسلمين إلى تحمل العناء والجهد والقتل والتضحية.. الخ وإذا سألونا عن حكم الله في هؤلاء الذين نخرج عليهم، أحجمنا ولم نبين الحق!! كيف ندعو الناس إلى حرب طغاة ولم نبين ونتبين بعد، أكفرة هم أم مجرد فسقة متجاوزين لبعض أحكام الله.. إن التأكيد على بياض الحق ونصاعة طرحه وبركته لا يزيد أهمية عن تعرية الشر وتبيان عواره ودمغه بما فيه. قال تعالى: "وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين" إن من مقاصد تفصيل الآيات تبيان سبيل المجرمين وسماته وسمات أصحابه حتى تزول كل شبهة وتندحر كل محاولة لخلط الأوراق وتمييع المواقف وهذا ما يسعى إليه أعداؤنا. والقصد من هذا الابيان لا تخفى أهميته على عاقل -طالما أننا في نطاق العقل والعقلاء- أما دعوتنا إلى حرب أعوان هؤلاء الطغاة ممن جهل موقفه وتأكد جهله، فهو لا يستدعي بالضرورة تكفيره، ولعلماء المسلمين قولهم في جواز ؟؟؟؟؟؟؟؟؟ قتاله وإن كان مكرهاً على القتال إلى جانب الطاغوت وحشر ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟ الرسول صلى الله عليه وسلم الذي تحدث فيه عن جيش يغزو المدينة فيخسف بأولهم وآخرهم وفيهم عبيدهم وسواهم.. فقال يخسف بهم ويحشرون على نياتهم وسيأتي بيان هذا إن شاء الله تعالى.

14 – حكم حكام المسلمين الحاليين شرعاً في ضوء النتائج السابقة:

جميع الأنظمة القائمة في العالم الإسلامي اليوم –بلا استثناء– أنظمة ديكتاتورية. وتنقسم إلى نوعين رئيسيين وإن تنوعت أشكالها ضمن أقسام النوع الواحد وهذين النوعين:

أولاً: نظام الأسر المالكة الحاكمة بالوراثة: ويتوارث الحكم فيها بطريقة الوراثة العائلية حيث يبقى الحكم منحصراً في تلك العائلة.

ثانياً: أنظمة الحكم الديكتاتورية الفردية: وهذه وإن انقسمت إلى نوعين رئيسيين أولهما ديكتاتوريات عسكرية تعتمد على سيطرة الجيش وسلطته العسكرية وثانيها ديكتاتوريات مدنية ترفع شعارات ديمقراطية تعتمد على بطش أجهزة الأمن وسيطرة الحزب الحاكم، إلا أنها كلها تعتمد سيطرة الفرد الطاغوت وإمساكه بكل السلطات مباشرة.

1- أنظمة العوائل المالكة:

وتتبع هذه الأنظمة نظام التوارث في تناقل السلطة وهو أسلوب قائم على الإكراه لا شورى فيه ولا بيعة ولا خيار، وغالباً ما تقف هذه الأنظمة موقفاً التوائياً من قضايا الإسلام والحكم، ويزين فيها الأمراء والملوك خطبهم بالآيات والأحاديث ويعلنون أنهم أنظمة إسلامية ويشتركون في المؤتمرات الإسلامية العالمية كممثلين عن مسلمي بلادهم.. وما عاد خفياً على أحد حجم الفساد والأزمات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والضعف الذي خلفته هذه الأنظمة في بلادها خاصة وفيما يجاورها أو يجاوزها من بلاد المسلمين عامة ولنترك الحديث للدكتور عبد الله النفيسي يحدثنا عن هذا فيقول: (وحكم العائلة سواء كانت العائلة الأموية أو العباسية أو الفاطمية أو الحمدانية أو العثماني أو أية عائلة حاكمة في عالمنا الإسلامي اليوم، هو أخطر انحراف وقع في التاريخ الإسلامي، ذلك أنه يحيط العائلة المالكة بشيبها وشبابها وصبيانها وغلمانها ونسائها ومهرجيها ومن لا يذكر الله فيها، بسياج من الهيبة والامتياز المادي والمعنوي على حساب كل الآيات التي وردت في الكتاب الكريم حول القسط والعدل والمساواة بين الناس، وأن حكم عائلة قد رهن وما يزال يرهن أوضاع الأمة الإسلامية بعمومها ضمن إطار على صيغة طارئة تاريخياً في عمر الزمن والتاريخ، ويحدد طبيعة التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يجب أن تمر بها دون هدى من الشرع أو التجربة الإنسانية الحرة، وحكم كهذا يحول بالضرورة العائلة الحاكمة إلى مؤسسة تآمرية في التآمر على الأمة كيف تبقى خاضعة والتآمر ضمن العائلة الحاكمة فيمن يأتي للحكم بعد هلاك الحاكم، هذه طبيعة المسألة ولا داعي للحومان حولها.

إن حكم العائلة سواء كانت العائلة الأموية أو العباسية أو الفاطمية أو الحمدانية أو العثمانية أو أية عائلة حاكمة اليوم في عالمنا الإسلامي –المسلوب الإرادة– هو مستنقع لكل الطموحات غير الشرعية التي يحفل بها تاريخه وهو الذي أدى كل الانهيارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تعاني منها الأمة الإسلامية في وقتنا الحاضر، التجزئة السياسية والتبعية الاقتصادية والتخلف الاجتماعي والخور والضعف والدنية والهوان في كل مؤسساتنا) –عندما يحكم الإسلام ص23-.

ثم يتابع الدكتور النفيسي فيقول: (إن طبيعة هذه السلطة السياسية التي يدور محورها حول عائلة معينة وتتحدد شخصيتها السياسية وفق مقتضيات مصلحة العائلة الحاكمة لا تستطيع قطعاً الارتقاء لمنهج الإسلام في الحكم وهو منهج أممي عالمي يخرج عن الدوائر المغلقة للعائلة والقبيلة والقوم والعشيرة... ويتجاوزها ويتخطاها لأنه منهج يقوم أساساً على تحرير الإنسان –لكونه إنساناً– من كل أشكال العسف الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والتفاوت الطبقي المشين الذي يفرزه الحكم العائلي، ولقد كان الحكم الأموي كحال أشكال الحكم العائلي اليوم في كثير من الأقطار الإسلامية... حكماً عائلياً ضيقاً أفرز عسفاً اجتماعياً واقطاعياً وسياسياً طبقياً واقتصادياً مشيناً وكل ذلك بلا شك يعد انحرافاً أساسياً عن منهج الإسلام في الحكم ومقررات الشريعة الإسلامية في العدل المطلق) اهـ عندما يحكم الإسلام ص 108. ولعل من أهم مميزات هذه الأنظمة هي سياسة ابقاء الشعب بعيداً عن أي شكل من أشكال الوعي كي لا يخفها الخطر.

2- الأنظمة الديكتاتورية الفردية:

وسواء أكانت من النماذج التي ترفع شعارات الديمقراطية المزيفة بأشكال وصيغ شتى والتي تعتمد على جهاز ضخم (من البوليس) بأشكاله وألوانه لتثبيت أركان النظام المتسلطة أم كان من أشكال الديكتاتوريات العسكرية القائمة في بلاد إسلامية أخرى أو كان من الأشكال الفردية الأخرى من الديكتاتوريات المختلفة المتسترة بشعارات الاشتراكية والحرية والشعبية.. إلى آخر قائمة الجهالات، فكل هذه الأنظمة تعمد إلى القمع والقهر وأسلوب الأحكام العرفية والإرهاب البوليسي وتستند في غالبها إلى سياسة الحزب الواحد الذي هو حزب فرعون السلطة، وربما سمحت هذه الأشكال بجو ما من الديمقراطية لذر الرماد في العيون... وتتميز هذه الدول باتساع دائرة الفساد والرشاوى والمحسوبيات والانقسام الطبقي الحاد في فئتين أولاهما ملتفة حول السلطة وحزبها الواحد وعلمائها والمستفيدين منها من كبار فعاليات المال والاقتصاد ومناحي الحياة .. طبقة نفعية طفيلية فاسدة مفسدة، وطبقة أخرى من باقي أفراد الشعب والكسبة والعمال والموظفين يكاد غالبها لا يجد قوت يومه. وأهم ما يميز هذه الأنظمة سياسة الإرهاب والقمع والسحق والاذلال.

هذه إجمالاً أهم صفات كل نوع من هذين النوعين من الأنظمة القائمة في العالم الإسلامي، أما على صعيد الحكم بالإسلام وإقامة أحكامه وإحلاله المكان الذي أولاه الله إياه في بلاد المسلمين فتكاد تتطابق مواقف هذين الشكلين القائمين من الحكومات بعداً عن الإسلام جملة وتفصيلاً ولا تختلف إلا في جزئية بسيطة هي أن الأنظمة ذات الشكل الأول تدعي العمل بالإسلام وتعرض موقفها بمكر أكثر فهي تتميز بالمكر واللولبية إذا ما واجهت هذا الأمر في حين تتسم الأنظمة من النوع الآخر بالوقاحة وقلة الحياء في إعلانها فصل الدين عن الدولة ومباهاتها بذلك واعتباره عين التقدمية. وهذا الخلاف البسيط ليس بذي أهمية إذا عرفنا حقيقة موقعها من الإسلام والعمل به. وتشترك جملة هذه الأنظمة القائمة الآن بالمميزات التالية:

أولاً: استبعاد الحكم بما أنزل الله، واستخداث أنظمة وضعية للحكم في الدماء والأموال والأعراض، وحصر الإسلام في دائرة ضيقة من أمور الأحوال الشخصية، وحتى هذه لم تسلم من العبث حيث نالها التحريف والتبديل في العديد من تلك الدول. وإذا تتبعنا الأنظمة السياسية القائمة في العالم الإسلامي فإننا لن نقع على دولة واحدة تقيم نظاماً إسلامياً حقيقياً، حيث يلعب الإسلام وأحكامه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقضائية والإعلامية والعسكرية...دوره كاملاً على النحو الذي أنزله الله وفرضه، فكل هذه الدول استخدثت لنفسها أنظمة وضعية تعددت الشعارات والكفر واحد...

ووتفاوت هذه الدول في أخذها من الإسلام بين استبعاده نهائياً في بعض الدول، وبين درجة أكبر من الأخذ به منقوصاً غير كامل بصورة شائهة حسب مقتضيات الحال.

ثانياً: خيانة الله ورسوله والمؤمنين:

هل خان حكامنا الله ورسوله والمؤمنين من أبناء الأمة؟؟ إذا تأملنا في حال هذه الأنظمة فسنجد نوعين كما ذكرنا: الصنف الأول ويكون فيه إعطاء الإمارة والولاية والمنصب صغر أم كبر بناء على القرابة من العائلة الحاكمة أو الولاء لها من أبناء الحاشية والأتباع والموالين، وأما الصنف الثاني فيكون فيه إعطاء المناصب والقيادات والمديريات بناء على انتماء المرشح إلى حزب السلة الحاكمة، ودرجة نفاقه ودجله، واستعداده لتمرير المخططات التآمرية والظلم. وفي كلتا الحالتين ولد هذا المبدأ (الولاء قبل الكفاءة) مما أسفر عن وهن في جسد الدولة ووسد الأمر لغير أهله.

يقول الدكتور عبد الله النفيسي في كتابه (في السياسة الشرعية 61-63): (يعتبر الحاكم خائناً لله ولرسوله وللمؤمنين عندما ينحاز لأقربائه ومن والاه[1] ضمن عموم المسلمين حين تحديد المسؤوليات وتسليم الولايات. فالمفترض بالحاكم المسلم أن يستعمل أصلح المسلمين على كل عمل من أعمالهم، لأن استعمال الأصلح والأكفأ يأتي بمنفعة ومصلحة للجماعية الإسلامية، بينما استعمال العكس يؤدي حتماً إلى ضرر كبير على الجماعة، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من ولي من أمر المسلمين شيئاً فولى رجلاً وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله) رواه الحاكم في مستدركه ج4 ص92 وقال هذا حديث صحيح الإسناد. وفي رواية (من قلد رجلاً عملاً على عصابة –الجماعة من الناس– وهو يجد في تلك العصابة أرضى منه فقد خان الله ورسوله وخان المؤمنين). وروى بعضهم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (من ولي من أمر المسلمين شيئاً فولى رجلاً لمودة أو قرابة فقد خان الله ورسوله والمؤمنين) وفي معناه حديث ليزيد بن أبي سفيان في مستدرك الحاكم ج4 ص93. فيجب إذن على الحاكم أن يستعمل فيه تحت يده في كل موضع ومنصب أصلح من يقدر عليه وأقدر من يقوم به.

يقول ابن تيمية في السياسية الشرعية: (فإن عدل عن الأصلح الأحق إلى غيره لأجل قرابة أو ولاء أو عتاقة أو صداقة أو موافقة في بلد أو مذهب أو جنس كالعربية والفارسية والتركية والرومية... أو الرشوة يأخذها من مال أو منفعة أو غير ذلك من الأسباب، أو لضغن (حقد) في قلبه على الأحق، أو عداوة بينهما. فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ودخل فيما نهى عنه في قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله ورسوله وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون" الأنفال. ويضيف ابن تيمية: (فإن الرجل لحبه لولده أو لعتيقه قد يؤثره في بعض الولايات أو يعطيه ما لا يستحق، فكونه قد خان أمانته كذلك قد يؤثره بزيادة في ماله أو حظه. يأخذ ما لا يستحق أو محاباة من يداهنه في بعض الولايات فيكون قد خان الله وسوله وخان أمانته) اهـ.

وتحت عنوان حكام اليوم خونة، يقول الدكتور النفيسي: (واليوم كما نرى ونشاهد ونلمس، صار الحكام خونة لله ولرسوله وللمسلمين وضاعت الأمانة ووسد الأمر إلى غير أهله وضاعت الحقوق وصار ولاة الأمر يتاجرون في الرعية مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (إن أخون الخيانة التجارة في الرعية) وصارت المسؤولية والولاية توسد إلى من هو خالٍ من القوة والأمانة وهما الركنان الأساسيان في ولاية الأمر بمقتضى قول الله وقول رسوله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله)اهـ.

ثالثا: موالاة أعداء الله والعمالة للصليبيين والشيوعيين واليهود:

ليس في العالم اليوم دولة إلا وتدور في فلك أحد المعسكرين الكبيرين، الغربي الصليبي ممثلاً في أمريكا وأوروبا الغربية، أو للشرقي الملحد ممثلاً في الاتحاد السوفيتي والصين، حيث تدفع هذه الدول التوابع ضريبة التبعية والعمالة بشكل مباشر أو غير مباشر بنسبة تقل أو تكثر. وقد كان الخليق بالدول الإسلامية أن تكون معسكراً لا شرقياً ولا غربياً وإنما حنيفاً مسلماً، فطرة الله وصبغته، إلا أن السنوات النحسان حملت للعالم الإسلامي حكاماً أذناباً أبوا إلا أن يدخلوا هذا الفلك بعد أن خرجوا من دين الله واتخذوا لهم ولأقوامهم من ورائهم أدياناً شتى، والعالم الإسلامي اليوم دخل بعضه فلك العمالة لأمريكا وأتباعها ودخل بعضه الآخر فلك العمالة لروسيا وأذيالها وهذا التقسيم ليس حدياً، فكثيراً ما تتأرجح دولة ما في العمالة بين شرق وغرب بشكل مائع مبطن حسب اللعبة الدولية. رغم أن هذه العمالة تدخلهم في عمالة غير مباشرة للصهيونية واليهودية العالمية المسيطرة على قيادة المعسكرين، إلا أن بعضهم أبى إلا أن يدخل في عمالة مباشرة مع صهاينة فلسطين ممثلين بكيانهم (إسرائيل). وقد أصبح معروفاً لا يحتاج إلى تبيان ما تعنيه هذه التبعية من ضياع في الثروات ودمار للدين والأخلاق والمبادئ الإسلامية، وهدر للشخصية والكرامة الإسلامية، وخيانة لقضايا المسلمين الكبرى، وفي طليعتها ما سلب من أراضيه كفلسطين وقدسها السليبة.

[1] يجوز تولية القريب إذا كان أصلح من غيره وإن كان الأفضل عدم ذلك (المحقق) ولو لدفع التهمة.

وقد تناسى أولئك الحكام، وكيف يتذكرون وقد هجروا دين الله وارتدوا عنه، قول الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين. فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين" التوبة 51-52 وقوله تعالى: "ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون" المائدة 80. ولكن هيهات أن تعيها قلوب قد أصمَّها وطمس عليها بما كسبت.

رابعاً : تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وملاحقة الدعاة إلى الله وكمّ أفواههم: تكاد لا تخلو دولة إسلامية من دعاة إلى الله تصدوا لقضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واستنكار هذه المظالم، وهذه القوانين الكافرة الظالمة.. ويمكن القول بأنه ما من دولة من هذه الدولة القائمة المرتدة، إلا وتصدت لهؤلاء الدعاة فنكلت بهم وكمّت أفواههم وسجنتهم وشردتهم وقتلت من لا يخفى صوته إلا بالقتل.

وهكذا قامت الحجة على هذه الدول وفراعنتها الحكام، فقد جاء النذر فأمروهم ونهوهم، وذكروهم الله وأحكامه، ودعوهم إليها، ولكنهم استكبروا في الأرض، ولاحقوا الدعاة، بل واتهموهم بالعمالة والخيانة وإرادة الفتنة والفساد وقالوا قولة فرعون لقومه عند جاءه موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بالقول اللين الذي أمره به الله، قالوا كما قال: "وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه، إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد" غافر26. سبحان الله... أليست هي دعوى الطواغيت الفراعنة الآن وتهمتهم لكل داعية خير ومصلح مؤمن، وصدق الله العظيم "تشابهت قلوبهم"، هي الذريعة نفسها "إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد" نخشى أن يفرقوا كلمة الأمة ويحطموا الوحدة الوطنية، وينشروا الطائفية ويعيدوا دولاب التاريخ إلى الوراء... الخ وخلاصة القول:

- إن حكام المسلمين القائمين في بلادنا اليوم عطلوا أحكام الله ورسوله كلاً أو جزءاً واتخذوا لأنفسهم ولقومهم أحكاماً استودوها من شرق أو غرب أو من أهواء أنفسهم فابتدعوا بذلك (ياسقاً عصرياً) هو شر من ياسق جنكيز خان، ليحكموا به في الدماء، الأموال والأعراض والشؤون الأخرى، وبذلك فقد ارتدوا وخرجوا من ملتنا ملة الإسلام فهم كما قال الله تعالى عنهم .. كافرون فاسقون ظالمون وهذه أكبر جرائمهم وليس بعد الكفر ذنب.
- وهم بسلوكهم في أمر الولاية والعزل، وفي تعيين نوابهم وولاة أمورهم قد خانوا الله ورسوله والمسلمين، وهذه إحدى جرائمهم.
- وبموالاتهم لأعداء الله من يهود وأمريكا وروس وأوربيين وسواهم قد وضعوا أنفسهم في صف أعداء الله وأعدائنا قولاً وعملاً ونابوا عنهم وكانوا رأس حربتهم وهذه جريمة أخرى.
- وهم بتشريدهم الدعاة وملاحقتهم وكمّ أفواههم وقتلهم، أقاموا الحجة على أنفسهم فقد بلّغوا وأنذروا وما زادهم هذا إلا عتوّاً ونفوراً واستكباراً وهي جريمة أخرى.

"إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم، أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين" صدق الله العظيم.

15 حكم الدار التي نحن فيها الآن:

بعد أن فرغنا من الكلام عن الأحكام التي تعلو بلاد المسلمين، وعن حكامهم الحاكمين بهذه الأحكام، ننتقل إلى بحث فقرة جوهرية في هذا البحث وهي حكم الدار التي نحن فيها الآن، فمن المعروف أن فقهاء الإسلام الأقدمين قد قسموا الأرض في

بحوث الجهاد وفقهه سابقاً إلى نوعين (دار الكفر) أو دار الحرب و(دار الإسلام) أو دار السلم وعلى هذا بنيت أحكامهم. ودار الزمان دورته وشاء الله أن تقوم أنظمة كفر في دار وبلاد الإسلام وأن يختلط الكفر بالإسلام على النحو الذي أشرنا إليه سابقاً، فجمهور الناس مسلمين، وفيهم المرتد، وحكام البلاد مرتدون لأنهم لا يحكمون بما أنزل الله، ويستوردون غيره من الأحكام ويفضلونها عليه، والأحكام القائمة بالتالي في بلاد المسلمين هي أحكام كفر —وقد سبق بيان ذلك وأدلته– وأنظمة الكفر وأعداء الإسلام تقوم بلادهم في تخوم بلاد الإسلام ولهم الشوكة، وقد سقطت بلاد إسلامية في أيدي الأعداء وتحولت إلى دار حرب... الخ.

إن اختلاط الأمور بهذا الشكل يوجب على فقهاء الأمة الإسلامية أن يبينوا أحكام الإسلام في حالات كهذه للناس حتى لاتميع الأمور ولا تختلط على النحو الذي يحصل...

ولم يمر في تاريخ المسلمين حالة كهذه حتى تقاس الأحكام عليها اللهم إلا تلك الفترة التي تسلط التتار فيها على الحكم في بعض بلاد المسلمين وأنفذوا أحكامهم الوضعية التي جمعت فيما سمي الياسق —وقد سبق بيانه– فعاشت بعض البلاد بما فيها من المسلمين تحت حكم كفرة ظاهري الكفر وقد تحدث شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن بعض الأحكام في مثل هذه الحالات وسنعرض لتلك الفتاوى في حينها إن شاء الله.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: نحن في دار كفر، أم في دار إسلام...

وبالتالي هل هي دار حرب أم دار إسلام... يورد الشهيد عبد السلام فرج[1] في رسالته القيمة (الفريضة الغائبة) كلاماً عن هذا الموضوع فيقول تحت عنوان (الدار التي نحن فيها): (ويبدو هنا تساؤل، هل نحن نعيش في دولة إسلامية.. من شروط الدولة أن تعلوها أحكام الإسلام، وقد أفتى الإمام أبو حنيفة رحمه الله أن دار الإسلام تتحول إلى دار كفر إذا توافرت ثلاثة شروط مجتمعة هي :

1- أن تعلوها أحكام الكفر.
2- ذهاب الأمان للمسلمين.
3- المتاخمة والمجاورة (وذلك بأن تكون الدار مجاورة لدار كفر بحث يكون مصدر خطر على المسلمين وسبباً في ذهاب الأمن). وقد أفتى الإمام محمد والإمام أبو يوسف صاحبا أبي حنيفة بأن حكم الدار تابع للأحكام التي تعلوها ((فإن كانت الأحكام التي تعلوها هي أحكام الإسلام (فهي دار الإسلام) وإذا كانت الأحكام التي تعلوها هي أحكام كفر فهي دار كفر)) (عن بدائع الصنائع ج1).

وأفتى شيخ الإسلام في كتابه الفتاوى الكبرى (كتاب الجهاد) عندما سئل عن بلد يسمى (ماردين) كانت تحكم بحكم الإسلام ثم تولى أمرها قوم أقاموا حكم الكفر هل هي دار حرب أم دار سلم، فأجاب بأن هذه مركب فيها المعنيان فهي ليست بمنزلة دار السلم التي يجري عليها أحكام الإسلام، وليست بمنزلة دار الحرب التي أهلها كفار، بل هي قسم يعامل المسلم فيها بما يستحق ويعامل الخارج عن شريعة الإسلام بما يستحق[2] والحقيقة أننا لا نجد تناقضاً بين أقوال الأئمة فأبو حنيفة وصاحباه لم يذكروا أن أهلها كفار، فالسلم لمن يستحق السلم والحرب لمن يستحق الحرب فالدولة تحكم بأحكام الكفر بالرغم من أهلها مسلمون) اهـ.

---

[1] الشهيد محمد عبد السلام فرج رحمه الله أحد شهداء منظمة (الجهاد) في مصر أعدمه النظام الطاغوتي المصري لاشتراكه في عملية إعدام الخائن (أنور السادات) مع الشهيد خالد الإسلامبولي ورفاقه رحمهم الله عام 1981. (المؤلف).

[2] ونص السؤال هو: سئل رحمه الله عن بلد (ماردين) "وهي بلدة في شمال بلاد الشام تقع في الأراضي التركية الآن" هل هي بلد حرب أم بلد سلم وهل يجب على المسلم المقيم فيها الهجرة إلى بلاد الإسلام أم لا ... وإذا وجبت عليه الهجرة ولم يهاجر وساعد أعداء المسلمين بنفسه وماله هل يأثم في ذلك ... وهل يأثم من رماه بالنفاق وسبه أم لا... فأجاب: الحمد لله. دماء المسلمين وأموالهم محرمة حيث كانوا في ماردين أو غيرها والمقيم بها إن كان عاجزاً عن إقامة دينه وجبت عليهم الامتناع عن ذلك بأية

ويبدو لي والله أعلم أن أقرب الأحكام لحالنا الآن حيث تعلو أحكام الكفر دار يفترض أن غالب أهلها أهل إسلام هو حكم ابن تيمية رحمه الله في ماردين وعليه يعامل المسلم بما يستحق من السلم والمودة وصيانة الدم والمال ويعامل الكافر المحارب في حال قيام حرب بين المسلمين الدعاة وأهل الكفر من الحكام وجنودهم ومن والاهم بما يستحق من حلة الدم والمال... حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً وتقوم دار الإسلام التي تعلوها أحكام الإسلام ويكون أهلها مسلمون، وليس للمسلمين والدعاة حتى تقوم تلك الحال أن يسبوا أهل البلد التي تعلوها أحكام الكفر وهم لها منكرون، ليس لهم سبهم بالنفاق والكفر والله أعلم. بل الرمي بذلك كما قال الإمام ابن تيمية: حسب ما جاء في الكتاب والسنة. ويكون بذلك لأولئك الذين والوا أعدائنا ووقفوا في صفهم مختارين لذلك الولاء عن رضى وإقرار دون إكراه.

16- الخروج على الحاكم في الإسلام:

الحاكم في الإسلام موكل من قبل الأمة [1] لإدارة شؤونها وتنفيذ شرائعها وقوانينها وكلته لاتصافه بأهلية هذه الوكالة في نظرها –وهو الأصل في التوكيل- وحق عزل الموكل يبقى في يد موكله[2] عندما ينحرف هذا الموكل عن أداء دوره والعمل المنوط به إدارته وهذا أمر جلي لا يحتاج إلى بيان، وقد بيّن علماء الأمة الأقدمون منهم والمعاصرون هذا الأمر وقننوه ووضعوا له القواعد وفق ما لديهم من نصوص الكتاب والسنة النبوية الشريفة فما موقع حكامنا يا ترى من هذا الأمر وما مدى وجوب عزلهم والخروج عليهم... يقول تعالى: "فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول" النساء 59. وقد بين العلماء أن معنى هذا الرد هو الرد إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

يقول الدكتور عبد الله النفيسي في كتابه (عندما يحكم الإسلام) ص141 وما بعدها تحت عنوان "الإسلام والخروج على الحاكم":

(تدور هذه الأيام حوارات ساخنة في الأوساط الإسلامية حول مدى شرعية الخروج على الحكام في عصرنا هذا، بعض الذين يتصدرون للعمل الإسلامي نلاحظ عليهم حماس مضاد لكل فترة تؤيد الخروج على الحكام وأكثر من ذلك فهم قد غلوا في موقفهم واتهموا كل من لا يرى رأيهم بالغباء وقلة الفقه والخروج عن الملة في كتابات لبعضهم ... ونحن ننصحهم والدين النصيحة بالابتعاد عن هذا الغلو ونطالبهم كاخوة في الله أن يتقوا الله ويحذروه وألا يحسنوا الظن كثيراً بأنفسهم ويسيؤوا الظن كثيراً بإيمان غيرهم وإذا اختلفنا في هذه القضية فليكن الخلاف رفيعاً:

ونحن نقف في هذه القضية مع الذين يقولون بالخروج على الأنظمة الحاكمة في أرض الإسلام اليوم ونقف هذا الموقف استناداً إلى دليلين 1-الدليل الشرعي. 2-الدليل العقلي.

1- الدليل الشرعي:

يقول جل القائل في كتابه الكريم: "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون" المائدة 44. "فاحكم بينهم بما أنزل الله" المائدة 49. "فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم" النساء65. "ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها"

طريقة أمكنهم من تعريض أو تغيب أو مصانعة فإذا لم يكن إلا بالهجرة تعينت، ولا يحل سبهم عموماً بالنفاق لأن السب والرمي بالنفاق يقع على الصفات المذكورة بالكتاب والسنة فيدخل فيها بعض أهل ماردين وغيرهم أما كونها دار حرب أو سلم فهي مركب فيها المعنيان ليست بمنزلة دار السلم التي تجري عليها أحكام الإسلام لكون جندها مسلمين ولا بمنزلة دار الحرب التي أهلها كفار، بل هي قسم ثالث يعامل المسلم بما يستحق ويقاتل الخارج من شريعة الإسلام بما يستحق من أحكام الكفر بالرغم من أن أهلها مسلمون) اهـ (المؤلف).

[1] كون الإمام موكلاً من الأمة هو ليس أمراً مقطوعاً به بل هو أمر مرجوح حيث اختلف العلماء هل الإمام يتصرف مع الأمة بطريق الوكالة لهم أم الولاية، والراجح هو الولاية إذ لو كانت الوكالة لما صحت إمامة المتغلب عليهم بسيفه وهي إمامة صحيحة بالاجماع (فتح الباري ج13 ص7) ولو كانت بالوكالة لجاز لهم عزله بسبب وبغير سبب وهذا باطل إذ لا يجوز عزله والخروج عليه إلا إذا كفر وفي هذا الرد على الكلام المرقوم بالملاحظة (2)

[2] وليس بسبب أي انحراف لحديث ابن عباس مرفوعاً: (من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر) ولو كان بالوكالة لانعزل تلقائياً بمجرد موت أهل الاختيار أو بعضهم ((أهل الحل والعقد)) وهم نواب الأمة في اختياره وبموافقتهم تنعقد بيعته (انظر القواعد الفقهية لابن رجب الحنبلي ط دار المعرفة ص 113-114). (المحقق).

الجاثية. "واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل إليك" المائدة 49. "أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً" المائدة50. "إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله" النساء 15.

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سيلي أموركم من بعدي رجال يعرفونكم ما تنكرون وينكرون عليكم ما تعرفون فمن أدرك ذلك منكم فلا طاعة لمن عصى الله عز وجل) رواه الحاكم والطبراني وهو صحيح.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سيكون عليكم أمراء يؤخرون الصلاة عن مواقيتها ويحدثون البدع، قلت فكيف أصنع.. قال: تسألني يابن أم عبد كيف تصنع... لا طاعة لمن عصى الله) رواه الطبراني في الكبير وهو حديث صحيح.

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليأتين عليكم أمراء يقربون شرار الناس ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها فمن أدرك ذلك منكم فلا يكونن عريفاً ولا شرطياً ولا جابياً ولاخازناً) رواه ابن ماجه وسنده صحيح.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً، فكان من خطبته أن قال: (ألا أني أوشك أدعى أجيب فيليكم عمال من بعدي يقولون ما يعملون ويعملون بما يعرفون وطاعة أولئك طاعة، فتلبثون دهراً ثم يليكم عمال من بعدهم يقولون ما لا يعلمون ويعملون بما لا يعرفون فمن ناصحهم ووازرهم وشد على أعضادهم، فأولئك قد هلكوا أهلكوا، خالطوهم بأجسادكم وزايلوهم بأعمالكم واشهدوا على المحسن بأنه محسن وعلى المسيء بأنه مسيء) رواه الطبراني والبيهقي في الزهد الكبير وهو حديث صحيح) اهـ.

ثم يتحدث الدكتور النفيسي عن هذه النصوص، وفهم الأئمة لها فيقول بأن اجتهادات الأئمة حولها إنما بنيت على أساس أنها – أي النصوص– إنما جاءت لتخاطب الواقع المسلم آنذاك وأن الحكام الذين كانوا يعاصرون الأئمة كانوا يحكمون بما أنزل الله ويضيف الدكتور النفيسي: (فلم يكن يتصور الفقهاء أيامها –وجود حاكم لا يحكم بما أنزل الله بالصورة الكلية والشمولية التي نعيشها اليوم، لم يكن يتصور الفقهاء وجود حاكم يتنكر لشرع الله ويتآمر على الإسلام وينكل بالمسلمين ويوالي أعداء الله كما هو حال حكام اليوم. يقول ابن كثير في معرض تفسير قوله تعالى: "أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون": (ينكر الله تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر، وعدل إلى ماسواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من الشريعة، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم سبواه في كثير ولا قليل).

يعلق الشيخ [1]عبد العزيز بن باز على كلام ابن كثير في كتاب فتح المجيد ص 406 فيقول: (ومثل هذا وشر منه من اتخذ كلام الفرنجة قوانين يتحاكم إليها في الدماء والفروج والأموال ويقدمه على ما علم وتبين له من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. فهو بلا شك كافر مرتد إذا أصر عليها حتى يرجع إلى الحكم بما أنزل الله ولا ينفعه أي اسم تسمى به ولا أي عمل من ظواهر أعمال الصلاة والصيام ونحوها).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية لما سئل عن قتال التتار مع تمسكهم بالشهادتين ولما زعموا من اتباع أصل الإسلام: (كل طائفة ممتنعة عن الالتزام بشرائع الإسلام الظاهرة من هؤلاء القوم أو غيرهم فإنه يجب قتالهم حتى يلتزموا شرائعه وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين وملتزمين بعض شرائعه كالصلاة كما قاتل أبو بكر والصحابة مانعي الزكاة. وعلى هذا اتفق الفقهاء بعدهم،

---

[1] هذا التعليق للشيخ محمد حامد الفقي محقق الكتاب وليس للشيخ ابن باز، بدليل أنه موجود بطبعة أنصار السنة التي لم يعلق عليها ابن باز.

فأيما طائفة امتنعت عن الصلوات المفروضات أو الصيام أو الحج أو عن التزام جهاد الكفار أو غيرهم ذلك من التزام واجبات الدين ومحرماته التي لا عذر لأحد في جحودها أو تركها والتي يكفر الواحد بجحودها فإن الطائفة الممتنعة تقاتل عليها وإن كانت مقرة بها وهذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء، وهؤلاء عند المحققين ليسوا بمنزلة البغاة بل هم خارجون عن الإسلام) اهـ. الفتاوى الكبرى–باب فقه الجهاد.

وقال القاضي عياض: (فلو طرأ عليه –أي الخليفة– أي تغيير للشرع أو بدعة[1] خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته، ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب إمام عادل).

وهكذا نرى أنه ليس هناك أي تناقض بين آراء العلماء حول مسألة الخروج على النظام الحاكم (...) وإعراضه عن شرع الله فالكل مجمع على ذلك كما نقل عن ابن تيمية هذا الإجماع وأشار إليه عندما قال: (وهذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء).

هناك بعض الناس يسيؤون فهم بعض الأحاديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم فمثلاً قوله صلى الله عليه وسلم: (من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم دمه وحسابه على الله عز وجل) قال القاضي عياض حول ذلك: (اختصاص عصمة المال والنفس بمن قال لا إله إلا الله تعبيراً عن الإجابة إلى الإيمان، وأن المراد بذلك مشركو العرب وأهل الأوثان، فأما غيرهم فمن يقر بالتوحيد فلا يكفي في عصمة قول لا إله إلا الله إذا كان يقولها في كفره).

وقد أجمع العلماء على أن من قال لا إله إلا الله ولم يعتقد معناها أو اعتقد معناها ولم يعمل بمقتضاها، يجب أن يُقاتَل حتى يعمل بما دلت عليه من النفي والإثبات يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله). قال النووي في تعليقه على الحديث: (ففيه وجوب قتال مانعي الزكاة والصلاة أو غيرها من واجبات الإسلام قليلها أو كثيرها) ويقول ابن تيمية: (اختلف العلماء في الطائفة الممتنعة إذا أصرت على ترك بعض السنة كركعتي الفجر أو الأذان أو الإقامة عند من لا يقول بوجوبها ونحو ذلك من الشعائر، فهل نقاتل الطائفة الممتنعة على تركها أم لا ... أما الواجبات أو المحرمات المذكورة ونحوها فلا خلاف في القتال عليها وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من عشرة أوجه الحديث عن الخوارج والأمر بقتالهم وأخبر أنهم شر الخلق والخليقة مع قوله: (تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم) فيعلم أن مجرد الاعتصام بالإسلام مع عدم التزام شرائعه ليس بمسقط للقتال فالقتال واجب حتى يكون الدين كله لله، فمتى كان الدين لغير الله فالقتال واجب).

والذين يرون عدم الخروج على الأنظمة الحاكمة اليوم يستدلون خطأ ببعض الأحاديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فمثلاً هناك حديث يقول: (من رأى منكم من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات ميتة جاهلية) هذا الحديث يطرح أمامنا عدة أسئلة: 1- من هو الأمير المقصود في الحديث... 2- ما هو نوعية الكره... 3- ماهي حدود الصبر... 4- وأي جماعة تلك المقصودة في الحديث، أهي الجماعة الكبرى أم الصغرى...

من البديهي أن الأمر الذي ذكره الحديث هو الأمير المسلم فهذا هو المعنى الذي يتمشى مع طبيعة الشرع، ومن ثم يجب على المسلم أن يطيعه لأنه أي الأمير متقيد بالشرع خاضع لأمره، لكن قد يرى المسلم منه بعض ما يكره من السلوكيات الخاطئة من مثل الأمراء الأمويين والعباسيين، لكن هذا ليس مبرراً شرعياً للخروج عليه، ومن هنا فالصبر المعني بالحديث هو وسيلة لمحاصرة هذا

---

[1] تكملة كلام القاضي عياض تُبين أن الخلع واجب في الكافر وليس المبتدع حيث قال: (... وخلعه ونصب إمام عادل إن أمكنهم ذلك فإن لم يقع ذلك إلا لطائفة وجب عليهم القيام بخلع الكافر ولا يجب في المبتدع إلا إذا ظنوا القدرة عليه... الخ) صحيح مسلم بشرح النووي ج12 ص229.

الكره الذي ذكرنا مواصفاته، الكره الذي لا تتجاوز حدوده الفرد إلى حدود الجماعة، وعلى ضوء هذا الفهم يتبين لنا خطأ الذين يحاولون تطبيق هذا الحديث على الأنظمة الحاكمة اليوم.

والذين يرون عدم الخروج على الأنظمة الحاكمة اليوم يستدلون بحديث لست مطمئناً لصحته يقول: (شرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم، قلنا يا رسول الله ألا ننابذهم.. قال: لا.. ما أقاموا فيكم الصلاة)[1] وحتى لو كان الحديث صحيحاً[2] فلا نفهمه بالصورة التي يحاولون من خلال عرضه، يقولون: قال عليه الصلاة والسلام: (ما أقاموا فيكم الصلاة) ويعتقدون أن المقصود هو أنه مادام الحاكم يصلي ولا يمنع الناس من الصلاة فلا يجوز الخروج عليه، وهذا فهم قاصر وغير صحيح ولا يلتقي مع أقوال جمهور العلماء، وبالأخص ابن تيمية في أقواله التي أوردناها في الصفحات السابقة، فالتتار كانوا يقيمون الصلاة، بل منهم من كان فقيهاً متعبداً، ومع ذلك جعل قتالهم واجباً لإيمانهم بالياسق والمقصود بالمنابذة التي ورد ذكرها في الحديث هو نقض البيعة التي أعطاها الناس لهؤلاء الحكام والخروج عليهم يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: "فإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء" أي أعلمهم بنقض العهد الذي بينك وبينهم وفي الحديث إشارة واضحة إلى أن هناك بيعة أعطيت لهؤلاء الأمراء كي يقوموا بأمر المسلمين حسب كتاب الله وسنة رسوله، والبيعة يجب أن تكون عن رضى واختيار، لا عن إكره وإجبار وهي الوسيلة الشرعية في الإسلام لتولي السلطة السياسية مادامت هناك بيعة بين الحاكم والمحكوم بمعنى ذلك أن الحاكم يجب أن يطاع لأن البيعة إلزام للحاكم بالتقيد بشرع الله وإلزام للمحكوم بطاعة هذا الحاكم في حدود الشرع، ومن هنا فإن الأمراء الذين طلب الصحابة منابذتهم والخروج عليهم كانوا يحكمون بما أنزل الله لكن سلوكهم الشخصي لا يرضي المحكومين وأفعالهم تبيح لعنهم من قبل الناس، ومن ثم هم يلعنون الناس كما يلعنونهم، وعلى ضوء هذا يتبين أن المقصود بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (ما أقاموا الصلاة) ليس هو مجرد إقامة الصلاة بحد ذاتها، وإنما لأن الواجب على الأمير المسلم أن يقيم في الناس الصلاة ويأمرهم بإقامتها ويؤمهم ويخطب فيهم الجمعة، فهذا العمل صورة من صور الممارسة الشرعية لمسؤولياته في الإسلام ومادام يقوم بهذا العمل فهذا يعني أيضاً تقيده والتزامه بشرع الله عز وجل لأجل ذلك لا تجوز منابذته وليس المقصود —كما يفهم البعض— أنه مادام الحاكم يصلي ولا يمنع الناس من الصلاة فلا يجوز الخروج عليه وإن لم يكن يلتزم شرع الله (راجع الهامش في الصفحة السابقة) فهذا الفهم يخالف مخالفة صريحة ما كان عليه الصحابة، وأجمعوا عليه وكذلك ما أجمع عليه الفقهاء، وهل يعقل أن يكون المقصود بالحديث هو الحاكم الذي يقيم الصلاة فقط دون بقية أحكام الشرع، إن محاولة تطبيق الحديث على حكام اليوم هي محاولة لدعم الباطل على حساب الإسلام فحكام اليوم وأنظمة هذا العالم المترامي المسمى مجازاً بالإسلامي لم يصلوا إلى الحكم بالطريق الشرعي —البيعة— بل فرضوا أنفسهم على المسلمين بالحديد والنار ودعم القوى الكافرة المتربصة بالإسلام ودعاته الحقيقيين، ومن هنا ينقطع الطريق أمام دعاة الضلالة الذين يحاولون ترقيع الجاهلية بأحكام الإسلام وإلباس هذه الأنظمة الكافرة ثوب الإمامة العادلة، لقد استحلت هذه الأنظمة ما حرم الله في كل قرار تصدره وفي كل خطوة تخطوها في كما نلاحظ لا تقوم على بيعة وقد عطلت الأمة الشورى ومراجعة الحاكم وتسديده وترشيده وعزله، وأخذت تتوسع في إباحة المحظورات الشرعية بل تيسر السبل والوسائل كي تنتشر هذه المحظورات وتسود الواقع، والاستحلال كفر باجماع الأمة لا يخالف في ذلك أحد وبالإضافة إلى ذلك استباحت دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم... فهل هناك براهين على الكفر الصريح أكثر من ذلك، إن حكام اليوم

---

[1] الحديث صحيح رواه مسلم عن عوف بن مالك الأشجعي (صحيح مسلم بشرح النووي ج12 ص244-245). (المحقق).

[2] هذا الحديث ليس فيه إشكال للآتي: أولاً: معنى إقامة السلطان للصلاة هو أن يأمر الرعية بالصلاة ويعاقب تاركها فقد عاقب أبو بكر مانعي الزكاة وقاتلهم فكيف والصلاة عماد الدين وقاس أبو بكر الصلاة على الزكاة، وراجع كلام ابن تيمية في هذا (الفتاوى ج28 ص242). ثانياً: جميع الأحاديث الآمرة بالصبر على الأئمة وعدم الخروج مقيدة بحديث عبادة بن الصامت (إلا أن تروا كفراً بواحاً). (المحقق).

كفروا بما أنزل الله وأعرضوا عنه مهما لبسوا من أزياء الإسلام، وهم يوادون أعداء الله وينصرونهم على جماهير الإسلام والمسلمين وينشرون الفساد في الأرض ويقتلون الذين يأمرون بالقسط والعدل بين الناس —والجماهير لهفي عليها— استسلمت لهذه الأوضاع المنحرفة ودانت لها حتى صبغت تصوراتها وسلوكها وأخلاقها بصبغة الكفر فأصبحت توالي الحكام وتهتف لهم وتتقرب منهم وتعضدهم وتدعمهم على حساب الإسلام، وهي أولاً وآخراً لا تدري ماذا يراد بها وأصبحت لا تحمل من الإسلام سوى اسمه فهل هناك كفراً أكثر بواحاً من هذا.

2- الدليل العقلي:

إن المتأمل في واقع هذه الأنظمة الحاكمة في أرض الإسلام اليوم تتكشف له حقيقة هامة وهي أن هذه الأنظمة لم تتسلم زمام الأمور في بلاد المسلمين اعتباطاً، هذه الأنظمة هي امتداد طبيعي للاستعمار الغربي الكافر وإذا كان من الواجب الشرعي علينا أن نقاتل القوى الاستعمارية الغربية الكافرة حتى يكون الدين لله، فمن البدهي أن نقاتل هذه الأنظمة التي تعتبر الجبهة الإمامية للقوى الغربية الاستعمارية الكافرة، ومن المؤسف أن تتخوف بعض الأوساط الإسلامية من الأساليب الثورية في التغيير، وإذا كانت الثورة —كمصطلح— هي العلم الذي يوضع في الممارسة والتطبيق من أجل تغيير المجتمع تغييراً جذرياً شاملاً —كالتغيير الذي أسسه وكرسه رسول الله صلى الله عليه وسلم— والانتقال بالمجتمع من مرحلة إلى أخرى متقدمة على صعيد تحقيق العدالة الاجتماعية —إذا كانت الثورة كمصطلح تعني ذلك، وهي ما نعلم تعنيه فليست الثورة إذن غريبة علينا كمسلمين ولسنا كمسلمين أيضاً غرباء عن الثورة وإذا كانت الثورة تقف مع مجموع الأمة وإذا كان مجموع الأمة يقف مع الثورة، فإنها لا شك ثورة حق لأن المصطفى صلى الله عليه وسلم أكد أن الأمة لا تجتمع على ضلالة وإذا كانت الثورة تنحاز انحيازاً تاماً لمصالح الأمة ومطالبها وللمستضعفين فيها والجائعين والمعذبين فإنها لا شك ثورة حق لأن الهدف الأساسي من رسالات السماء إلى الأرض كان ومازال تحقيق العدل والقسط وتحطيم الظلم والظالمين، يقول جل القائل: "لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط" الحديد 20 اهـ. ثم يستطرد الدكتور النفيسي فيقول: ناقلاً قول ابن القيم: (إن الله أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي قامت به السموات والأرض فإذا ظهرت أمارات الحق وقامت أدلة العقل وأسفر صبحه بأي طريق كان، فثم شرع الله ودينه ورضاه وأمره والله تعالى لم يحصر طرق العدل وأدلته وأماراته في نوع واحد وأبطل غيره من الطرق التي هي أقوى منه وأدل وأظهر، بل بين بما شرعه من الطرق أن مقصوده إقامة الحق والعدل وقيام الناس بالقسط فأي طريق استخرج بها الحق ومعرفة العدل وجب الحكم بموجبها ومقتضاها، والطرق أسباب ووسائل لا تراد لذواتها وإنما المراد غاياتها التي هي المقاصد ولكنه نبه بما شرعه من الطرق على أسبابها وأمثالها ولن تجد طريقاً من الطرق المثبتة للحق إلا وهي شرعة وسبيل للولاية عليها وهل يظن بالشريعة الكاملة خلاف ذلك...) انتهى كلام ابن القيم [1] وانتهى كلام الدكتور النفيسي.

وهذا ما نراه ونرى أنه من مقتضيات الشريعة، فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لتأمرنّ بالمعروف، ولتنهنّ عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم أخذاً ولتأطرنّه على الحق أطراً ولتقصرنّه على الحق قصراً، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم) ليس من المعقول أن يكون هذا في أمر المظالم الصغيرة من المفاسد ولا يكون في أكبر المظالم وهو إبعاد شرع الله، وانظر إلى حسن الفقه الذي تحلى به الفقيه الجصاص عندما يستخلص من قوله تعالى: "وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات فأتمهنّ قال إني جاعلك للناس إماماً، قال ومن ذريتي، قال لا ينال عهدي الظالمين" يقول الجصاص: (فلا يجوز أن يكون الظالم نبياً ولا خليفة نبي ولا قاضياً ولا من يلزم الناس قبول قوله في أمور الدين فثبت بدلالة هذه الآية بطلان إمامة الفاسق وأنه لا

[1] اعلام الموقعين ابن قيم الجوزية ج4 ص273.

يكون خليفة وأن من نصب نفسه في هذا المنصب وهو فاسق[1] لم يلزم الناس اتباعه ولا طاعته). قال ابن عطية: (الشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام ومن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب)[2]

وقد تقدم معنا قول القاضي عياض: (فلو طرأ عليه –أي الحاكم– كفر أو تغيير للشرع أو بدعة خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب إمام عادل).

ومن هنا كان فهم الصحابة حتى قال أحدهم لعمر عندما سألهم ما يفعلون إن مال بوجهه عن الحق هكذا،... أجابه الصحابي شاهراً سيفه، لقوّمناك بسيوفنا هكذا.

ومن هنا كان فهم أبو بكر الصديق وهو يوجه الصحابة عندما استلم الخلافة بقوله: (أطيعوني ما أطعت الله وسوله فإذا عصيت الله وسوله فلا طاعة لي عليكم) وهو الصديق، رضي الله عنهم جميعاً، ولكن زمان نحس أظل المسلمين، وضربهم فيه الوهن الذي أخبر به رسول الله وهو حب الدنيا وكراهية الموت، جعلهم مطية ذلولاً لكل راكب حتى إن علماءهم وفقهاءهم –إن وجدوا– تراهم أكثر الناس ضعفاً وخوراً وتسويغاً لأحكام الظلم إلا من رحم ربي وهم قليل، فانظر إلى هذا الواقع الأليم وإلى هذا الفهم المتقاعس ثم انظر إلى الفهم الذي كان عليه أسلافنا، فهذا ابن تيمية يجمل الأحوال التي توجب قتال من تلبس فيها، يقول في كتاب الجهاد من الفتاوى الكبرى: (كل طائفة خرجت عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة فإنه يجب قتالها وإن تكلمت بالشهادتين، فإذا أقروا بالشهادتين وامتنعوا عن الصلوات الخمس وجب قتالهم حتى يصلوا وإن امتنعوا عن أداء الزكاة وجب قتالهم حتى يؤدوها، كذلك إن امتنعوا عن صيام شهر رمضان أو حج البيت العتيق وكذلك امتنعوا عن تحريم الفواحش والخمر والزنا أو الميسر أو غير ذلك من محرمات الشريعة في الدماء والأموال والأعراض والأبضاع ونحوها بحكم الكتاب والسنة كذلك إن امتنعوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار إلى أن يسلموا ويؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون وكذلك إن أصروا على البدع المخالفة للكتاب والسنة واتباع السلف مثل أن يظهروا الإلحاد في أسماء الله وآياته، والتكذيب بآيات الله وصفاته، والتكذيب بقدره وقضائه أو التكذيب بما كانت عليه جماعة المسلمين على عهد الخلفاء الراشدين، أو الطعن في السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، أو مقاتلة المسلمين حتى يدخلوا في طاعتهم التي توجب الخروج عن شريعة الإسلام وأمثال هذه الأمور ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟"وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله" ولهذا قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله" وهذه الآيات نزلت في أهل الطائف لما دخلوا في الإسلام والتزموا بالصلاة والصيام، ولكن امتنعوا عن ترك الربا فبين الله تعالى أنهم محاربون له ولرسوله إذا لم ينتهوا عن الربا، والربا هو آخر ما حرمه الله، وهو ما لا يؤخذ برضا صاحبه، فإذا كان هؤلاء محاربين لله ورسوله ويجب جهادهم فكيف بمن يترك كثيراً من شعائر الإسلام[3] أو أكثرها كالتتار، وقد اتفق علماء المسلمين على أن الطائفة الممتنعة عن واجبات الإسلام الظاهرة المتواترة فإنه يجب قتالها وإن تكلمت بالشهادتين)اهـ.

وبعد هذا العرض المسهب ترى ما واجب المسلمين نحو حكامهم الذين بينا حكم الإسلام فيهم وفي أحكامهم، وبينّا أقوال السلف والعلماء في مثل هذه الحالات...

---

[1] لا يجوز عقد الإمامة اختياراً لفاسق أما إذا تغلب فاسق بسيفه ونصب نفسه إماماً فهو إمام شرعي يطاع في طاعة الله ويعصى في معصيته (فتح الباري ج13 ص17-20). (المحقق).

[2] كلام ابن عطية هذا باطل إذ لم يقل أحد بعزل الإمام إذا لم يستشر، انظر مبررات العزل في (الأحكام السلطانية للماوردي ص17-20) (المحقق).

[3] طبعاً لم يذكر ابن تيمية ولم يتساءل، فكيف بمن استبعد الحكم بما أنزل الله كلياً واعتبره سبة ورجعية، واستحدث حكماً أرضياً وضعياً؟! ولم يتساءل عمن حارب الدعاة إلى الله ومنع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها.. وكذلك لم يخطر بباله أن يحصل هذا في بلاد الإسلام ... ثم يقف محتاراً ليتساءل أيجوز القتال أم لا ؟! (المؤلف).

هل وجب خلعهم أم لا؟!. هل جاز الخروج عليهم أم لا؟! هل وجب إسقاط حكوماتهم لإقامة الحكومات الإسلامية على أنقاضها أم لم يجب بعد؟!

17 – وجوب العمل على خلع الحكام الحاليين وإقامة الحكم الإسلامي على أنقاض حكوماتهم:

(اتفق العلماء سلفاً وخلفاً على وجوب نصب الإمام المسلم في بلاد المسلمين ليقوم بتنفيذ الأحكام وفق أحكام الشريعة الإسلامية وقد أجمعت كل طوائف المسلمين على ذلك ولم يخالف فيه إلا طائفة واحدة بادت والحمد لله –هي قسم من الخوارج اعتبروا نصب الإمام جوازاً لا وجوباً. فالقرآن الكريم يقول: "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم" فنص على أن الطاعة لله ولرسوله ولأولي الأمر وحدد (منكم) أي من المسلمين المؤمنين بشرع الله ورسالة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وكيف تكون الطاعة لولي الأمر إن لم يكن موجوداً فوجب إذن تنصيبه ثم طاعته يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم) ويقول: (إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم) ومدلول هذين الحديثين أنه يشرع لكل عدد بلغ ثلاثة فصاعداً أن يؤمروا عليهم أحدهم لأن في ذلك السلامة من الخلاف الذي قد يؤدي إلى التفرق إذا استبد كل مهم برأيه (....) وإذا شرع هذا في فلاة من الأرض أو مسافرين فشرعيته أولى لعدد أكثر يسكنون القرى والأمصار ويحتاجون لدفع الظلم والفصل في الخصومات)[1].

(أجمع المسلمون وأصحاب الرسول خاصة وهم أدرى الناس باتجاهات الإسلام على أن يقيموا على رأس الدولة من يخلف الرسول صلى الله عليه وسلم، وما إن تحقق أبو من وفاة الرسول حتى خرج على الناس يقول لهم: (إلا إن محمداً قد مات ولا بد للدين ممن يقوم به) فترك الصحابة تجهيز التبي ولم يدفنوه حتى أقاموا أبا بكر خليفة له والإجماع مصدر من مصادر الشريعة يلزم المسلمين كما يلزم النص)[2].

- يقول ابن خلدون في مقدمته: (إن نصب الإمام واجب، وقد عرف وجوبه في الشرع باجماع الصحابة والتابعين لهم، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته بادروا إلى بيعة أبي بكر رضي الله عنه وتسليم النظر إليه في أمورهم، وكذا في كل عصر من بعد ذلك، ولم يترك الناس فوضى في عصر من العصور، واستقر على ذلك اجماعاً دالاً على وجوب نصب الإمام).
- يقول الماوردي في الأحكام السلطانية (عقد الإمامة لمن يقوم بها واجب بالإجماع).
- يقول ابن القيم في كتابه الطرق الحكمية (إن الأحكام الشرعية لها طرق شرعية لتنفيذها، ولا تتم مصلحة الإمة إلا بها ولا تتوقف على مدعٍ ومدعى عليه، بل لو توقفت على ذلك فسدت مصالح الأمة واختل النظام، يحكم فيها متولي بالأمارات والعلاقات الظاهرة والقرائن البينة ولما كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتم إلا بالعقوبات الشرعية، فإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن فإقامة الحدود واجبة على ولاة الأمور).
- ويقول ابن تيمية في كتاب السياسة الشرعية: (يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين بل لا يقام الدين إلا بها فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم لبعض ولا بد لهذا الاجتماع من رأس حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم) وجاء في مسند أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم

[1] نيل الأوطار للشوكاني ج8 ص496.
[2] الإسلام وأوضاعنا السياسية للشهيد عبد القادر عودة.

قال: (لا يحل لثلاثة أن يكونوا بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم) فأوجب صلى الله عليه وسلم تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر تنبيهاً بذلك على سائر أنواع الاجتماع) اهـ.

- شروط الحاكم أو الإمام المسلم:

ذكر الفقهاء شروطاً كثيرة للإمامة واختلفوا إلى حد ما في وجوب بعض هذه الشروط وتفصيلاتها، ولكنهم اتفقوا على شروط أساسية[1]:

(1) – الإسلام: يشترط في الإمام أن يكون مسلماً حيث قال تعالى: "لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين" وهذا تحريم عام والحكم من الولاية بل من أهمها.

(2) – الذكورة: لا يحل الإسلام أن تتولى أمور المسلمين امرأة حيث قال صلى الله عليه وسلم: (لن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة).

(3) – التكليف: يشترط أن يكون الإمام بالغاً عاقلاً فلا تجوز إمامة الصبي ولا المجنون.

(4) – العلم: يشترط فيه أن يكون عالماً بأحكام الإسلام حتى يقوم بتنفيذها وقد ذهب بعضهم لاشتراط وصوله مرتبة الاجتهاد.

(5) – العدل: يشترط فيه أن يكون عدلاً لأنه يتولى منصباً يشرف فيه على أمور الأمة ويفصل فيها.

(6) – الكفاية: يشترط فيه أن يكون كفؤاً ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟ المسند إليه قادراً على توجيه الإدارة والسياسة.

ونستنتج أن إمامة المسلم العادل العالم الكفؤ واجب في الإسلام ولما كان الأمر الذي لا يتم الواجب إلا به واجباً فإنه حتى نتمكن من تنصيب إمام مسلم عالم عادل كفوء لا بد من خلع من آل إليهم الحكم زوراً وبهتاناً وقام الدليل الشرعي والعملي على ردتهم وكفرهم، بل وخلع حتى من قام الدليل والحجة على فسقهم وانحرافهم ومجاهرتهم بذلك وافتقارهم للشروط المذكورة فضلاً عن ثبوت خيانتهم لله ورسوله والمؤمنين وموالاتهم لأعداء الله (كما مر معنا سابقاً).

- واجب الحركات الإسلامية نحو الحكام:

أقمنا الدليل (كما سلف) على أن حكام المسلمين هم على النحو الذي سلف وبينا أن خلعهم وإسقاط حكوماتهم وإبطال أحكامهم وقيام الحكم الإسلامي على أنقاضهم واجب مفروض على المسلمين جميعاً وهم آثمون لعدم قيام أحد بهذا الأمر ليكفي الآخرين هذا الفرض.

ولما كانت الحركات الإسلامية قد آلت على نفسها أن تحمل هذا الواجب ورفعت شعارات شتى تدل على تصديها للعمل على إعادة الحكم الإسلامي فمن الواجب على قادتها ومسؤوليها وأفرادها العمل على تنفيذ هذا الأمر والتصدي له، فمن كانت من تلك الحركات قادرة عليه مستندة إلى تأييد جماهيري وشعبي إسلامي واسع، فقد وجب عليها التصدي لهذا الأمر ومن لم تكن في هذا المستوى وجب عليها أن تعمل لتصل إلى مستوى الإمكانية، ومن ثم وجب عليها العمل الجاد على إسقاط الحكومات الفاسقة الجائرة المرتدة وإقامة الحكم الإسلامي، وما عاد نافعاً التستر بأعذار الضعف وقلة العدد والعدة والخوف من القوى العظمى وسرد الأعذار الواهية... فالله تعالى يقول: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة" وقد حدد لفظ ما استطعتم من قوة" وقد حدد لفظ ما استطعتم أي ما بلغتم من الاستطاعة ولم يقل ما يلزم ويكفي حسب تصوركم ... وقال: "كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله" وقال: "إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد".

[1] من كتاب الإسلام وأوضاعنا السياسية للشهيد عبد القادر عودة (باختصار وتصرف).

- واجب الشعوب الإسلامية نحو الحكام:

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليأتين عليكم أمراء يقربون شرار الناس ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فمن أدرك ذلك منكم فلا يكونن عريفاً ولا شرطياً ولا جابياً ولا خازناً) رواه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة.

وقال: (سيلي أموركم من بعدي رجال يعرفونكم ما تنكرون وينكرون عليكم ما تعرفون فمن أدرك ذلك منكم فلا طاعة لمن عصى الله عز وجل). رواه الحاكم من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

وقال: (سيلي أمراء ظلمة خونة فجرة... فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم ليس مني ولست منه ولا يرد على الحوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه وسيرد على الحوض) وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم يحدث بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل....

وغير هذا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الباب كثير... وقد أظلنا زمان وجاءنا هؤلاء الحكام الذين تحدث عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وشر منهم فواجب المسلمين اليوم:

أولاً: أن يحاول لك واحد منهم ألا يكون مع هذا الجهاز الحاكم في وظيفة ولا فئة تثبت أركانه وتحميه، فيحاول ألا يكون عريفاً ولا شرطياً ولا جابياً ولا خازناً لهم وهذا يعني أن لا يعينهم بعمل ولو تحت ضغط الحاجة فإن الله هو الرزاق ذو القوة المتين. يروى أن أحد الأئمة عليهم رضوان الله أدخل السجن في حكم أحد الخلفاء الظلمة... وكان عنده سجاناً، وذات يوم سأل السجان الإمام: هل أنا من الذين ظلموا أنفسهم لأني سجان... (وقد كان سجاناً في سجن عام –مجرد موظف–) فقال: بل... أنت من الظالمين، أما الذين ظلموا أنفسهم فهم: خياط يخيط للظالمين الثياب أو بائع يبيع لهم. فانظروا أيها المسلمون لأنفسكم وموقعكم... ولا يعتذر أحد بفاقته وحاجته فالله هو الكافي.. وبهذا الاعتزال ستفرز فئة الحكام وأعوانهم وسيسهل على المسلمين تحديد الموقف منهم ويكونون مجموعة من الظلمة لا خير فيهم......

ثانياً: أن لا يكون في قلوب المسلمين نحو هؤلاء الحكام أي نوع من الولاء والطاعة والتأييد بل يجب أن يحقق الخروج عليهم بقلبه على الأقل وبلسانه إن استطاع حتى يأتي اليوم الذي يجاهدهم فيه بيده وإنه لآت إن شاء الله... وكما نص الحديث الشريف: (لا طاعة لمن عصى الله عز وجل). ونستفيد من الحديث الثالث أنه على المسلم أن لا يصدق هؤلاء الحكام بكذبهم ولا يعينهم على ظلمهم وإلا حصلت براءة الرسول صلى الله عليه وسلم منه ومنع من الورود على حوضه كما نص الحديث.

ثالثاً: أن يحاول المسلم أن يتدرج في موقفه –وكل حسب طاقته– أن يجاهدهم بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وهذا يعني التبرؤ منهم والدعاء عليهم والابتهال إلى الله أن يخلص المسلمين منهم ... ويجب أن يفكر المسلم بألا يكون فقط في مرتبة أضعف الإيمان بل عليه أن يفكر بالارتقاء إلى مرتبة الجهاد باللسان ثم باليد ولا سيما إذا قامت فئة مؤمنة مجاهدة لحرب هؤلاء الظلمة فعليه أن يبذل لها التأييد بالقلب واليد واللسان –كل حسب طاقته– لا يكلف الله نفساً إلا وسعها... ويجب أن نعلم أن التغيير لن يحصل على يد فئة تأخذ بالرخص وترتضي أضعف الإيمان.... بل على يد أصحاب العزائم والهمم، أصحاب الإيمان الراسخ –جعلنا الله جميعاً منهم–.

وفي هذا السياق يقول الشهيد عبد القادر عودة تحت عنوان (ذلكم هو حكم الإسلام) (وهكذا يوجب الإسلام على كل مسلم عصيان الحكام والحكومات فيما يؤمر به من معصية الخالق ويحرم الإسلام على كل مسلم أن يطيع قانوناً أو أمر يخالف شريعة

الإسلام ويخرج على حدود ما أمر الله به. وهكذا يأمر الإسلام كل مسلم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيأمر بما أمر به الله، وينهى عما نهى عنه الله ويوجب الإسلام على كل مسلم رأى منكراً أن يغيره بيده كلما استطاع إلى ذلك سبيلاً وإلا فبلسانه وقلمه، فإن لم يستطع فبقلبه –لا يكلف الله نفساً إلا وسعها– هذا هو حكم الإسلام وتلك سبيل المؤمنين. وقد أظلنا زمن فشا فيه المنكر وفسد أكثر الناس فالأفراد لا يتناهون عن منكر فعلوه، ولا يأمرون بمعروف افتقدوه، والحكام والأفراد يعصون الله ويحلون ما حرم الله والحكومات تسن للمسلمين قوانين تلزمهم الكفر وتردهم عن الإسلام. فعلى كل مسلم أن يؤدي واجبه في هذه الفترة العصيبة، ومن واجب كل مسلم سواء كان موظفاً أو غير موظف، قاضياً أو غير قاض أن يهاجم القوانين والأوضاع المخالفة للإسلام وأن يهاجم الحكومات والحكام الذين يضعون هذه القوانين ويتولون حمايتها وحماية الأوضاع المخالفة للإسلام وعلى المسلمين في أنحاء الأرض أن يتعاونوا على تغيير القوانين والأوضاع المخالفة للإسلام وتحطيمها بأيديهم فإن عجز أحدهم أو بعضهم عن الاشتراك في تحطيمها بيده فعليه أن يسل عليها لسانه وأن يهاجمها بقلمه متعاوناً مع اخوانه الذين يستطيعون التغيير بأيديهم فإن عجز أحد المسلمين أو بعضهم عن العمل أو القول الذي يهدم به القوانين أو الأوضاع المخالفة للإسلام، فعليه أن يهدمها في نفسه وأن يلعنها ويلعن القائمين عليها في قلبه، وكفى المسلمين أداء لواجبهم ونجاحاً فيه أن يتعاون أقصاهم وأدناهم وأقواهم وأضعفهم إيماناً على تغيير المنكر وهدم هذه الأصنام والطواغيت.[1] اهـ.

ويقول: (وقد أجمع أصحاب الرسول وفقهاء الأمة ومجتهدوها على أن طاعة أولي الأمر لا تجب إلا في طاعة الله ولا خلاف بينهم أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وأن إباحة المجمع على تحريمه كالزنا والسكر واستباحة إبطال الحدود وتعطيل أحكام الشريعة، وشرع ما لم يأذن به الله، إنما هو كفر وردة وأن الخروج على الحاكم المسلم إذا ارتد واجب على المسلمين وأقل درجات الخروج على أولي الأمر هو عصيان أوامرهم ونواهيهم المخالفة للشريعة)[2]

وبعد هذا الاستعراض لقضية الحكم والتحاكم في الإسلام من الناحية الشرعية وحكم الإسلام فيمن حاكم وتحاكم لغير ما أنزل الله، وبعد استعراض واقع المسلمين السياسي وأنظمة الحكم القائمة في بلادهم وبعد التعرض لحكم الإسلام على هذه الأنظمة انطلاقاً من الفقرة السابقة لها، وما بيناه فيها، وبعد التعرض لحكم الدار التي نحن فيها شرعاً، قادنا الحديث للقضية المعاصرة الشائكة وهي حكم الخروج على الحكام الحاليين. وبعد هذا الاستعراض المسهب المشفوع بالدليل الشرعي والسياسي والمنطقي العقلي نعود للسؤال الكبير الذي طرحناه بعد استعراض حال المسلمين ومواصفات الصحوة الإسلامية ودور الحركات الإسلامية فيها، السؤال الذي تطرحه الملايين من المسلمين المتلهفين .. ما هو الحل؟؟؟ ما طريق الخلاص؟؟؟ وسنحاول في الفقرة التالية الإجابة على هذا السؤال من وجهة نظرنا والله الموفق...

18 – حتمية الحل الجهادي:

إن الواقع الأليم والمرير القائم في البلاد الإسلامية بسبب قيام أنظمة حكم غير إسلامية بدأ يفرز نتائج عملية من الضغط الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والنفسي أصبحت مشاكل يومية ملحة تضغط على الشعوب المسلمة، هذا فضلاً عن بعد هذه الأنظمة عن الإسلام، وارتدادها والقائمين عليها كما بينا.. وقد أصبح مجرد الكلام والتفكير في هذه الحال المزرية التي وصلت إليها البلاد والعباد تهمة سياسية يؤخذ عليها بالنواصي والأقدام، هذا ناهيك عن التعرض لشكل الحكم بالنقد والإيضاح للحالة الفاسدة التي هو فيها. يتحدث الدكتور عبد الله النفيسي عن الحالة القائمة في البلاد العربية –وهي الشريحة الرئيسية في العالم

[1] الإسلام وأوضاعنا القانونية (الشهيد عودة).
[2] الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه (الشهيد عودة).

الإسلامي والمسؤولة عن دور الصدارة والقيادة فيه- فيقول: (في عالمنا العربي المعاصر الحافل بضروب العسف والقهر والقمع والظلم والجور والامتهان للإنسان، يحاول النظام السياسي العربي —بشتى راياته ومسمياته- أن يغرق المواطن في بحر من اليأس والتسليم، اليأس من التغيير الجذري للأوضاع وبالتالي التسليم لها ولجبروتها، ولا يدخر النظام السياسي العربي وسعاً في تمرير رسالته اليومية للمواطن: أنه —أي النظام- جاء ليبقى وليبقى مدى الحياة ويحاول النظام أن يحيط نفسه بكافة المتكآت المادية والمعنوية لتأكيد هيبته وقوته وسيطرته على الأوضاع، وأحياناً يلجأ لفرض هيبته بطريق معاكس، أقصد التبسط المبالغ فيه والتواضع غير الطبيعي وغير المعهود من هذا النظام: قوي(!) متماسك واثق من خطاه، يعرف أهدافه ووسائله، له خطه، على رأسه رجل فذ ذكي مفرط الذكاء يقظ يقرأ كثيراً، يعمل كثيراً، وفوق هذا وذاك متيم بحب الشعب وكل ما هو شعبي.. هذه هي رسالة النظام الإعلامية اليومية، وينقل هذه الرسالة جيش من أُجَراء النظام مدرسين...موظفين... طلاب طالبات... أئمة المساجد... صحفيين ورؤساء تحرير صحف، مذيعين ممثلين... بائعات هوى..قوادين... تجار خمور وحشيش وذهب، وفعاليات اقتصادية وما أدرال ما الفعاليات.... فسرطان النظام تسرب لكل ضروب الخلايا الاجتماعية. ويدخل النظام في روع المواطن المستلب عن طريق الجريدة والمذياع والمدرسة والجامعة والتلفاز أن السياسة حشيش، شيء يحظره القانون وتأباه الأعراف الأسرية وأن للسياسة رجال في الحكم يعرفون أكثر، ويفهمون أكثر، ويلمون بأمور أكثر، ويطلعون أكثر، وحسب المواطن أن يأكل العلف كل يوم، ويرعى في المراعي كل يوم ويحلبه الرعاة كل يوم، وفي آخر النهار يعود إلى الحظيرة كأي سائمة، لا ينطق حرفاً صائباً ولا يكتب جملة مفيدة، يملأ جوفه وينزو على أنثاه، ويتقلب على ظهره كالبعير في المراغة ويهذي ثم ينام من غير أن يتجافى جنبه عن المضجع ويشخر شخير من مات قلبه.. هكذا يريدون المواطن العربي وهكذا يكون عندهم صالحاً، لكن —وهذه حقيقة يعرفها الكل- ما هكذا أراده الإسلام ولا هكذا أرادته الشريعة الإسلامية ولا هكذا يكون المواطن في الإسلام) اهـ.

ويضيف: (والسياسة برأيي المتواضع ليست حشيشاً أو شيئاً يجب أن يحظره القانون وإنما السياسة هي الإدارة العامة لشؤون الناس وهذه الإدارة إما أن تفضي إلى عدل أو ظلم والقرار السياسي في محصلته النهائية هو الذي يحدد طبيعة التعليم الذي نتلقاه وطبيعة الطعام الذي نأكله وطبيعة المسكن الذي نسكنه (...) نحن مادة القرار السياسي الذي يتخذه رئيس الجمهورية أو الأمير أو الملك... نحن المعنيون به.. نحن ضحاياه أو فرسانه (.......)

من أجل هذا وقف الإسلام في كافة التشريعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية موقفاً حاسماً من قضية المشاركة الشعبية في القرار السياسي ولصالحها فللمسلمين الحق في محاسبة حكامهم)[1] .اهـ.

وطبيعي أنه لن يتسنّى لأعمال الإصلاح فضلاً عن أعمال التغيير السياسي أن تؤتي أكلها إن لم تنتظمها برامج معدة تنتهي بأهداف مبتغاة ويقوم على تنفيذها جماعة من المؤمنين بها، ومن هنا كان الواجب على المسلمين في ضوء ظروفهم التي بينا آنفاً من غياب أحكام الإسلام وما أسفر عنه هذا المنكر من مناكير فرعية لا تعد ولا تحصى... نقول أنه من الواجب على المسلمين أن تنتظم صفوفهم بشكل جماعي يهدف إلى إسقاط هذه الأوضاع والقائمين عليها سعياً وراء إحداث التغيير الجذري الإسلامي الشامي وتوحيد العالم الإسلامي وإعادة الخلافة — وقد بشر الرسول صلى الله عليه وسلم أنها ستعود.

لقد أقمنا فيما سبق على نقاط أساسية نرتكز عليها في تحديد الحتمية الجهادية كحل لهذا الواقع المرير وهي:

أ : كفر الحكومات والحكام القائمين على أنظمة وضعية مرتدة وبطلانها وأنظمتها شرعاً فضلاً عن خيانتها لله ولرسوله وللمؤمنين.

[1] في السياسة الشرعية عبد الله فهد النفيسي

ب: وجوب الخروج على الحاكم إن ظهر عليه الفسق المعلن واستباحته للمحرمات حتى ولو لم يكن مرتداً، فمن باب أولى إن كان كحكامنا المرتدين.

ج: وجوب العمل لنصب الإمام المسلم وإقامة الحكم الإسلامي.

د: وجوب قتال الطوائف الممتنعة إن امتنعت عن أداء الفروض والواجبات الشرعية واستحلت محارم الله حتى ولو شهدت الشهادتين.

وبعد ... فهذه الحكومات ليست وليدة ليلة وضحاها وليست وليدة صدفة عابرة ... إنها استمرار لأوضاع استعمارية، ومخططات قوى الكفر الدولية اليهودية والصليبية والإلحادية... فهي قائمة لتحقيق مصالحها ومصالح من ورائها، ولن يكون زوالها باليسير الهين ولا بالتعبير عن رغبتنا في زوالها وفق الأساليب الهشة، ولا بالانخداع بهذه الأجواء الديمقراطية التي يحاولون إيهامنا بالعمل لها.

وبعد هذا البيان .. ترى هل كان المسؤولون عن سير الحركة الإسلامية في مختلف البلاد الإسلامية على مستوى القضية؟! لقد تعددت الطرق والسبل وتنوعت الخطط والمناهج ولكن تراها إلى أين؟؟ إن استعراضاً للطروحات الموجودة في الساحة الإسلامية يقودنا إلى تصنيفها في عدة أقسام....

(1) جماعات الإصلاح الجزئي:

وهي جماعات قامت في عموم بلاد المسلمين، وتصدت لزوايا جزئية من الإسلام تعمل بها؛ كأعمال البر بأشكالها وأنواعها، والنهي عن المنكرات التي لا تعد ولا تحصى... فأنشئت الجمعيات الخيرية لرعاية الأسر الفقيرة وليدة هذه الأوضاع الفاسدة، وقامت أخرى للحض على جباية الزكاة، وتفرغت ثالثة لتعليم القرآن الكريم وتحفيظه ورعاية أطفال المسلمين وتربيتهم تربية إسلامية صالحة... ورأى آخرون أن العلة في سوء فهم أبناء المسلمين لإسلامهم وإعراضهم عنه فشكلت جماعات التبليغ والدعوة والإرشاد وانتشرت في طول البلاد وعرضها تنذر الناس وتذكرهم وتعظهم وتعلمهم أركان دينهم عبر الحلقات والخطب والدروس، وقد قامت هذه الجهود المشكورة بأعمال جليلة كان لها أثر كبير في انتشار الوعي الإسلامي والعودة النفسية على الأقل إلى الإسلام لدى قطاعات كبيرة من الناس، ولكن هل تحقق جهود من هذا الشكل عودة الحكم الإسلامي؟؟؟ إنها لن تحقق –والله أعلم– وإن كانت تساعد في ذلك، لأنها جهود في زوايا كثيرة ومبعثرة.. ومن المنطق أنه عندما يكون لدينا مريض مصاب بالحمى وقد ظهرت عليه أعراضها من صداع وحرارة وبرودة وإسهال.. الخ، من المنطقي أن لا نفكر بمعالجة أعراضه بل بالانصراف لعلاج أساس المرض وسببه، ترى ماذا ستكون النتيجة إن أعطيناه مسكناً لصداعه ومعالجاً لحرارته ورمينا فوقه بعشرات الأغطية للبرداء التي تعتريه وأعطيناه الحبوب المانعة للإسهال.. الخ، وتناسينا أساس البلاء وفيروس الحمى.. إنه لا شك من سيئ إلى أسوأ وقد تأتي عليه الحمى، ولكن طبيباً مدركاً سبب الحمى وجرثومها يتصدى لها بدوائها المخصص فتزول الحمى وتنتهي الأعراض إن شاء الله.. وهذا ما نحن فيه.. أنتصدى للسفور أم للإعلام الفاجر العاهر من مذياع وتلفاز وصحف ومجلات وسينما.. أم للدعارة المباحة المتاحة؟؟؟ أم للمراقص والملاهي وحانات السكر العلنية أم لأفكار الإلحاد والفسق والانحراف؟؟ أم.. وكلها أعراض غياب حكم الله وسلطانه.

إن هذه الجهود لن توصل لإقامة حكم إسلامي، لأنه ليس من أهدافها أصلاً وقد قامت مستبعدة كل طرح في السياسة مهما كان، وبذلك حددت اختصاصها في الدعوة والإصلاح الجزئي عن اختيار وقصد مسبق.. وهي تظن أنها ستغير المجتمع بإصلاح كل أفراده أو جلّهم، ولكنها خسرت السباق حتى الآن، فإنه في الوقت الذي يتمكن فيه هؤلاء المصلحون من إصلاح فرد في هذه الأمة –التي ضل جلها– وانتشاله من حمأة الجاهلية والفساد، يقوم النظام المرتد وأجهزته الكافرة بإفساد

ضمائر الناس بشتى الأشكال ويقوم الإعلام والتلفزيون الفاجر وما يتاح من فرص دعارة وتقدمية مزعومة بإفساد مئة بل قل ألفاً من أفراد الجيل مقابل ذلك المهتدي، هذا إذا لم يضل قسم من المهتدين وقد حصل، فهذه معركة خاسرة وسباق خائب رغم الجهود المشكورة، وأكبر دليل على ذلك سؤال نسأله: هل ينحدر المجتمع أم يرتفع إجمالاً؟! ولا يستشهد قائل بزحمة المساجد وانتشار الحجاب... فما النسبة المئوية لهذه الظاهرة العاطفية قياساً للمجتمع... وتبقى هذه الجهود الإصلاحية لازمة ومفيدة وجزى الله أصحابها كل خير ولكنها ليست الحل. وما كان طرحها على مستوى الأزمة بحال من الأحوال برأينا والله أعلم.

(2) الحركات الإسلامية الشاملة الأهداف:

تصدت جماعات أخرى ودعاة كبار وحركات قائمة بأجهزتها وقواعدها للقضية بشمول أكبر من الناحية النظرية على الأقل.. فطرحت الأهداف الجدية في إعادة الإسلام لدوره الطبيعي والأساسي فعرفت الإسلام على أنه مصحف وسيف.. دين ونظام للدنيا والآخرة.. واتسمت بطابع الدعوة الشاملة والطرح السياسي فقدمت للأمة جديداً.. ولم يمض وقت حتى اكتسحت الوسط الإسلامي ونظمت جهود الكثير من المخلصين.. ولكن هل كانت هذه الحركات في السلوك العملي والتطبيق على مستوى الأهداف المرفوعة أو لنقل على مستوى الأزمة ووجوب ما تقدم من مواقف؟

إن الدارس والملاحظ لتطور الحركة الإسلامية المعاصرة يجدها قد تصدت لقضية الحكم عن طرق ثلاثة:

أ— طريق الدعوة وتحمل الأذى: وقد بدأ هذا الطريق في زمن يناسبه ويتناسب مع ضيق القاعدة الإسلامية الواعية المعتقدة والمؤمنة بشمول الإسلام للجوانب السياسية كشموله للجوانب الأخرى.. ولكن بدل أن يتطور هذا الأسلوب تناسباً مع حجم القاعدة الإسلامية المتوسع، وبروز المشاكل والقضايا المعاصرة، والمواقف الحكومية التي تستوجب موقفاً إسلامياً صارماً، انتقلت الدعوة لمرحلة برزت فيها نظرية (دعاة لا قضاة) وتطورت وتشعبت وحملها القادة الدعاة أكثر مما حملها صاحبها نفسه رحمه الله، وطغت نظرية التغيير القاعدي عن طريق الانتشار الأفقي في الجماهير وتبيان الإسلام وأحكامه في القضايا المختلفة... والاقتصار على طريق الدعوة مع تجنب أي شكل من أشكال المواقف العملية المباشرة لقضية الحكم، رغم بلوغ الدعوة في بلاد شتى كمصر وسوريا وغيرها مرحلة تمكن الدعاة من التحول للجانب العملي، وظهرت نظريات متعددة لاستمرار طريق الدعوة متجنبة كلها أي شكل من أشكال التغيير الجذري عن طريق القوة واستبعد الجهاد بشكله العملي واقتصر على مرهفات الألسنة وأسنة الأقلام.

ولم ترض الأنظمة من الدعوة والدعاة حتى هذا الشكل المسالم من الإسلام فعمدت للقمع والضغط والإرهاب والتنكيل وهتك الأعراض وسفك الدماء —بادئة العداء– وكان حرياً بالقائمين على الدعوة أن يستفيدوا من التجارب المتكررة في بلدان شتى وفي البلد الواحد لأكثر من مرة.. ويتخذوا موقفاً ما يدافعون فيه عن كيانهم ووجودهم وعن دمائهم وأعراضهم.. لكن ما زادهم الضغط والتنكيل إلا استكانة وسلمية، ويروي أحدهم في كتاب له أن (الطاغوت الهالك) عبد الناصر أدخل في ليلة واحدة أثناء قمعه للإخوان المسلمين سبعة عشر ألف معتقلاً من أنحاء مصر.. وتكررت المأساة في مصر وفي غيرها... وما استفاد الدعاة من التجربة الناصرية المرة بل على العكس...ظهرت تصريحات شاذة.. منها التصريح بأننا لسنا طلاب حكم ولا سلطة! وكأن هذا جريمة محرمة على المسلمين حلال لكل كافر وملحد ومرتد —بل نحن دعاة نبين ما أراد الله ونصبر ونتحمل حتى يفتح الله بيننا وبين قومنا بالحق!.

وظهر من يقول بضرورة العمل عبر التكتلات السياسية مستفيدين من ظروف الديمقراطية وتطور هذا الاتجاه حتى ظهر بشكل انحراف عقيدي وفكري عن طريق التحالفات والدخول في تكتلات غير متجانسة مع مرتدين وكفرة والاشتراك في المعارضة

متذرعين بالإصلاح المتدرج وإيصال صوت الإسلاميين رسمياً.. ودخلت الكثير من الحركات الإسلامية دوامة الانتخابات في بلادها حيث سمح لها... وأدخلت في الحلقة السياسية المفرغة.

فهل آتت هذه الحلول أكلها...؟ هل كانت على مستوى الشعارات والأهداف المطروحة...؟ هل كانت على مستوى المشكلة في ردة الأنظمة والحكام وجدية التصدي لها؟ هل تجنبت المزالق غير الشرعية في دخولها هذه الحلول ووقوفها موقف المستكينة إن لم نقل المهزومة..؟ سؤال نطرحه ليجيب عليه الواقع.

ب— طريقة التحالف مع النظام الحاكم نفسه أو مهادنته:

وقد عمدت إليه بعض الحركات الإسلامية، حيث أتاح لها النظام ذلك بهدف ضرب الاتجاهات اليسارية فتمددت وتوسعت وحققت بعض الإصلاحات والمكاسب الوقتية ولكنها بقيت في توسعها رهن ما أتاحه ذلك النظام في عدم تجاوز خطوط بعينها، والسؤال الذي يطرح نفسه: أن حركة بلغت من القوة والامتداد والتوسع ما بلغته، لم لا تعمد إلى بذل الجهد في احتمال ممكن ومعقول لاستلام الحكم بحركة جهادية جادة وبالقوة...سيقال: التخطيط السليم... الإعداد المبرمج... الخ... وأننا سنقود النظام لإقامة الحكم الإسلامي وسنستلمه..ولو حاول النظام اللعب هكذا أو هكذا.. فإن مخططنا بالمرصاد.. وإخواننا منتشرون في كافة المرافق والمنشآت.. الخ.. وما تزال أحكام الله معطلة والإسلاميون ماضون في مخططهم المدروس مضمون النتائج!!.

ترى هل حقق هذا الطريق نتائجه، بل هل كان على حساب المواقف العقيدية أم لا؟ وهل تسمح الأنظمة الطاغوتية للإسلاميين بنمو جناحها حتى تتمكن من الطيران..؟ حتماً لا، لأنها لا بد وأن تقص لها الجناح قبل ذلك الأوان أو يكون الصدام.

ج— طريق الجهاد المسلح بالإيمان وأسباب القوة:

وقد بدأت بذوره في قيام جماعات من الشباب المؤمن الذي أدرك إخفاق كل تلك الطرق وعلم بحكم التربية الإسلامية الجهادية التي تلقاها على أيدي الدعاة القائمين على الحركات الدعوية أنفسهم أنه قد آن أوان التطبيق، أو أنه قد فرض فرضاً. وقد برز هذا الاتجاه بشكل واضح في الشام المباركة حيث ولدت الحركة الجهادية لإقامة الحكم الإسلامي في مطلع السبعينات وتطورت في أواسطها إلى صدام غير معلن مع نظام الحكم الكافر البعثي النصيري ومن ثم تطور إلى صدام عسكري شامل مع النظام في حركة جهادية مباركة وقد سارت الحركة على النحو المعروف (بينا ذلك في كتابنا–الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا ج1). كما برزت بذوره في كنانة الله في أرضه –مصر– حيث بدأت تنبعث بوادر حركة جهادية تتصدى لإقامة الحكم الإسلامي فيها ولازالت الحركة في بداية دربها الشائك...نسأل الله التوفيق والنصر لكل المخلصين لإعلاء كلمة الله.

كما أن بذوراً لمثل هذه الحركات لاحت بوادر تشكلها في مناطق شتى، وستحمل الأيام القادمة إن شاء الله تتالي الحركات الجهادية وتضامنها وسيرها الحثيث لإقامة حكم الله في الأرض "ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين". ولابد من القول أن هذه الخطوات وإن كانت متعثرة ومستضعفة –وهذه سنة الله– إلا أنها والله أعلم بداية وضع القدم على أول الطريق الصحيح نحو الهدف المنشود.. التغيير الإسلامي الجذري الشامل عبر الجهاد الثوري المسلح وهذا ما نعتقد حتميته كطريق.

- **وقفة تأمل:**

أكثر من خمسين عاماً مرت على بداية الحركة الإسلامية المعاصرة... أشكال متعددة من الإنجازات ومظاهر النجاح برزت وأصبحت ملء السمع والبصر.

إلا أنه على مستوى الهدف المنشود، وهو إقامة الحكم الإسلامي في بلاد المسلمين فإن الفشل هو الذي حصل وتكرر إلى الآن في أكثر من بلد.. وقد ولد هذا الفشل الشاذ اتجاهات شاذة وطروحات منحرفة في الحركة الإسلامية وأفرز انشقاقات كثيرة في الحركات الإسلامية وأنتج ظواهر غريبة... وأوضاعاً طاغوتية مريرة.. أنه وضع يقتضي من القائمين على العمل الإسلامي وقفة تأمل ومحاسبة وتقييم للمارسات والمناهج والأساليب المتبعة.. عسى أن يقودنا هذا لمراجعة الجهد والسير في منحى جدي ومفيد. إن الذين يريدون إعادة النظام الإسلامي من خلال الإصلاحات الجانبية أو الأجواء الديمقراطية –إن اتيحت– أو الالتصاق بالحكومات وإحداث إصلاحات مرحلية تنتهي بتطبيق الشريعة واهمون والله أعلم.

أولاً: لأنهم يلتمسون الحلول بعيداً عما يمليه الشرع من واجب في المواقف إزاء مشاكل بهذا الحجم.

ثانياً: لأنهم يتحركون من خلال فرص يسمح بها النظام القائم.. فهم مفرطون في تصورهم غباء عدوهم مغالون في تصور الذكاء عند أنفسهم لدرجة تشكك بوجود هذا الذكاء أو الإخلاص فعلاً لإقامة الحكم الإسلامي الصرف... ترى هل هذه سنة الله في الدعوات؟! وهل هذا طريق محمد صلى الله عليه وسلم؟؟ يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله: (إن الذين يفكرون في النظام الإسلامي اليوم وتشكيلاته –أو يكتبون– يدخلون في متاهة، ذلك أنهم يحاولون تطبيق قواعد النظام الإسلامي وأحكامه الفقهية المدوّنة، في فراغ... يحاولون تطبيقها في هذا المجتمع الجاهلي القائم بتركيبته المنحرفة وهذا المجتمع الجاهلي الحاضر يعتبر بالقياس إلى النظام الإسلامي وأحكامه الفقهية فراغاً لا يمكن أن يقوم فيه هذا النظام ولا أن تطبق فيه هذه الأحكام.. إن تركيبه العضوي مناقض للمجتمع المسلم، فالمجتمع المسلم كما قلنا –يقوم بتركيبه العضوي على أساس ترتيب الشخصيات والفئات كما ترتبها الحركة لإقرار هذا النظام في عالم الواقع ولمجاهدة الجاهلية لإخراج الناس منها إلى الإسلام مع تحمل ضغوط الجاهلية وما توجهه من فتنة وإيذاء وحرب على هذه الحركة والصبر على الابتلاء وحسن البلاء من نقطة البدء إلى نقطة الفصل في نهاية المطاف.

أما المجتمع الحاضر فهو مجتمع راكد قائم على قيم لا علاقة لها بالإسلام، ولا بالقيم الإيمانية.. وهو من ثم، يعتبر بالقياس إلى النظام الإسلامي وأحكامه الفقهية فراغاً لا يعيش فيه هذا النظام ولا تقوم فيه هذه الأحكام.

هؤلاء الكاتبون الباحثون عن حل لتطبيق قواعد النظام وتشكيلاته وأحكامه الفقهية يحيرهم –أول ما يحيرهم– طريقة اختيار أهل الحل والعقد –أو أهل الشورى– من غير ترشيح من أنفسهم ولا تزكية، كيف يمكن هذا في مثل هذه المجتمعات التي نعيش فيها والناس لا يعرفون بعضهم بعضاً ولا يزنون كذلك بموازين الكفاية والنزاهة والأمانة، كذلك تحيرهم طريقة اختيار الإمام... أيكون الاختيار من عامة الشعب أم يكون بترشيخ أهل الحل والعقد، وإذا كان الإمام سيختار أهل الحل والعقد –متابعة لعدم تزكية أنفسهم وترشيحها– فكيف يعودون هم فيختارون الإمام... ألا يؤثر هذا في ميزانهم....

وأسئلة أخرى كثيرة لا يجدون لها جواباً في هذه المتاهة.. أنا أعرف نقطة البدء في هذه المتاهة، إنها هي افتراض أن هذا المجتمع الجاهلي الذين نعيش فيه مجتمع مسلم، وأن قواعد النظام الإسلامي وأحكامه الفقهية سيجاء بها لتطبق على هذا المجتمع الجاهلي بتركيبه العضوي الحاضر وبقيمه وأخلاقه الحاضرة.

إن هذا المجتمع الجاهلي الذي نعيش فيه ليس هو المجتمع المسلم ومن ثم لن ينطبق فيه النظام الإسلامي ولن تطبق فيه الأحكام الفقهية الخاصة بهذا النظام...

لن تطبق لاستحالة هذا التطبيق الناشئة من أن قواعد النظام الإسلامي وأحكامه الفقهية لا يمكن أن تتحرك في فراغ لأنها بطبيعتها لم تنشأ في فراغ ولم تتحرك في فراغ كذلك.

إن المجتمع الإسلامي ينشأ بتركيب عضوي آخر غير التركيب العضوي للمجتمع الجاهلي ينشأ من أشخاص ومجموعات وفئات جاهدت في وجه الجاهلية لانشائه وتحددت أقدارها وتميزت مقاماتها في ثنايات تلك الحركة، إنه مجتمع جديد... إنه مجتمع وليد ومجتمع متحرك دائماً في طريقه لتحرير الإنسان... كل الإنسان في الأرض... كل الأرض.. من العبودية لغير الله ولرفع هذا الإنسان عن ذل العبودية للطواغيت.. أياً كانت هذه الطواغيت.

ومثل قضية التزكية وطلب الإمارة واختيار الإمام، واختيار أهل الشورى.. وما إليها.. قضايا كثيرة تثار ويطرقها الباحثون في الإسلام.. في الفراغ.. في هذا المجتمع الجاهلي الذي نعيش فيه.. بتركيبه العضوي المختلف تماماً عن التركيب العضوي للمجتمع المسلم.. وبقيمه وموازينه واعتباراته وأخلاقه ومشاعره وتصوراته المختلفة تماماً عن قيم المجتمع المسلم وموازينه واعتباراته وأخلاقه ومشاعره وتصوراته...

أعمال البنوك.. وأساسها الربوي.. شركات التأمين وقاعدتها الربوية.. تحديد النسل.. ومأأدري ماذا.. إلى آخر المشكلات التي يشغل الباحثون بها أنفسهم أو يجيبون بها على استفتاءات توجه إليهم .. أنهم جميعاً مع الأسف يبدأون من نقطة البدء في المتاهة.

يبدأون من افتراض أن قواعد النظام الإسلامي وأحكامه سيجاء بها لتطبق على هذه المجتمعات الجاهلية الحاضرة بتركيبها العضوي الحاضر.. فتنتقل هذه المجتمعات إذن –متى طبقت عليها أحكام الإسلام– إلى الإسلام وهي تصورات مضحكة لولا أنها محزنة.

إن المحنة الحقيقية لهؤلاء الباحثين أنهم يتصورون أن هذا الواقع الجاهلي هو الأصل الذي يجب على دين الله أن يطابق نفسه عليه ولكن الأمر غير ذلك تماماً.. إن دين الله هو الأصل الذي يجب على البشرية أن تطابق نفسها عليه وأن تحور من واقعها الجاهلي وتغير حتى تتم هذه المطابقة.. ولكن هذا التحور وهذا التغيير لا يتمان عادة إلا عادة عن طريق واحد.. وهو التحرك في وجه الجاهلية لتحقيق ألوهية الله في الأرض وربوبيته وحده للعباد، وتحرير الناس من العبودية للطاغوت بتحكيم شريعة الله وحدها في حياتهم... وهذه الحركة يجب أن تواجه الفتنة والأذى والابتلاء فيفتن من يفتن ويرتد من يرتد... ويصدق الله من يصدقه فيقضي نحبه ويستشهد ويصبر من يصبر ويمضي في حركته حتى يحكم الله بينه وبين قومه بالحق، وحتى يمكن الله له في الأرض وعندئذ فقط يقوم النظام الإسلامي، وقد انطبع المتحركون لتحقيقه بطابعه وتميزوا بقيمه وعندئذ تكون لحياتهم مطالب وحاجات تختلف في طبيعتها وفي طرق تلبيتها عن حاجات المجتمعات الجاهلية ومطالبها وطرق تلبيتها، وعلى ضوء واقع المجتمع المسلم يومذاك تستنبط الأحكام وينشأ فقه إسلامي حي متحرك –لا في فراغ– ولكن في وسط واقعي محدد المطالب والحاجات والمشكلات...

(ونحسب أنه قد آن للإسلام أن يستعلي في نفوس دعاته فلا يجعلوه مجرد خادم للأوضاع الجاهلية، والمجتمعات الجاهلية والحاجات الجاهلية، وأن يقولوا للناس –وللذين يستفتونهم بشكل خاص– تعالوا أنتم أولاً إلى الإسلام وأعلنوا

خضوعكم سلفاً لأحكامه.. أو بعبارة أخرى.. تعالوا أنتم أولاً فادخلوا في دين الله وأعلنوا عبوديتكم لله وحده واشهدوا ألا إله إلا الله بمدلولها الذي لا يقوم الإيمان والإسلام إلا به.. وذات يوم...

لا بد أن يقف أصحاب الدعوة من قومهم موقف المفاصلة الكاملة فإذا القوم الواحد أمتان مختلفتان.. أمة تدين لله وحده وترفض الدينونة لسواه.. وأمة تتخذ من دون الله أرباباً وتحاد الله.

ويوم تتم المفاصلة يتحقق وعد الله بالنصر لأوليائه والتدمير على أعدائه في صورة من الصور التي قد تخطر وقد لا تخطر على البال ففي تاريخ الدعوة إلى الله على مدار التاريخ لم يفصل الله تعالى بين أوليائه وأعدائه إلا بعد أن فاصل أولياؤه أعداءه على أساس العقيدة.. فاختاروا الله وحده.. وكانوا هم حزب الله الذي لا يعتمدون على غيره والذي لا يجدون ناصراً سواه..

والأمر الذي يجب أن تكون طلائع البعث الإسلامي على يقين منه في كل مكان: أن الله سبحانه لم يفصل بين المسلمين وأعدائهم من قومهم، إلا بعد أن فاصل المسلمون أعداءهم وأعلنوا مفارقتهم لما هم عليه من الشرك وعالنوهم بأنهم يدينون لله وحده، ولا يدينون لأربابهم الزائفة ولا يتبعون الطواغيت المتسلطة ولا يشاركون في الحياة ولا في المجتمع الذي تحكمه هذه الطواغيت بشرائع لم يأذن بها الله سواء تعلقت بالاعتقاد أو بالشرائع أو بالشعائر (...) وهذه القاعدة المطردة هي التي ينبغي لطلائع البعث الإسلامي أن تدركها وأن ترتب حركتها على أساسها....

إن الخطوة الأولى: تبدأ دعوة للناس بالدخول في الإسلام والدينونة لله وحده بلا شريك له ونبذ الدينونة لأحد من خلقه في صورة من صور الدينونة. ثم: ينقسم القوم الواحد إلى قسمين ويقف المؤمنون الموحدون الذين يدينون لله وحده صفاً –أو أمة– ويقف المشركون الذين يدينون لأحد من خلق الله صفاً آخر ثم: يفاصل المؤمنون المشركين... ثم يحق وعد الله بنصر المؤمنين والتدمير على المشركين كما وقع باطراد على مدار التاريخ البشري...

ولقد تطول فترة الدعوة قبل المفاصلة العملية، ولكن المفاصلة العقيدية والشعورية يجب أن تتم منذ اللحظة الأولى ولقد يبطئ الفصل بين الأمتين الناشئتين من القوم الواحد وتكثر التضحيات والعذابات على جيل من أجيال الدعوة أو أكثر ولكن وعد الله بالفصل يجب أن يكون في قلوب العصبة المؤمنة أصدق من الواقع الظاهري في جيل أو أجيال.. فهو لا شك آت، ولن يخلف الله وعده الذي جرت به سنته على مدار التاريخ.. ورواية هذه السنة على هذا النحو من الحسم والوضوح ضرورية كذلك للحركة الإسلامية في مواجهة الجاهلية البشرية الشاملة... فهي سنة جارية غير مقيدة بزمان ولا مكان...)[1]

- لماذا حتمية الحل الجهادي:

إنه في ضوء النتائج الأربعة التي بيناها آنفاً وأقمنا عليها الدليل الشرعي ثم العقلي وهي:

(أ)– كفر الحكومات والحكام القائمين على أنظمة وضعية مرتدة وبطلانها وأنظمتها شرعاً.

(ب)– وجوب الخروج على الحاكم إن ظهر عليه الفسق العلن واستباحته للمحرمات فضلاً عن ارتداده.

(ج)– وجوب العمل لنصب الإمام المسلم وإقامة الحكم الإسلامي.

---

[1] طريق الدعوة في ظلال القرآن الصفحات (90-170) باختصار.

(د)- وجوب قتال الطوائف الممتنعة إن امتنعت عن أداء الفروض والواجبات الشرعية واستحلت محارم الله حتى ولو زعمت الشهادتين.

وفي ضوء الممارسات الطاغوتية والقمعية التي تمارسها هذه الأنظمة مع الدعاة الحقيقيين إلى الله، نقول أن كل تلك الحلول الإصلاحية الجزئية المستكينة أو المداهنة بشكل أو بآخر.. ليست طروحاً على مستوى القضية وليست على مستوى الأزمة بالرغم من إخلاص كثير من القائمين عليها وعلى سائر قواعدهم... فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب.. بل الأبدان والرؤوس.. وأنه لا مندوحة أمام الحركات الإسلامية والساعين لإقامة الحكم الإسلامي عن العمل الجهادي الجاد والدؤوب لإسقاط هذه الأنظمة عن طريق الجهاد المسلح، ولاسيما تلك الحركات التي ترتكز على قواعد شعبية وتنظيمية عريضة، أما التي لازالت مستضعفة في بداية طريقها فعليها أن تعمل لتصل للمستوى الذي يخولها البدء الجاد في منحى جهادي مقدس لإزالة هذه الأوضاع المنحرفة...

ومن هنا وحتى تكون هذه الحركات على مستوى الطرح الجهادي فإنه لا مندوحة أمامها من أن تنتهج نهج المفاصلة الشعورية والعقيدية وتتمايز في طرحها الإسلامي عن كل أشكال المداهنة والمواربة وأنصاف الحلول في منتصف الطريق مع الجاهلية.. صادعة بقول الله تعالى: "قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين". فللجاهلين من ديمقراطيين واشتراكيين ووجوديين وشيوعيين وطواغيت ديكتاتوريين وأضرابهم من الملل والنحل المنحرفة الباطلة لهم دينهم. ولنا دين هو توحيد الله تعالى وتحكيم شرعه المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فلا مداهنات ولا تحالفات ولا مواقف عقيدية مائعة.

- في هذا السياق يجدر بنا أن نذكر أمراً بالغ الأهمية، وهو أنه في ساحة العمل الإسلامي وعلى مستوى قياداته يوجد من يقول: نحن الإسلاميين لسنا طلاب حكم... وقد كنا ومازلنا، دأبنا الدعوة إلى الله.. وأننا ندعو الحاكم لأن يحكم بما أنزل الله فإن فعل فنحن أول مؤيديه وإننا نؤيد كل من يحكم بما أنزل الله.

هذا الكلام فضلاً عن أنه يخالف أساساً ما أمرنا الله تعالى به من الجهاد لتحكيم شرع الله في الأرض، وكلفنا تكليفاً بأن نكون طلاب حكم حتى يقوم الناس بالقسط كتكليف مقدس، من الله تعالى، فإن هذا الكلام يطرح سؤالاً هاماً: كيف يكون كل مارق وكافر وملحد.... من اشتراكيين وماركسيين وملاعين، طلاب حكم يجاهرون بذلك ويعترف لهم كل الناس بحق حرية التجمع وتأليف الأحزاب والعمل لاستلام السلطة... ويكون هذا من حقهم، ولا يكون لنا هذا الحق بل ندعي سلفاً أنه ليس من برنامجنا.. حتى لا ينزعج فرعون وهامان وجنودهما؟؟؟ عجباً!!

ثم لننتقل للزعم الآخر.. أننا ندعو الحاكم لتطبيق شرع الله فإن طبقه كنا له مؤيدين!! هذا الكلام على إطلاقه قد يكون صحيحاً.. فأيما حاكم هداه الله تعالى وبدل الحكم بالقوانين الوضعية إلى حكم إسلامي وجب علينا طاعته وتأييده، ولكن هل هذه النماذج من الحكام القائمة على ما هي قائمة عليه.. هل هي مؤهلة للحكم بما أنزل الله؟ ! وهل نقبل أن تطبقه على الرعية نماذج من هذا الشكل.. إنه من دواعي المنطق وتسلسل الأمور، أن يكون الأمر على الشكل الذي بينه المعلم سيد رحمه الله فيما سبق من سطور.. إنه من العبث أن نقبل تطبيق الشريعة من حكام مارقين منها على رعيتهم المسلمين.. وهانحن أمام تجارب مرت.. حاول فيها صنف من الحكام استغلال هذا الطلب من المسلمين في ظرف ما!! إذ كيف تقطع يد السارق والرئيس ومهرجيه أكبر السارقين؟! وكيف يجلد الزاني والأمير وعشيرته أعرق الزناة؟!.

لن يغار على دين الهل ويطبقه ويجاهد في سبيله ويمثله إلا قوم تمثلوا أفكاراً ودعوة وديناً يدعون الناس إليها بل ويحاربون عليها تمثلوها قبل ذلك فعاشت في وجدانه وأخذت حياتها من دماء أقرانهم على الطريق وطرحهم وطرح ذويهم.. إن هذه الفئة كما يبين سيد رحمه الله.. عندما تعمل على تحكيم شرع الله وتتميز مقاماتها ومقاديرها من خلال العمل هي الجديرة بتطبيق شرع الله وهي الجديرة بسمع المسلمين وطاعتهم عن بيعة رضى لا إكراه.

وعلى الحركات الإسلامية أن تتخذ نهجاً تربوياً وبرنامجاً مرحلياً صادقاً تأخذ فيه بعين الاعتبار أنها جماعة قامت لتجاهد الطاغوت.. هذا يعني أنها ستلقى العنت والقمع، فلا بد لها من أن تكون على مستوى المحنة وأن لا تربي قواعدها تربية (خروفية) تعدهم فيها للذبح كلما أراد الطاغوت الجزار.. يجب أن تسير التربية العسكرية جنباً إلى جنب مع التربية الإسلامية والخلقية والمنهجية ضمن برامج مدروسة ومعدة..

إن هذا الدين دين جاد.. ونحن في زمن نقوم فيه على حد فاصل.. بين سنوات امتدت لمئات السنين تتالت فيها أجيال النائمين من المسلمين حتى أوصلونا لما نحن فيه.. وبين جيل بدأت عليه علائم الوعي والتيقظ.. فمن أراد متابعة النوم مع النائمين فليعلن ذلك ولينخ راحلته على جانب الطريق.. ولا يخدعنا بعناوين التريث والتخطيط والإعداد اللانهائي وليدع هذه الجموع المجاهدة الأبية تشق الطريق.. فلا يجوز لقافلة مجاهدة أن يقودها نيام خارت قواهم وأنهكهم المسير.

وينبغي أن يكون واضحاً في أذهاننا أننا جيل الدفع وأن أمامنا ضريبة كبيرة عن كل تلك السنين العجاف من الخوف والضعف والاستكانة وأن نصر الله آت وأن وعده قائم: "إننا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز".

- مراحل وسمات :

لخص الإمام ابن القيم رحمه الله سياق الجهاد في الإسلام في (زاد المعاد) في الفصل الذي عقده باسم فَصْلٌ فِي تَرْتِيبِ سِيَاقِ هَدْيِهِ مَعَ الْكُفّارِ وَالْمُنَافِقِينَ مِنْ حِينِ بُعِثَ إلَى حِينِ لَقِيَ اللّهَ عَزّ وَجَل : أَوّلَ مَا أَوْحَى إلَيْهِ رَبّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَنْ يَقْرَأَ بِاسْمِ رَبّهِ الّذِي خَلَقَ وَذَلِكَ أَوّلَ نُبُوّتِهِ فَأَمَرَهُ أَنْ يَقْرَأَ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يَأْمُرْهُ إذْ ذَاكَ بِتَبْلِيغٍ ثُمّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ { يَا أَيّهَا الْمُدّثّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ } [الْمُدّثّرُ 1 ، 2] فَنَبّأَهُ بِقَوْلِهِ { اقْرَأْ } وَأَرْسَلَهُ ب { يَا أَيّهَا الْمُدّثّرُ } ثُمّ أَمَرَهُ أَنْ يُنْذِرَ عَشِيرَتَهُ الْأَقْرَبِينَ ثُمّ أَنْذَرَ قَوْمَهُ ثُمّ أَنْذَرَ مَنْ حَوْلَهُمْ مِنْ الْعَرَبِ ، ثُمّ أَنْذَرَ الْعَرَبَ قَاطِبَةً ثُمّ أَنْذَرَ الْعَالَمِينَ فَأَقَامَ بِضْعَ عَشْرَةَ سَنَةً بَعْدَ نُبُوّتِهِ يُنْذِرُ بِالدّعْوَةِ بِغَيْرِ قِتَالٍ وَلَا جِزْيَةٍ وَيُؤْمَرُ بِالْكَفّ وَالصّبْرِ وَالصّفْحِ . ثُمّ أُذِنَ لَهُ فِي الْهِجْرَةِ وَأُذِنَ لَهُ فِي الْقِتَالِ ثُمّ أَمَرَهُ أَنْ يُقَاتِلَ مَنْ قَاتَلَهُ وَيَكُفّ عَمّنْ اعْتَزَلَهُ وَلَمْ يُقَاتِلْهُ ثُمّ أَمَرَهُ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ حَتّى يَكُونَ الدّينُ كُلّهُ لِلّهِ ثُمّ كَانَ الْكُفّارُ مَعَهُ بَعْدَ الْأَمْرِ بِالْجِهَادِ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ أَهْلُ صُلْحٍ وَهُدْنَةٍ وَأَهْلُ حَرْبٍ وَأَهْلُ ذِمّةٍ فَأُمِرَ بِأَنْ يُتِمّ لِأَهْلِ الْعَهْدِ وَالصّلْحِ عَهْدَهُمْ وَأَنْ يُوفِيَ لَهُمْ بِهِ مَا اسْتَقَامُوا عَلَى الْعَهْدِ فَإِنْ خَافَ مِنْهُمْ خِيَانَةً نَبَذَ إلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ وَلَمْ يُقَاتِلْهُمْ حَتّى يُعْلِمَهُمْ بِنَقْضِ الْعَهْدِ وَأُمِرَ أَنْ يُقَاتِلَ مَنْ نَقَضَ عَهْدَهُ . وَلَمّا نَزَلَتْ (سُورَةُ بَرَاءَةٌ) نَزَلَتْ بِبَيَانِ حُكْمِ هَذِهِ الْأَقْسَامِ كُلّهَا ، فَأَمَرَهُ فِيهَا أَنْ " يُقَاتِلَ عَدُوّهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ حَتّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ أَوْ يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَأَمَرَهُ فِيهَا بِجِهَادِ الْكُفّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْغِلْظَةِ عَلَيْهِمْ فَجَاهَدَ الْكُفّارَ بِالسّيْفِ وَالسّنَانِ وَالْمُنَافِقِينَ بِالْحُجّةِ وَاللّسَانِ .

[الْفَرْقُ بَيْنَ أَشْهُرِ التّسْيِيرِ الْحُرُمِ وَبَيْنَ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ]

وَأَمَرَهُ فِيهَا بِالْبَرَاءَةِ مِنْ عُهُودِ الْكُفّارِ وَنَبْذِ عُهُودِهِمْ إلَيْهِمْ وَجَعَلَ أَهْلَ الْعَهْدِ فِي ذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ قِسْمًا أَمَرَهُ بِقِتَالِهِمْ وَهُمْ الّذِينَ نَقَضُوا عَهْدَهُ وَلَمْ يَسْتَقِيمُوا لَهُ فَحَارَبَهُمْ وَظَهَرَ عَلَيْهِمْ . وَقِسْمًا لَهُمْ عَهْدٌ مُؤَقّتٌ لَمْ يَنْقُضُوهُ وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْهِ فَأَمَرَهُ أَنْ يُتِمّ لَهُمْ عَهْدَهُمْ إلَى مُدّتِهِمْ . وَقِسْمًا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَهْدٌ وَلَمْ يُحَارِبُوهُ أَوْ كَانَ لَهُمْ عَهْدٌ مُطْلَقٌ فَأُمِرَ أَنْ يُؤَجّلَهُمْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِذَا انْسَلَخَتْ

قَاتَلَهُمْ وَهِيَ الْأَشْهُرُ الْأَرْبَعَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ { فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ } [التّوْبَةُ 2] وَهِيَ الْحُرُمُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ } [التّوْبَةُ 5] فَالْحُرُمُ هَا هُنَا : هِيَ أَشْهُرُ التّسْيِيرِ أَوّلُهَا يَوْمُ الْأَذَانِ وَهُوَ الْيَوْمُ الْعَاشِرُ مِنْ ذِي الْحِجّةِ وَهُوَ يَوْمُ الْحَجّ الْأَكْبَرِ الّذِي وَقَعَ فِيهِ التّأْذِينُ بِذَلِكَ وَآخِرُهَا الْعَاشِرُ مِنْ رَبِيعٍ الْآخَرِ وَلَيْسَتْ هِيَ الْأَرْبَعَةَ الْمَذْكُورَةَ فِي قَوْلِهِ { إِنّ عِدّةَ الشّهُورِ عِنْدَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ } [التّوْبَةُ 36] فَإِنّ تِلْكَ وَاحِدٌ فَرْدٌ وَثَلَاثَةٌ سَرْدٌ رَجَبٌ وَذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجّةِ وَالْمُحَرّمُ . وَلَمْ يُسَيّرْ الْمُشْرِكِينَ فِي هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ فَإِنّ هَذَا لَا يُمْكِنُ لِأَنّهَا غَيْرُ مُتَوَالِيَةٍ وَهُوَ إِنّمَا أَجّلَهُمْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ثُمّ أَمَرَهُ بَعْدَ انْسِلَاخِهَا أَنْ يُقَاتِلَهُمْ فَقَتَلَ النّاقِضَ لِعَهْدِهِ وَأَجّلَ مَنْ لَا عَهْدَ لَهُ أَوْ لَهُ عَهْدٌ مُطْلَقٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَأَمَرَهُ أَنْ يُتِمّ لِلْمُوفِي بِعَهْدِهِ عَهْدَهُ إلَى مُدّتِهِ فَأَسْلَمَ هَؤُلَاءِ كُلّهُمْ وَلَمْ يُقِيمُوا عَلَى كُفْرِهِمْ إلَى مُدّتِهِمْ وَضَرَبَ عَلَى أَهْلِ الذّمّةِ الْجِزْيَةَ . [ص 145] فَاسْتَقَرّ أَمْرُ الْكُفّارِ مَعَهُ بَعْدَ نُزُولِ بَرَاءَةٌ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ مُحَارِبِينَ لَهُ وَأَهْلِ عَهْدٍ وَأَهْلِ ذِمّةٍ ثُمّ آلَتْ حَالُ أَهْلِ الْعَهْدِ وَالصّلْحِ إلَى الْإِسْلَامِ فَصَارُوا مَعَهُ قِسْمَيْنِ مُحَارِبِينَ وَأَهْلَ ذِمّةٍ وَالْمُحَارِبُونَ لَهُ خَائِفُونَ مِنْهُ فَصَارَ أَهْلُ الْأَرْضِ مَعَهُ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ مُسْلِمٌ مُؤْمِنٌ بِهِ وَمُسَالِمٌ لَهُ آمِنٌ وَخَائِفٌ مُحَارِبٌ . وَأَمّا سِيرَتُهُ فِي الْمُنَافِقِينَ فَإِنّهُ أُمِرَ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ عَلَانِيَتَهُمْ وَيَكِلَ سَرَائِرَهُمْ إلَى اللّهِ وَأَنْ يُجَاهِدَهُمْ بِالْعِلْمِ وَالْحُجّةِ وَأَمَرَهُ أَنْ يُعْرِضَ عَنْهُمْ وَيُغْلِظَ عَلَيْهِمْ وَأَنْ يُبَلّغَ بِالْقَوْلِ الْبَلِيغِ إلَى نُفُوسِهِمْ وَنَهَاهُ أَنْ يُصَلّيَ عَلَيْهِمْ وَأَنْ يَقُومَ عَلَى قُبُورِهِمْ وَأَخْبَرَ أَنّهُ إنْ اسْتَغْفَرَ لَهُمْ فَلَنْ يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ فَهَذِهِ سِيرَتُهُ فِي أَعْدَائِهِ مِنْ الْكُفّارِ وَالْمُنَافِقِينَ). اهـ.

يقول سيد قطب رحمه الله في الظلال معلقاً على هذا الاستعراض:

إن تلك الأحكام المرحلية ليست منسوخة بحيث لا يجوز العمل بها في أي ظرف من ظروف الأمة المسلمة بعد نزول الأحكام الأخيرة في سورة التوبة، ذلك أن الحركة والواقع الذي تواجهه في شتى الظروف والأمكنة والأزمنة هي التي تحدد –عن طريق الاجتهاد المطلق- أي الأحكام هو أنسب للأخذ به في ظرف من الظروف في زمان من الأزمنة في مكان من الأمكنة مع عدم نسيان الأحكام الأخيرة التي يجب أن يصار إليها، متى أصبحت الأمة المسلمة في الحال التي تمكنها من تنفيذ هذه الأحكام، كما كان حالها عند نزول سورة التوبة وما بعد ذلك أيام الفتوحات الإسلامية التي قامت على أساس من هذه الأحكام الأخيرة النهائية سواء في معاملة المشركين أو أهل الكتاب.

إن المهزومين في هذا الزمان أمام الواقع البائس لذراري المسلمين –الذين لم يبق لهم من الإسلام إلا العنوان –وأمام الهجوم الاستشراقي الماكر على أصل الجهاد في الإسلام، يحاولون أن يجدوا في النصوص المرحلية مهرباً من الحقيقة التي يقوم عليها الانطلاق الإسلامي في الأرض لتحرير الناس كافة من عبادة العباد وردهم جميعاً إلى عبادة الله وحده، وتحطيم الطواغيت والأنظمة والقوى التي تقهرهم على عبادة غير الله، والخضوع لسلطان غير سلطانه والتحاكم إلى شرع غير شرعه.. ومن ثم نراهم يقولون مثلاً: إن الله سبحانه يقول: "وإن جنحوا للسم فاجنح لها وتوكل على الله" ... ويقول... ويقول...

وهان الأمر لو أنهم حين يهزمون روحياً أمام هذه القوى لا يحيلون هزيمتهم إلى الإسلام ذاته.. ولا يحملونه على ضعف واقعهم الذي جاءهم من بعدهم عن الإسلام أصلاً .. ولكنهم يأبون إلا أن يحملوا ضعفهم هم وهزيمتهم على دين الله القوي المتين.

إن هذه النصوص التي يلتجئون إليها نصوص مرحلية تواجه واقعاً معيناً.. وهذا الواقع المعين قد يتكرر وقوعه في حياة الأمة المسلمة، وفي هذه الحالة تطبّق هذه النصوص المرحلية، لأن واقعها يقرر أنها في مثل تلك المرحلة التي وجهتها تلك النصوص بتلك الأحكام.. ولكن هذا ليس معناه أن هذه هي غاية المنى وأن هذه هي نهاية خطوات هذا الدين.. إنما معناه أن على الأمة المسلمة

أن تمضي قدماً في تحسين ظروفها وفي إزالة العوائق من طريقها حتى تتمكن في النهاية من تطبيق الأحكام النهائية الواردة في سورة التوبة والتي كانت تواجه واقعاً غير الواقع الذي واجهته النصوص المرحلية)[1] اهـ.

وهذا ما نفهمه من فقه هذه المراحل بتوفيق الله.

فالبلد المسلم الذي يقوم فيه فئة إسلامية قليلة مستضعفة.. عليها أن تباشر الدعوة إلى الله سراً أو جهراً، مبينة دينها ومقتضياتها كما نزله الله غير خائفة فيه لومة لائم.. وليس عليها أول قيامها أن تعلن القتال والحرب والصدام، ولكن يجب أن تكون هذه المراحل في منظورها ومنذ البدء.. وأنها تسعى للوصول إليها في نهاية المطاف، فهي ليست حركة دعوة وإصلاح وحسب.. وإنما حركة إعادة للبعث الإسلامي.. حركة جهاد لإقامة الحكم الإسلامي.. فعندما تتسع الحركة وتمتد ويكون لها أنصار.. فإنها تتعامل مع الواقع الذي تعيش فيه حسب واقعها.. ولكل مرحلة مقتضياتها..

وليس من المعقول أن نسمح للطواغيت أن يأتوا على بنياننا كلما ارتفع بضعة أمتار عن سطح الأرض!! لنعود للبدء من الصفر أو تحت الصفر بحجة التخطيط والنفس الطويل!! وليس من المعقول أن نكون حركة قوية ممتدة لها قواعدها وشعبيتها ثم نترك الحبل على الغرب لطاغوت يعيث في الأرض فساداً.. بحجة أن غالبية الشعب غير مناسبة لإقامة الحكم الإسلامي.. و هب أنه كذلك وهو ليس كذلك فلنا في الانقلابات الطاغوتية والعلمانية عبرة.. فعندما تصل جماعة منهم إلى الحكم وتحمل المسلمين الذين هم أقرب بطبيعة الحال للإسلام من مبادئ وأنظمة تنفر منها ضمائر الجماهير، ومع ذلك تستكين الجماهير وتقبل.. فهل يعقل أنه عندما يقوم الحكم الإسلامي فإن هذه الجماهير لن تنقاد إليه.. وهل يعقل أنه عندما يقوم الحكم الإسلامي فإن هذه الجماهير لن تنقاد إليه.. وهل يعقل أن الله تعالى لن يؤيد هؤلاء العاملين له بالنصر.. هذا شك في منهج الله وقصور في تصوره. وعلى العكس، فإن هذه الجماهير ستحس أن هذه الأحكام من دينها.. وأنها لها.. ونحن في بلاد غالبيتها مسلمون وهم وإن كان معظمهم جهلة بتفاصيله..إلا أن تعاطفهم معه وقدسيته في نفوسهم واضحة بينة.. وعندها سيدخل الناس في دين الله أفواجاً.. وإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرأن كما قال عثمان بن عفان رضي الله عنه.. وتبقى قضية الحكم وشكله وتعامله مع الناس أمور تدرس حلولها في حينها.. وليس لهذا أن يحرفنا عن واجب مفروض علينا بفعل القوانين المرتدة التي ضربت على المسلمين والأحوال الظالمة التي أنشأتها فيهم.. ولا يجب أن نعدل عن واجب بيّن وهو إسقاط هذه الأوضاع وجهادها بسب مشكلة مفترضة موهومة قد تحدث فنتعامل معها وقد لا تحدث.

ونختم هذه الفقرة بكلمات رائعة للشيخ أبي الأعلى المودودي حيث يقول: (ثم انظروا إلى ما كسب الجهاد من المنزلة العالمية والمكانة الرفيعة في الدين، حتى أن القرآن الكريم ليحكم بالنفاق على الذين ينكلون عنه ويثاقلون إلى الأرض منه ذلك أن الجهاد هو السعي المتواصل والكفاح المستمر في سبيل إقامة نظام الحق، ليس غير، وهذا الجهاد هو الذي يجعله القرآن ميزاناً يوزن به إيمان الرجل وإخلاصه للدين وبعبارة أخرى.. أنه من كان يؤمن بالله ورسوله، لا يمكنه أن يرضى بتسلط نظام الباطل أو يقعد عن بذل نفسه وماله في سبيل إقامة نظام الحق فكل من يبدو في أعماله شيء من الضعف والاستكانة في هذا الباب فاعلم أنه مدخول في إيمانه مرتاب في أمره فكيف ينفعه عمل من أعماله بعد ذلك..

والمقام لا يتسع للإفاضة في هذه المسألة وتفصيل القول فيها، إلا أن الذي بينته آنفاً أراه كافياً لإيضاح هذه الحقيقة المهمة، وهي أن إقامة الإمامة الصالحة في أرض الله لها أهمية جوهرية وخطورة بالغة في نظام الإسلام فكل من يؤمن بالله ورسوله ويدين الحق، لا ينتهي عمله بأن يبذل الجهد المستطاع لإفراغ حياته في قالب الإسلام، ولا تبرأ ذمته من ذلك فحسب. بل يلزمه بمقتضى ذلك

[1] طريق الدعوة في ظلال القرآن ص 219-220 باختصار.

الإيمان أن يستنفذ جميع قواه ومساعيه في انتزاع زمام الأمر من أيدي الكافرين والفجرة الظالمين حتى يتسلمه رجال ذوو صلاح ممن يتقون الله ويرجون حسابه ويقوم في الأرض ذلك النظام الحق المرتضى الذي به صلاح أمور الدنيا وقوام شؤونها.
ثم إذا لم يكن من الممكن تحقق هذا المقصد الأسمى إلا بالمساعي الجماعية، لم يكن بد من أن تكون في الأرض جماعة صالحة تؤمن بمبادئ الحق، وتحافظ عليها ولا تكون لها غاية في الحياة إلا إقامة نظام الحق وإدارة شؤونه بغاية من الاهتمام والعناية ولعمر الحق انه لو لم يكن على وجه الأرض إلا رجل واحد مؤمن ما جاز له أن يرضى على نفسه بتسلط نظام الباطل، حينما يجد نفسه وحيداً فاقداً للوسائل اللازمة أو أن يحاول التستر وراء الحيل الشرعية كالاقتناع (بأهون الشرّين) أو أن يساوم بنظام الكفر والفجور السائد في إيمانه ويقتنع بحياة موزعة بين الكفر وطاعة الله، بل الحق أنه لا يكون أمامه إلا طريق واحد: وهو أن يدعو الناس كافة إلى منهج الحياة الذي يرضى به الله تعالى فإن لم يجب دعوته أحد فإن قيامه على الصراط المستقيم واستمراره في دعوة الناس خير له ألف مرة من أن يتنكب الصراط الحق ويهتف بنعرات تهش لها وتفوح لها الدنيا المتسكعة في بيداء الضلالة والغواية، أو يأخذ في المشي على طرق جائزة بزعامة الكفار، وإن وجد من عباد الله رجالاً يستمعون لقوله ويلبون دعوته، فعليه أن يؤلف منهم كتلة لا يكون همها إلا استنفاد جميع القوى الجماعية في سبيل تحقيق تلك الغاية التي نحن بصددها. هذا ما أراه بمقتضى الدين الإلهي حسب ما رزقني الله من معرفة كتابه العزيز وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، وإني على مثل اليقين من ذلك ولا أراني متزحزحاً عن هذه العقيدة وهذا الرأي ما دام كتاب الله يؤيدني وسنة الرسل الكرام من ورائي تأخذ بيدي وتحفزني للعمل والجد[1].اهـ.

19 –كلمات على طريق الجهاد الثوري المسلح:

* ما الجهاد في سبيل الله:

ليست هناك فريضة من فرائض الإسلام نالت ما نالته فريضة الجهاد من التشويه والطعن والمحاربة من قبل أعداء الله؛ من يهود وصليبيين وملحدين ومنافقين.. إلى أن تمكن أعداء الله من تشويهه حتى في نفوس أهله.. فبدأ كثير من المسلمين بل وكثير من الدعاة التبرؤ من الجهاد الحقيقي، والخروج بمزاعم سلمية، وتعاريف تائهة للجهاد، وحمله على الدعوة والبيان، وأنه شرع للدفاع فقط في حال الاعتداء على المسلمين.

فما هي حقيقة الجهاد الذي شرعه الله وما هي أهدافه؟

يقول الشيخ المودودي رحمه الله تحت عنوان (حقيقة الجهاد):

(إن الإسلام فكرة انقلابية ومنهاج انقلابي، يريد أن يهدم نظام العالم الاجتماعي بأسره، ويأتي بنيانه من القواعد، ويؤسس بنيانه من جديد حسب فكره ومنهاجه العملي، والجهاد عبارة عن الكفاح الانقلابي عن تلك الحركة الدائبة المستمرة، التي يقام بها للوصول إلى هذه الغاية وإدراك هذا المبتغى.. فكل حكومة مؤسسة على فكرة غير هذه الفكرة، ومنهاج غير هذا المنهاج، يقاومها الإسلام، ويريد أن يقضي عليها قضاء مبرماً، ولا يعنيه في شيء بهذا الصدد أمر البلاد التي قامت فيها تلك الحكومة غير المرضية، أو الأمة التي ينتمي إليها القائمون بأمرها، فإن غايته استعلاء فكرته وتتميم منهاجه وإقامة الحكومات وتوطيد دعائمها، على أساس هذه الفكرة وهذا المنهاج، بصرف النظر عمن يحمل لواء الحق والعدل بيده، ومن تنتكس بذلك راية عدوانه وفساده..

وتحت عنوان في سبيل الله يقول:

[1] الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية.

لكنّ الجهاد الإسلامي ليس بجهاد لا غاية له، وإنما هو الجهاد في سبيل الله، وقد لزمه هذا الشرط لا ينفك عنه أبداً.. فكل عمل يقوم به للمصالح العامة وسعادة المجتمع ابتغاء لمرضاة الله، لا يريد به مغنماً أو مكسباً في الحياة العاجلة، فهو في (سبيل الله) في نظر الإسلام.

فما قيّد الشارع الجهاد بهذا الشرط إلا للدلالة على هذا المعنى، فالذي يتطلبه الإسلام أنّه إذا قام رجل أو جماعة من المسلمين تبذل جهودها، وتستنفذ مساعيها للقضاء على النظم البالية الباطلة، وتكوين نظام جديد حسب الفكرة الإسلامية، فعليها أن تكون مجردة من كل غرض، مبرأة من كل هوى أو نزعة شخصية، لا تقصد من وراء جهودها وما تبذل في سبيل غايتها من النفوس والنفائس، إلا تأسيس نظام عادل يقوم بالقسط والحق بين الناس (...) ولا يكون من هَمّ الإنسان خلال هذا الكفاح المستمر والجهاد المتواصل لإعلاء كلمة الله، أن ينال جاهاً وشرفاً أو سمعة وحسن أحدوثة،ولا يخطر بباله أثناء هذه الجهود البالغة والمساعي الغالية، أن يسمو بنفسه وعشيرته، ويستبد بزمام الأمر، ويتبوأ منصب الطواغيت الفجرة.

فتبين من ذلك أن الله لا يقبل من الجهاد إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم، وابتغاء مرضاته، لا يشوبه شيء من الأغراض النفسية أو الطائفية والقومية. ومن هنا تعرف ما لهذا الشرط –في سبيل الله– من أهمية عظيمة) اهـ.

وبعد أن يتكلم المودودي عن حزب الله والحزب الإسلامي: وهو جماعة المسلمين المؤمنين بتلك الأفكار والمبادئ والعمل لها، يتكلم عن أهداف هذا الحزب والغاية التي شرع الجهاد لها يقول: (فتبين من كل ذلك أن هذا الحزب لا بد له من امتلاك ناصية الأمر، ولا مندوحة له عن القبض على زمام الحكم، لأن نظام العمران الفاسد لا يقوم إلا على أساس حكومة مؤسسة على قواعد العدوان والفساد في الأرض، وكذلك ليس من الممكن أن يقوم نظام للحكم صالح يؤتي أكله، إلا بعد ما ينتزع زمام الأمر من أيدي الطغاة المفسدين، ويأخذه بأيديهم رجال يؤمنون بالله واليوم الآخر، ولا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً)[1].

- حكم الجهاد بين فرض العين والكفاية:

أورد الإمام حسن البنا طائفة من أقوال علماء الأمة وفقهائها وما اجتمعت عليه أقوالهم في هذا الأمر فقال:

1- قال صاحب مجمع الأنْهُر في شرح ملتقى الأبحر، مقرراً أحكام الجهاد في مذهب الأحناف (الجهاد في اللغة بذل ما في الوسع من القول والفعل. وفي الشريعة قتل الكفار ونحوه؛ من ضربهم ونهب أموالهم وهدم معابدهم وكسر أصنامهم، والمراد الاجتهاد في تقوية الدين بنحو قتال الحربيين والذميين (إذا نقضوا) والمرتدين؛ وهم أخبث الكفار للنقض بعد الإقرار، والباغين –بدءاً من فرض كفاية لعين–، علينا أن نبدأهم بالقتال بعد بلوغ الدعوة، وإن لم يقاتلونا، فيجب على الإمام أن يبعث سرية إلى دار الحرب كل سنة مرة أو مرتين، وعلى الرعيّة إعانته، وإذا قام به البعض سقط عن الباقين، فإن لم تقع الكفاية بذلك البعض وجب على الأقرب فالأقرب، فإن لم تقع الكفاية إلا بجميع الناس، فحينئذ صار فرض عين كالصلاة، أما الفريضة فلقوله تعالى: "فاقتلوا المشركين"، ولقوله صلى الله عليه وسلم: (الجهاد ماض إلى يوم القيامة).. (وإن تركه الكل أثموا... إلى أن قال: فإن غلب العدو على بلد من بلاد الإسلام، أو ناحية من نواحيها، ففرض عين فتخرج المرأة والعبد بلا إذن الزوج والمولى، وكذا يخرج الولد من غير إذن والديه، والغريم بغير إذن أهله (دائنه).

2- وقال صاحب بلغة السالك لأقرب المسالك في مذهب الإمام مالك: (الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله تعالى كل سنة فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقين، ويتعين (أي يصير فرض عين) كالصلاة والصوم، بتعين الإمام

---

[1] رسالة الجهاد للمودودي.

وبهجوم العدو على محلة قوم، فيتعين عليهم وعلى من بقربهم إن عجزوا، ويتعين على المرأة والرقيق مع هذه الحالة، ولو منعهم الولي والزوج ورب الدين...

3- وفي متن المنهاج للإمام النووي –الشافعي- كان الجهاد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض كفاية، وقيل عين. وأما بعده فللكفار حالان:

أحدهما يكونون ببلادفهم ففرض كفاية، إذا فعله من فيهم الكفاية من المسلمين، سقط الحرج عن الباقين. والثاني: يدخلون بلدة لنا فيلزم أهلها الدفع بالممكن، وإن أمكن التأهب للقتال ووجب الممكن حتى على فقير وولد ومدين وعبد بلا إذن...

4- وفي المغني لابن قدامة الحنبلي قال: مسألة: والجهاد فرض على الكفاية، إذا قام به قوم سقط عن الباقين. ويتعين في ثلاث مواضع:

أ – إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان، حرم على من حضر الانصراف ويتعين عليه المقام.

ب – إذا نزل الكفار ببلدة تعين على أهلها قتالهم ودفعهم.

ج – إذا استنفر الإمام قوماً لزمهم النفير معه.

5- وقال في المحلى لابن حزم الظاهري: -مسألة- والجهاد فرض على المسلمين، إذا قام به من يدفع العدو ويغزوهم في عقر دارهم ويحمي ثغور المسلمين، سقط فرضه عن الباقين، وإلا فلا. قال الله تعالى: "انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم". ولا يجوز إلا بإذن الأبوين، إلا أن ينزل العدو بقوم من المسلمين، ففرض على كل من يمكنه إعانتهم أن يقصدهم مغيثاً لهم، أذن الأبوان أم لم يأذنا إلا أن يضيعا أو أحدهما بعد، فلا يحل له ترك من يضيع منهما.

6- وقال الشوكاني في السيل الجرار (الأدلة الواردة في فرضية الجهاد كتاباً وسنة، أكثر من أن تكتب هاهنا، ولكن لا يجب ذلك إلا على الكفاية، فإذا قام به البعض سقط عن الباقين، وقبل أن يقوم به البعض فهو فرض عين على كل مكلف... ويعلق الإمام الشهيد البنا رحمه الله على هذه الأحكام التي نقلها عن العلماء والفقهاء من سلف الأمة.. فيقول:

فها أنت ذا ترى من ذلك كله كيف أجمع أهل العلم مجتهدين ومقلدين، سلفيين وخلفيين، على أن الجهاد فرض كفاية على الأمة الإسلامية لنشر الدعوة، وفرض عين لدفع هجوم الكفار عليها. والمسلمون الآن مستذلون كما تعلم لغيرهم، محكومون بالكفار، قد ديست أرضهم وانتهكت حرماتهم، وتحكَّم في شؤونهم خصومهم، وتعطلت شعائر دينهم في ديارهم، فضلاً عن عجزهم عن نشر دعوتهم، فوجب وجوباً عينياً لا مناص منه، أن يتجهز كل مسلم، وأن ينطوي على نية الجهاد وإعداد العدة له، حتى تحين الفرصة، ويقضي الله أمراً كان مفعولاً..) اهـ . رسالة الجهاد.

والذي نستنتجه من آراء العلماء في الجهاد:

1- أن الجهاد فرض كفاية في أقل حالات فرضيته، وإلا ففرض عين في حالات خاصة.
2- أنه إن لم يقم بفرض الكفاية أحد أثم الجميع، وتحوَّل لفرض عين حتى يقوم به من يسقطه عن الآخرين، وقد بيّن هذا الشوكاني بوضوح.
3- أنه يكون فرض عين على الجميع في حالات ثلاث:

أ- إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان.

ب- إذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم، ثم الأقرب فالأقرب من المسلمين.

ت- إذا استنفر الإمام قوماً لزمهم النفير معه.

4- في حال كونه عينياً، فلا تلزم من تعيَّن عليه استشارة أحد .. زوج[1] أو والد أو صاحب دين أو حتى الأمير.. إن كان بعيداً عن الميدان، أو قعد عن الجهاد..

الجهاد فرض عين في هذه الأيام:

ونحن نعتقد –والله أعلم– أن الجهاد هذه الأيام فرض عين على المسلمين من وجهين:

أولاً: إن اقتصار مفهوم الأعداء على الشكل الذي يفهمه جملة الناس الآن، أنه غزو من قوم آخرين، واحتلال أو اعتداء خارجي، فهم قاصر، لأنه مقتصر على نوع من أنواع التعرض لنزول العدو بأرضنا.. والحقيقة أن كل من أذل المسلمين وانتزع الحكم منهم، وسيطر عليهم واستباح حرماتهم بقوانين الكفر، هو عدو حل بأرضهم. حتى أن جمهور العلماء يعتبرون تلك الدار دار كفر كما بيّنا ذلك في حكم الدار ص 53.

فالسلطة الكافرة أو الحاكم الكافر هو ومن معه أمة من دون المسلمين، ولو تسموا بأسمائهم وانتسبوا إليهم، لأن العبرة في التمييز بين أمة الإسلام وأمم الكفر، هو الاعتقاد والجهر به.

فنحن المسلمين، نعيش الآن حالة احتلال غير مباشر، ونزول للعدو بأرضنا، بأسماء كأسمائنا، وباستعانة بأبنائنا، وذراري أهل ديننا.. فهم أمة أخرى غير المسلمين.. وهم أعداء في ذواتهم وسلوكهم ومبادئهم، وأعداء في عمالتهم المباشرة وغير المباشرة لأعداء الإسلام الحقيقيين.. فهم في حقيقة الأمر عدو نزل بأرضنا، ويتعين علينا القتال كفرض عين حيث تنطبق علينا الحالة الثانية من العينية.. ولم يتعرض الفقهاء الأقدمون لهذا التبيان[2]، لأنه لم يخطر ببالهم أن المسلمين سيصلون لحال كهذه.. وقد اقتصر فهمهم وبيانهم على ما يعلمون من أشكال نزول العدو بأرضنا..

فلما استجد هذا الحال، لم يكن في الأمة من العلماء العاملين من يبين هذا الأمر ويجهر به، إلا من رحم ربي، وبقي الأمر على هذا الشكل. ومن هنا فهم الإمام البنا حين ذكر حالنا وبين بقوله: (فوجب عينياً لا مناص منه أن يتجهز كل مسلم..).

وثمة فرق يجب أن ننتبه، بين أن الجهاد الآن فرض عين وهذا ما نؤمن به، وبين قدرة طائفة المسلمين بأرض ما على القيام به.. فهو فرض على من قدر القيام به، ومن لم يقدر وجب عليه أن يعمل على تحقيق القدرة كما بينا ذلك..[3] والله المطّلع على السر وأخفى، يعلم العاجزين عنه وهم يعملون على رفع العجز، من الذين يبحثون ليتخذوا من دون الله ورسوله والمؤمنين وليجة. وخلاصة الأمر كما قال الشهيد عبد السلام فرج في رسالته (الفريضة الغائبة) (وبالنسبة للأقطار الإسلامية، فإن العدو يقيم في ديارهم، بل أصبح العدو يمتلك زمام الأمور، وذلك العدو هم هؤلاء الحكام الذين انتزعوا قيادة المسلمين ومن هنا فجهادهم فرض عين..).

ثانياً: أن الجهاد فرض كفاية في أقل أحواله، ويتحول لفرض عين إن لم يقم به أحد من المسلمين، وهي الحال اليوم حيث لا يقوم أحد بهذا الفرض تقريباً في سائر بلدان المسلمين.. فأهل كل بلد آثمون حتى يتصدى له فريق منهم على الأقل، وقبل أن تتحقق الكافية بهذا فهو فرض عين على الجميع.

مقارنة بين حكام اليوم وأنصارهم وبين التتار وجندهم
ومن دخل في ولايتهم

[1] بالنسبة للمرأة لا تخرج إلا بمحرم إلا لدفع ??

[2] رغم أن العلماء اتفقوا على أن الحاكم المسلم إن طرأ عليه الكفر أو الردة سقطت ولايته ووجب على الأمة الخروج عليه ونصب إمام مسلم. وقد مر بيان هذا.

[3] قال الإمام ابن تيمية: إذا تعذر الجهاد للضعف أو غيره سقطت الفريضة وتوجب الإعداد.

كما أشرنا لهذا آنفاً، فإن العالم الإسلامي لم يمر في تاريخه بحالة شبيهة بالحالة التي يعيشها منذ سقطت الخلافة تقريباً، حيث استبعد الحكم بما أنزل الله، وعمت أوضاع جديدة ولّدت مشاكل كبيرة لا حصر لها، وطرحت أسئلة كثيرة تنتظر الحل والفتوى من أهل العلم، وقد تصدى البعض لهذا الأمر، ولكنّ الموضوع لم يطرح على محمل الجدّ، والعمل والإيضاح والإبيان بالقدر الكافي حتى الآن.. وقد كان قدوم التتار لبلاد المشرق الإسلامي، قد أوجد أوضاعاً شبيهة لحد كبير بالوضع الحالي، حيث زعم التتار دخولهم الإسلام، بل وإن بعضهم أصبح فقيهاً وعابداً.. وحكم ملوكهم بخليط من الأحكام الوضعية، يعود بعضها لأصل إسلامي... وقد عاصر الإمام ابن تيمية ذلك الوضع وجاهده، وأفتى في أموره بفتاوى قيمة، يمكن العودة إليها فيما تشابه فيه حالنا بهم..يقول الشهيد محمد عبد السلام فرج في رسالته (الفريضة الغائبة) تحت عنوان –المقارنة بين التتار وحكام اليوم–:

1- واضح من قول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: "أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون" (وقد مر بيانه) أنه لم يفرق بين كل من خرج عن الحكم بما أنزل الله أياً كان وبين حكم التتار.. وفي الحقيقة أن كون التتار يحكمون بـ (الياسق) الذي اقتبس من شرائع شتى، من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فلا شك أن الياسق أقل حرمة من شرائع وضعها الغرب، لا تمت للإسلام بصلة، ولا لأي الشرائع.

2- وفي سؤال موجه إلى شيخ الإسلام ابن تيمية من مسلم غيور...يقول السائل واصفاً حالهم للإمام: (هؤلاء التتار الذين يقدمون إلى الشام مرة بعد مرة، وقد تكلموا بالشهادتين ولم يبقوا على الكفر الذي كانوا عليه في أول الأمر، فهل يجب قتالهم؟ وما حكم من قد أخرجوه معهم كرهاً؟ (أي أنهم يضمون المسلمين إلى جيشهم كرهاً –التجنيد الإجباري–) وما حكم من يكون مع عسكرهم من المنتسبين إلى العلم والفقه والتصوف ونحو ذلك؟.. وما يقال فيمن زعم أنهم مسلمون والمقاتلون لهم مسلمون؟ وكليهما ظالم فلا يقاتل مع أحدهما.. (وهي نفس الشبهة الموجودة الآن وسوف يتم توضيحها إن شاء الله) الفتاوى الكبرى ص280-281 مسألة (516).

3- ويقول ابن تيمية في وصف التتار: (ولم يكن معهم في دولتهم مولى لهم، إلا من كان من شر الخلق، إما زنديق منافق، لايعتقد دين الإسلام في الباطن؛ أي أنه يظهر الإسلام، وإما من هؤلاء من هو شر أهل البدع كالرافضة والجهمية والاتحادية ونحوهم — وهم من أصحاب البدع– وإما من أفجر الناس وأفسقهم، وهم في بلادهم مع تمكنهم لا يحجون البيت العتيق، وإن كان فيهم من يصلي ويصوم، فليس الغالب عليهم إقام الصلاة وإيتاء الزكاة (أليس هذا هو الكائن..؟)

4- وهم يقاتلون على ملك جنكيز خان –اسم ملكهم– فمن دخل في طاعتهم جعلوه وليهم وإن كان كافراً، ومن خرج عن ذلك جعلوه عدواً لهم وإن كان من خيار المسلمين، لا يقاتلون على الإسلام، ولا يضعون الجزية والصغار، بل غاية كثير من المسلمين منهم من أكابر أمرائهم ووزرائهم، أن يكون المسلم عندهم كمن يعظمونه من المشركين من اليهود والنصارى (الفتاوى الكبرى)ص286.

ملحوظة: أليست هذه الصفات هي نفس صفات حكام العصر، هم وحاشيتهم الموالية لهم الذين عظموا أمر الحكام أكثر من تعظيمهم لخالقهم.؟؟؟

5- وفي ص 287 يضيف شيخ الإسلام ابن تيمية واصفاً الموالين لجنكيز خان، فيكتب بمن كان فيما يظهره من الإسلام، ويجعل محمداً صلى الله عليه وسلم كجنكيز خان، وإلا فهم إظهارهم للإسلام يعظمون أمر جنكيز خان

كما يقاتلون المسلمين، بل أعظم أولئك الكافر يبذلون له الطاعة والانقياد، ويحملون إليه الأموال، ويقرون له بالنيابة، ولا يخالفون ما يأمرهم به، إلا كما يخالف الخارج عن طاعة الإمام للإمام، وهم يحاربون المسلمين ويعادونهم أعظم معاداة، ويطلبون من المسلمين الطاعة لهم، وبذل الأموال، والدخول فيما وضعه لهم الملك الكافر المشرك، المشابه لفرعون أو النمرود ونحوهم، بل هو أعظم فساداً في الأرض منهم.

6- ويضيف ابن تيمية يقول: ومن دخل في طاعتهم الجاهلية، وسنتهم الكفرية، كان صديقهم، ومن خالفهم كان عدوهم، ولو كان من أنبياء الله ورسله وأوليائه ص 228.

7- ويضيف شيخ الإسلام متكلماً عن القضاء في عصر التتار فيقول: (وكذلك وزيرهم السفيه الملقب بالرشيد، يحكم على هذه الأصناف، ويقدّم شرار المسلمين كالرافضة والملاحدة على خيار المسلمين، أهل العلم والإيمان، حتى يتولى قضاء القضاة، من كان أقرب إلى الزندقة والإلحاد والكفر بالله ورسوله.. بحيث تكون موافقته للكفار والمنافقين من اليهود والقرامطة، والملاحدة والرافضة[1]على ما يريدون، أعظم من غيره، ويتظاهرون من شريعة الإسلام بما لا بد منه، لأجل من هناك من المسلمين، حتى أن وزيرهم هذا الملحد المنافق الخبيث، صنف مصنفاً مضمونه أن النبي صلى الله عليه وسلم، رضي بدين اليهود والنصارى، وأنه لا يُنْكَر عليهم، ولا يُذَمُّون ولا يُنْهَون عن دينهم، ولا يؤمرون ولا ينهون عن دينهم، ولا يؤمرون بالانتقال إلى الإسلام. واستدل الخبيث الجاهل بقوله تعالى: "قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين" وزعم أن هذه الآية تقتضي أن يرضى دينهم.. قال وأن هذه الآية ليست منسوخة ص288-289 الفتاوى الكبرى).

فسبحان الله أليس مصنف وزير التتار هو نفس مصنف (الإخاء الديني) و ـ(مجمع الأديان) بل الأخير أفظع وأجرم)))[2].

ولقد قام على هذا البيان لحالهم وفهمه فتاوى هامة وشهرة، يمكن الاستفادة منها في حالنا، حيث كان وجه الشبه والقياس،وسنستعرض بعضاً منها(عن الفريضة الغائبة).

أولاً – حكم قتالهم .

يقول ابن تيمية ص 298مسألة (217): [قتال التتار الذين قدموا إلى بلاد الشام واجب بالكتاب والسنة، فإن الله تعالى يقول في القرآن: "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله" والدين هو الطاعة، فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله، وجب القتال حتى يكون الدين كله لله، ولهذا قال الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله". وهذه الآية نزلت في أهل الطائف لما دخلوا في الإسلام، والتزموا الصلاة والصيام، ولكنهم امتنعوا عن ترك الربا وبين الله تعالى أنهم محاربون له ولرسوله، فإذا كان هؤلاء محاربين لله ورسوله يجب جهادهم، فكيف بمن يترك كثيراً من شرائع الإسلام أو أكثرها كالتتار!!!.

وقد اتفق علماء المسلمين على أن الطائفة الممتنعة، إذا امتنعت عن بعض الواجبات الإسلامية الظاهرة، فإنه يجب قتالها، إذا تكلموا بالشهادتين وامتنعوا عن الصلاة والزكاة أو صيام رمضان أو حج البيت العتيق، أو عن الحكم بينهم بالكتاب والسنة، أو عن تحريم الفواحش أو الخمر، أو نكاح ذوات المحارم، أو استحلال ذوات النفوس والأموال بغير الحق، أو الربا أو الميسر أو الجهاد

[1] اطلق اسم الروافض على الشيعة الإمامية الاثني عشرية كما بين ذلك في شرحه في الفتاوى الكبرى.
[2] الفريضة الغائبة – محمد عبد السلام فرج رحمه الله.

للكفار، أو عن ضربهم الجزية على أهل الكتاب... ونحو ذلك من شرائع الإسلام، فإنهم يقاتلون عليها، حتى يكون الدين كله لله.

وقد ثبت في الصحيحين أن عمر لما ناظر أبا بكر في مانعي الزكاة قال له أبو بكر: كيف لا أقاتل من ترك الحقوق التي أوجبها الله ورسوله، وإن كان قد أسلم كالزكاة؟، وقال له: فإن الزكاة من حقها[1] والله لو منعوني عقال بعير، كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه، قال عمر: فما هو إلا أن رأيت قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال، فعلمت أنه الحق، وقد ثبت في الصحيح غير مرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الخوارج وقال فيهم: يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، أينما لقيتموهم فاقتلوهم أجراً عند الله، وإنَّ قتلهم يوم القيامة لئن أدركتهم لأقتلهم قتل عاد.

وقد اتفق السلف والأئمة على قتال هؤلاء، وأول من قاتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومازال المسلمون في صدر خلافة بني أمية وبني العباس مع الأمراء، وإن كانوا ظلمة كالحجاج ونوابه ممن يقاتلونه.

فكل أئمة المسلمين يأمرون بقتال التتار وأشباههم (أمثال حكام اليوم) الذين هم أعظم خروجاً عن شريعة الإسلام من مانعي الزكاة والخوارج، ومن أهل الطائف الذين امتنعوا عن ترك الربا، فمن شك في قتالهم فهو أجهل الناس بالإسلام وحيث وجب قتالهم قوتلوا وإن كان فيهم المكره.]اهـ.

ثانياً- حكم من والاهم من المسلمين

يقول ابن تيمية في ص /291/ باب الجهاد: [وكل من نفر إليهم من أمراء العسكر وغير الأمراء، فحكمه حكمهم، وفيهم من الردة عن شرائع الإسلام. وإذا كان السلف قد سموا مانعي الزكاة مرتدين مع كونهم يصومون ويصلون، ولم يكونوا يقاتلون جماعة المسلمين، فكيف بمن صار مع أعداء الله ورسوله مقاتلاً للمسلمين].

ويقول ابن تيمية ص293:[وبهذا يتبين أن من كان مسلم الأصل، هو شر من الترك[2] الذين كانوا كفاراً، فإن المسلم الأصل إذا ارتد عن بعض شرائعه، أسوأ حالاً ممن لم يدخل بعد في تلك الشرائع، متفقهاً أو متصوفاً أو تاجراً أو كاتباً أو غير ذلك، فهؤلاء شر من الترك الذين لم يدخلوا في تلك الشرائع، وأصروا على الكفر، ولهذا يجد المسلمون من ضرر هؤلاء على الدين ما لا يجدونه من ضرر أولئك، وينقادون للإسلام وشرائعه، وطاعة الله ورسوله، أعظم انقياداً من هؤلاء الذين ارتدوا عن بعض الدين، ونافقوا في بعض، وإن تظاهروا بالانتساب للعلم والإيمان.]اهـ.

ثالثاً- حكم من يخرج للقتال في صفهم مكرهاً وما يتوجب عليه:

يقول ابن تيمية ص 292 أيضاً: (فإنه لا ينضم إليهم طوعاً من المظهرين للإسلام إلا منافق أو زنديق أو فاسق فاجر، ومن أخرجوه معهم مكرهاً، فإنه يثبت على نيته، ونحن علينا أن نقاتل العسكر جميعه إذ لا يميز المكره من غيره).. تحذيره للمكره، ويقول ص295 محذراً المكره: (المكرَه على القتال في الفتنة ليس له أن يقاتل، بل عليه إفساد سلاحه، وأن يصبر حتى يُقتل مظلوماً، فكيف بالمكره على قتال المسلمين مع الطائفة الخارجة عن شرائع الإسلام، كمانعي الزكاة والمرتدين ونحوهم، فلا ريب أن هذا يجب عليه إذا أكره على الحضور ألا يقاتل وإن قتله المسلمون، وإن كرهه بالقتل ليس حفظ نفسه بقتل ذلك المعصوم أولى من العسكر فليس له أن يظلم غيره ويقتله لئلا يقتل هو) اهـ.

---

[1] ذلك عندما ذكر عمر بن الخطاب أن الرسول قال بعصمة دماء من قال لا إله إلا الله إلا بحقها قال أبو بكر فإنها –أي الزكاة- من حقها.

[2] هذا كان قبل إسلامهم طبعاً عندما كانوا على الكفر.

انظر إلى حسن الفقه ودقة القياس.

رابعاً – حكم إعانتهم اضطراراً للوقوع تحت حكمهم

وقد ورد بيان هذا معنا في بحث حكم الدار التي نحن فيها

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ص 280 (باب الجهاد): (وإعانة الخارجين عن شريعة دين الإسلام محرمة، سواء كانوا أهل ماردين أو غيرهم، والمقيم بها إن كان عاجزاً عن إقامة دينه وجبت الهجرة عليه، وإلا استحبت ولم تجب، ومساعدتهم لعدو المسلمين بالأنفس والأموال محرمة عليهم، ويجب عليهم الإقلاع عن ذلك بأي طريق أمكنهم، من تغيب أو تعريض أو مصانعة، فإذا لم يكن إلا بالهجرة تعينت، ويضيف: ولا يحل سبهم عموماً بالنفاق، بل السب والرمي بالنفاق يقع على الصفات المذكورة في الكتاب والسنة...)

خامساً– حكم أموالهم

مسألة (514) إذا دخل التتار الشام ونهبوا أموال النصارى والمسلمين، ثم نهب المسلمون التتار وسلبوا القتلى منهم.. فهل المأخوذ من أموالهم وسلبهم حلال أم لا؟: الجواب: كل ما أخذ من التتار يخمس ويباح الانتفاع به (ومعنى يخمس: يذهب خمسه لبيت المال ويوزع الباقي غنيمة)

سادساً– شبهة فقهية والرد عليها

هناك من يخشى الدخول في هذا النوع من القتال، محتجاً بأن الذين يواجهونهم هم جنود فيهم المسلم وفيهم الكافر.. فكيف نقاتل مسلمين، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أن القاتل والمقتول في النار، ولقد تعرض شيخ الإسلام ابن تيمية لنفس السؤال، فكانت مسألة من مسائل الفتاوى الكبرى (517) في أجناد يمتنعون عن قتال التتار، ويقولون أن منهم من يخرج مكرهاً (وللجواب) يقول ابن تيمية: (فمن شك في قتالهم فهو أجهل الناس بدين الإسلام، وحيث وجب قتالهم قوتلوا، وإن كان فيهم المكره باتفاق المسلمين كما قال العباس لما أسر يوم بدر: يا رسول الله إني خرجت مكرهاً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أما ظاهرك فكان علينا، وأما سريرتك فإلى الله، وقد اتفق العلماء على أن جيش الكفار إذا تترسوا (أي احتموا) بمن عندهم من أسرى المسلمين، وخيف على المسلمين الضرر إذا لم يقاتلوا، فإنهم يقاتلون وإن أفضى ذلك إلى قتل المسلمين الذين تترسوا بهم، وإن لم يخف على المسلمين، ففي جواز القتال المفضي إلى قتل هؤلاء المسلمين قولان مشهوران للعلماء، وهؤلاء المسلمين إذا قُتلوا كانوا شهداء، ولا يترك الجهاد الواجب لأجل من يُقتل شهيداً، فإن المسلمين إذا قاتلوا الكفار، فمن قُتِل من المسلمين يكون شهيداً، ومن قتل شهيداً وهو في الباطن لايستحق القتل لأجل مصلحة الإسلام كان شهيداً. وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يغزو جيش من الناس البيت، فبينا هم ببيداء من الأرض إذ خسف بهم، فقيل يا رسول الله: وفيهم المكره، فقال: يبعثون على نياتهم) فإذا كان الذي ينزله الله بالجيش الذي يغزو المسلمين، ينزله بالمكرهوغيره فكيف بالعذاب الذي يعذبهم به الله، به أو بأيدي المؤمنين، كما قال تعالى: "قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا". ونحن نعلم أننا لا نقدر على التمييز بين المكره وغيره، فإذا قتلناهم بأمر الله كنا في ذلك مأجورين ومعذورين، وكانوا هم على نياتهم، فمن كان مكرهاً لا يستطيع الامتناع، يحشر على نيته يوم القيامة، فإذا قتل لأجل قيام الدين لم يكن ذلك بأعظم من قتل من يقتل من عسكر المسلمين) انتهى ما أورده صاحب الفريضة الغائبة نقلاً عن ابن تيمية.

يحلو لبعض دعاة الإسلام والكثير من جهلتهم من المهزومين نفسياً، أن يصوروا الإسلام على أنه دين المحبة والسماحة والصبر على الأذى، والدعوة بالتي هي أحسن،وأن (لا إكراه في الدين) من عقائده، ويُغفِلُون ما هو منه كدين القوة والعدة والإعداد والحرب وضرب الرقاب، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بُعِثَ والسيف.. فيبرزون الإسلام في ثوب رهباني فضفاض، وإذا عيَّرهم أحدٌ بالجهاد على أنه دين إرهاب ودموية وقسر وإكراه، راحوا يَفرّون من هذا زاعمين أن هذا كان في الماضي، وأنه من تاريخ كل الأمم، أما الآن فإنه دعوة وتربية وإقناع وإفحام..الخ..فإن كان ولا بد، فللدفاع عن النفس، ويتناسون حقيقة الأمر وهي أن الإسلام جاء شاملاً كاملاً.. نظام حياة بكل ما فيها من سلم وحرب، ودعوة وقتال، وأسرة ومجتمع، وعلاقات دولية.. الخ كما أنه دين عبادات وآخرة، ورابطة بين العبد وربه.. ومن هذا المنطلق، فقد وجد حلاً لكل معضلة وإشكال..فإن لم يكن للدين أن يكون كله لله إلا بالجهاد وجب، وفوق هذا فقد كلف الله المسلمين بعد أن تم دينهم واكتمل، أن يقاتلوا المشركين كافة ولم يقبل الرسول صلى الله عليه وسلم من العرب إلا الإسلام أو السيف.. وأمر بقتال أهل الكتاب حتى يُسلموا أو يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون.. وجاء بتحطيم كل النظم السياسية وإخضاعها، حتى تتمكن الدعوة من الوصول إلى قلوب الناس دونما حاجز وإكراه، وحتى يكون الدين كله لله، (راجع تعريف ما هو الجهاد وقول المودودي رحمه الله ص).

فإذا عدنا إلى كتاب الله، وجدناه مليئاً بهذا.. وإن عدنا لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وجدنا عشرات الأحاديث الدالة على هذا.. وما ينكر هذا إلا جاهل أو متحامل أو منافق، أو رجل غلبت السياسة والأهواء عقيدته وأبلتها، وظن المصلحة الإسلامية في المداهنة والخداع، وظن أن أعداءنا لا يعرفون هذا حق المعرفة أكثر منه..

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلن وهو في مطلع مرحلته المكية لقريش قائلاً: (واستمعوا يا معشر قريش، أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح) فأخذ القوم كلمته حتى ما فيهم رجل إلا كأنما على رأسه طير واقع..

فلما أذن بالقتال، اشترك رسول الله بنفسه، وقاد سبعاً وعشرين غزوة... وأرسل السرايا الكثيرة تغزو في سبيل الله، وتتعقب المجرمين ورؤوس الكفر ومن حادَّ الله ورسوله، فنكَّل بهم وقتلهم بأساليب مختلفة، وقصة ابن الأشرف الذي أرسل إليه من اغتاله، لأن كان يسب الرسول والمسلمين، ويشبب بنسائهم معروفة.. وكذلك غيره من رؤوس الكفر كأبي بن أبي الحقيق.. وعصماء بنت مروان.. وغيرهم، فأسلوب الاغتيال في حال خاصة تقتضيه سنة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وهكذا كان.. صحيح أن مواقف كثيرة ومواطن عدة، أمر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكف والإعراض والصبر على الأذى، إلا أنه لما نزلت براءة وهي آخر ما نزل من القرآن، ونزلت فيها: "فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم، وخذوهم واحصروهم، واقعدوا لهم كل مرصد" وهي ما اصطلح على تسميتها آية السيف، نُسِخَ كل ذلك بها.. قال الحسن بن فضل فيها: هي آية السيف، نسخت هذه كل آية في القرآن فيها ذكر الإعراض والصبر على أذى الأعداء.. فعجباً لمن يستدل بالآيات المنسوخة على ترك القتال والجهاد، وقال الإمام أبو عبد الله بن حزم المتوفى سنة 56هـ في الناسخ والمنسوخ في باب الإعراض عن المشركين: (في مئة وأربع وعشرين آية في ثمان وأربعين سورة نسخ الكل بقوله عز وجل: "فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم.."[1] وهذا ما اجتمعت عليه آراء جمهور العلماء من المسلمين (راجع فقرات مراحل وسمات).

وعلى هذا سار الصحابة والسَّلف وتابعيهم في فتح الدنيا، حتى أوصلوا الإسلام لنا، وقامت في الأرض حضارة المسلمين.. أما الذين يريدون أن يعيشوا في إسلام المرحلة المكية، فما ندري على ماذا يستندون؟ .. ولماذا لا يريدون أن يكونوا مكيين إلا في الجهاد.. ولماذا لا يتركون الصوم ويأكلون الربا، فهذه لم تشرع أحكامها إلا في المدينة.. أما المرحلة المدنية، فهي التي قال الله تعالى

[1] التوبة /5.

في خاتمتها: "اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام ديناً" والتي قال فيها: "فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب" والتي أمرنا فيها بالإعداد بغية الإرهاب.. نعم بغية إرهاب العدو، وآخرين من دونهم لا نعلمه الله يعلمهم.. "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، ترهبون به عدو الله وعدوكم، وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم" فمن عمل على إرهاب أعداء الله، فهو إرهابي لهم وليس هذا سبة يخجل منها، فهي أمر من الله في كتابه العزيز.

وحتى وهم يزعمون أنهم يعيشون مرحلة الجهاد المكي والصبر والكف، فليتهم يقومون بمقتضيات الجهاد المكي.. فهو أصعب وأشق من الجهاد المدني.. يقول ابن تيمية في الفتاوى الكبرى –فقه الجهاد– : (والله تعالى يقول: "هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله" بالحجة والبيان، وباليد واللسان هذا إلى يوم القيامة، لكن الجهاد المكي بالعلم والبيان والجهاد المدني باليد والحديد، قال الله تعالى: "فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً" وسورة الفرقان مكية، وإنما جاهدهم باللسان والبيان، ولكنْ بكَفٍ عن الباطل، وإنما قد بين في المكية "ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم" اهـ.

فكان المطلوب من مسلمي مكة جهاد البيان، وكانوا مأمورين بأن ينكروا على قومهم الكفر الذي هم فيه، ويعلنوا إسلامهم ومبادئهم وبطلان أحكام الكفار، وأن مآلهم إلى النار.. حتى أنَّ كثيراً منهم كانوا يتعرضون للأذى من جراء مواقفهم، فلا مداهنة ولا مساومة، وإنما "لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد" فهل وقف مكيو القرن الخامس عشر الهجري هذا الموقف؟؟!!.

وأما الذين يتذرعون بالجهاد الأكبر وهو جهاد النفس مستنداً للحديث (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) وهو حديث موضوع كما ذكر ابن القيم، وقد ذكر آخرون أنه ضعيف جداً، وأنه قول مأثور لأحدهم، وليس بحديث، فهؤلاء يدخلون الناس في دوامة لا نهاية لها ولا طائل تحتها.. والأصل أن الإنسان لا يقف عن مرحلة جهاد نفسه من المهد إلى اللحد، وأما الجهاد بمفهومه الفرضي كفاية أم عيناً، فهو القتال، وقد بين الله تعالى ذلك في قوله: "كتب عليكم القتال وهو كره لكم" وبين الرسول صلى الله عليه وسلم معنى القوة في قوله تعالى: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة" فقال: (ألا إن القوة الرمي...) فهذا هو الإسلام .. دين الرحمة ودين العنف.. دين قوم أشداء على الكفار رحماء بينهم. فما ضرنا أن المهزومين من أبناء جلدتنا وديننا يُعَيَّرون بالجهاد، ويخشون أن يقال لهم إرهابيين.. لإنْ كان الواجب الذي هو حكم الله لا يقوم إلا بالعنف فقد وجب، وإن كان في البيان والحجة فقد وجبت، والحقيقة أنه لا يقوم إلا بهما والله المستعان..

حكم المرتد

يقول ابن تيمية: (وقد استقرت السنة بأن عقوبة المرتد أعظم من عقوبة الكافر الأصلي من وجوه متعددة.. منها أن المرتد يقتل بكل حال، ولا تضرب عليه جزية، ولا تعقد له ذمة، بخلاف الكافر الأصلي. ومنها أن المرتد يقتل، وإن كان عاجزاً عن القتال، بخلاف الكافر الأصلي، الذي ليس هو من أهل القتال، فإنه لا يقتل عند أكثر العلماء، كأبي حنيفة ومالك وأحمد. ولهذا كان مذهب الجمهور أن المرتد يقتل كما هو مذهب مالك والشافعي وأحمد، ومنها أن المرتد لا يرث ولا يناكح ولا تؤكل ذبيحته، بخلاف الكافر الأصلي، إلى غير ذلك من الأحكام، وإذا كانت الردة عن أصل الدين أعظم من الكفر بأصل الدين، فالردة عن شرائعه أعظم من الكفر، وخروج الخارج الأصلي عن شرائعه) إذن فما موقف المسلمين من هؤلاء المرتدين، الذين يؤاكلونهم ويشاربونهم ويتحالفون معهم ضد الحكومات؟!

حكم الجاسوس

أما الجاسوس المعادي فيقتل ولا خلاف بين العلماء في هذا: (حدثنا أبو نعيم حدثنا أبو العميس عن الـ... بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم عين (أي جاسوس) من المشركين وهو في سفر، فجلس عند أصحابه يتحدث ثم

انفتل (أي انصرف) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اطلبوه واقتلوه، فقتله (أي سلمة بن الأكوع) فنفله سلبه (أي أعطاه النبي لسلمة بن الأكوع) (رواه البخاري). فكل عدو تجسس على المسلمين استحق القتل ووجب قتله، أما الجاسوس المسلم الثابت إسلامه، الذي سرب للعدو معلومات عن المسلمين لغرض شخصي، لا لردة وموالاة، فقد اختلف فيه العلماء وهم فيه على رأيين أحدهما قتله.. فللإمام المسلم أن يرعى المصلحة في ذلك ويقدر الحالة والبواعث.

الاستعانة بمشرك في الجهاد

أورد الشهيد فرج صاحب الفريضة الغائبة – رحمه الله– تحت هذا العنوان: (عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان بِحَرَّة الوبرة، أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة، ففرح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما رأوه، فلما أدركه قال له الرسول صلى الله عليه وسلم: تؤمن بالله ورسوله؟ قال: لا، فقال: ارجع فلن نستعين بمشرك، قال: ثم مضى حتى إذا كان بالشجرة أدركنا الرجل، فقال له كما قال أول مرة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كما قال أول مرة: تؤمن بالله ورسوله؟ قال: نعم. فقال صلى الله عليه وسلم: فانطلق. (رواه مسلم)...

يقول النووي: قد جاء حديث آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم استعان بصفوان بن أمية قبل إسلامه، فأخذ طائفة من العلماء بالحديث الأول على إطلاقه، وقال الشافعي وآخرون: إن الكافر حسن الرأي في المسلمين، ودعت الحاجة إلى الاستعانة به استعين به وإلا فيكره، وحمل الحديثين هذين الحالتين، وإذا حضر الكافر بالإذن، وضح له ولا يسهم له، وهذا هو مذهب مالك والشافعي وأبو حنيفة والجمهور، وقال الزهري والأوزاعي يسهم له. والله أعلم.. اه . (مسلم بشرح النووي باب الجهاد).

ويقول مالك في الاستعانية بالمشركين والكفرة (إلا أن يكونوا خدماً للمسلمين فيجوز)، وقال أبو حنيفة: يستعان بهم ويعاونون على الإطلاق متى كان الإسلام هو الغالب الجاري عليهم فإن كان حكم الشرك هو الغالب كره.

وإذا حضر الكافر بالإذن، وضح له ولايسهم له، وهذا هو مذهب مالك والشافعي وأبو حنيفة والجمهور، وقال الزهري والأوزاعي يسهم له. والله أعلم. اه (مسلم بشرح النووي باب الجهاد).

ويقول مالك في الاستعانية بالمشركين والكفرة (إلا أن يكونوا خدماً للمسلمين فيجوز)، وقال أبو حنيفة: يستعان بهم ويعاونون على الإطلاق متى كان الإسلام هو الغالب الجاري عليهم فإن كان حكم الشرك هو الغالب كره.

وقال الشافعي: يجوز ذلك بشرطين: أحدهما: أن يكون المسلمون قلة ويكون المشركون كثرة، والثاني: أن يعلم من المشركين حسن رأي في الإسلام وميل إليه، ومتى استعان بهم وضح لهم ولم يسهم[1](أي أعطاهم مكافأة ولم يشركهم في سهام المسلمين في الغنيمة) اه.

فهكذا ينبغي للمسلمين والمجاهدين بشكل خاص، أخذ الحذر من هذه المزالق الخطيرة، فإن كان علماء المسلمين قد اختلفوا في جواز الاستعانة، فمنهم من قال: إلا أن يكونوا خدماً، ومنهم من قال: إلا أن تكون الدولة للإسلام، ومنهم من قال: لا يسهم لهم.. فأين هذا من الاستعانة بهم وهم يشترطون المشاركة في الحكم!! والدخول في حكومات نصفها جاهلية ونصفها إسلام.. نعوذ بالله من الضلال!!! فالأصل في الأمر حكم الشرع وليس الأهواء السياسية حسب رؤية المصلحية الوقتية.

تنقية الصف المجاهد

[1] لم يسهم لهم مجرد الغنيمة المادية. فكيف بمشاركتهم في الحكم كغنيمة من غنائم النصر. سبحان الله إلى أين وصل الضلال ببعض العاملين في الحركة الإسلامية. راجع التحالف الوطني – الجزء الأول.

ذكر صاحب الفريضة الغائبة رحمه الله: (يذكر للسلف أقوال كثيرة في ذلك: فمثال كلام السلف الأول من ذلك، استعرض الإمام الشافعي في كتاب الأم لحوادث المنافقين المتتالية عن المشاركة في الغزوات النبوية الكريمة، وتنبيهه إلى من يشتهر في أجيال المسلمين بعد ذلك، بمثل ما وُصف به أولئك المنافقون فإنه يقاس عليهم، ويعاقب بمثل ما عوقبوا به، يقول الشافعي: غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فغزا معه من يُعرَف نفاقه، فانخذل يوم أحد عنه بثلاثمائة، ثم شهدوا معه يوم الخندق، فتكلموا بما حكى الله عز وجل من قولهم ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً، ثم غزا النبي صلى الله عليه وسلم بني المصطلق، فشهدوا معه، فتكلموا بما حكى الله عز وجل من قولهم ونفاقهم، وتخلف آخرون منهم فيمن تخلف.. ثم أنزل الله تعالى من أخبارهم بعزوة تبول فقال: (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين) قال الشافعي: (فأظهر الله لرسوله أسرارهم، وخبر السمّاعين لهم، وإيتائهم أن يفتنوا من معه بالكذب والإرجاف والتخذيل لهم، فأخبره أنه كره انبعاثهم، فثبطهم إذا كانوا على هذه النية، وكان فيهم ما دل على أن الله أمر أن يمنع من عرف، بما عرفوا به أن يغزوا مع المسلمين لأنه ضرر عليهم.

يقول الشافعي: فمن اشتهر بمثل ما وصف الله به المنافقين، لم يحل للإمام أن يدعه يغزو معه لطلب فتنة المسلمين، وتخذيله إياهم، وأن فيهم من يستمع له بالغفلة والقرابة والصداقة، وأن هذا قد يكون أشد ضرراً عليهم من عدوهم.

واستمر الفقه على هذا حتى استلم رايته ابن قدامة المقدسي فقال: (ولا يصطحب الأمير معه مخذل وهو الذي يثبط الناس عن الغزو، ويزهدهم في الخروج إليه، والقتال والمشقة، مثل أن يقول: الحر أو البرد شديد، والمشقة شديدة، ولا تؤمن هزيمة الجيش وأشباه هذا. ولا راجفاً وهو الذي يقول: قد هلكت سرية المسلمين وما لهم من مدد، ولا طاقة لهم بالكفار، والكفار لهم قوة ومدد وصبر، ولا يثبت لهم أجر ونحو هذا، ولا من يعين على المسلمين بالتجسس للكفار، وإطلاعهم على عورات المسلمين ومكاتبتهم بأخبارهم، ودلالتهم على عوراتهم، أو إيواء جواسيسهم، ولا من يوقع العداوة بين المسلمين، ويسعى بالفساد، لقوله تعالى: " ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين، لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً، ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة" ولأن هؤلاء مضرة على المسلمين فيلزمه منعهم –المغني لابن قدامة 351/8.

غرور الفقيه يمنع تأميره

إننا نجد في فقه عمر بن عبد العزيز رحمه الله، ما يسوغ إبعاد الصادق صاحب الخير عن المسؤولية؛ إذا كان فيه نوع من حب الظهور والخيلاء، سداً للذريعة وصيانة له من احتمالات الافتتان والجناية على نفسه وعلى الدعوة.

فقد روى أن الراشد الخامس لما ولي الخلافة، أرسل إلى أبي عبيد المزجي، وكان فقيهاً ثقة في الحديث من شيوخ الأوزاعي ومالك، وممن يستعين به الخليفة سليمان بن عبد الملك، فقال له عمر: هذا الطريق إلى فلسطين، وأنت من أهلها فالحق به، قيل يا أمير المؤمنين: لو رأيت أبا عبيدة وتشيره للخير، فقال: ذاك حق إلا ثقته كان أبهةً للعامة. (تهذيب التهذيب 158/11).

ولقادة جماعات المسلمين أن يقولوا اليوم لكل داعية للسمعة والجاه، والمكانة الاجتماعية المرموقة، مثل الذي قال عمر بن عبد العزيز لأبي عبيد، ويفهموه أنه: قد أخطأت بداية الطريق إلى مرادك، فمررت بديار دعوة التواضع والبذل والالتزام الخطي، وهذه الطريق إلى ديار أشكالك فالحق بهم) اهـ. عن الفريضة الغائبة.

وهذا أمر خطير.. فالله تعالى يقول: "إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص" ولن يكون البنيان المرصوص بوجود عينات مثبطة خائرة العزائم مستكينة، ممن لا يكادون يسمعون بالجهاد إلا وتخور عزائمهم، فيعددون مزايا الأعداء وقواتهم وجيوشهم وبطشهم، ويذكرون ضعف المسلمين وهوانهم، وما تكاد تندلع أولى شرارات الصدام، حتى يقولوا ما هذا البلاء إلا

بسبب كذا وكذا، ويجبنون وتنكشف حقيقتهم.. وينظرون نظر المغشي عليه من الموت. ولقد رأيناهم رأي العين في الجهاد في سوريا الشام..

كما أنه لن يكون بنياناً مرصوصاً وفيه دعاة همهم المنصب والموقع والقيادة، فإذا غابت عنه ورم أنفه وانتكس إنتاجه.. ولن تتميز الصفوة المجاهدة، ولن تنكشف حقيقة الأمر إلا بالجهاد والعمل والتضحيات.. وعندها على إمام المجاهدين أن يقف هذا الموقف الحازم الذي أقره الشرع، فيعمد إلى دعاة من هذه الأشكال فيقول لهم: ذاك الطريق إلى أشكالكم في دول الأمان فالحقوا بهم. ويقول للمنافقين المرجفين: قد كره الله انبعاثهم وثبطكم فاقعدوا مع القاعدين..

الإيضاح والبيان واجب الدعاة الأول

يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله: (هناك حقائق من طبيعة منهج هذه الدعوة التي لا يجوز للدعاة الاجتهاد فيها، وهي أن عليهم أن يجهروا بالحقائق الأساسية في هذا الدين ولا يخفوا منها شيئاً، وألا يؤجلوا منها شيئاً، وفي مقدمة هذه الحقائق، أنه لا ألوهية إلا لله، فهذه الحقيقة الأساسية يجب أن تعلن أياً كانت المعارضة والتحدي، وأياً كان الإعراض من المكذبين والتولي، وأياً كانت وعورة الطريق وأخطارها كذلك. وليس من الحكمة والموعظة الحسنة إخفاء جانب من هذه الحقيقة أو تأجليه؛ لأن الطواغيت في الأرض يكرهونه أو يؤذون الذين يعلنونه، أو يعرضون بسببه عن هذا الدين، أو يكيدون له وللدعاة إليه، فهذا كله لا يجوز أن يجعل الدعاة إلى هذا الدين يكتمونه شيئاً من حقائقه الأساسية أو يؤجلونه، ولا أن يبدأوا مثلاً من الشعائر والأخلاق والسلوك والتهذيب الروحي، متجنبين الطواغيت في الأرض، لو بدأوا من إعلان وحدانية الله والربوبية، ومن ثم توحيد الدينونة والطاعة والخضوع والاتباع لله وحده، إن هذا لهو منهج الحركة بهذه العقيدة كما أراده الله سبحانه وتعالى، ومنهج الدعوة إلى الله كما سار بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بتوجيه من ربه، فليس لداع إلى الله أن يتنكب هذا الطريق، وليس له أن ينهج غير ذلك النهج، والله من بعد ذلك متكفل بدينه، وهو حسب الدعاة إلى هذا الدين وكافيهم شر الطواغيت). ويقول: (إن دين الله حقيقة تتمثل في الضمير وفي الحياة سواء... تتمثل في عقيدة تعمر القلب، وشعائر تقام للتعبد، ونظام يصرف الحياة. ولا يقوم دين الله إلا في هذا الكل المتكامل، ولا يكون الناس على دين الله إلا وهذا الكل المتكامل متمثل في نفوسهم وفي حياتهم، وكل اعتبار غير هذا الاعتبار تمييع للعقيدة، وخداع للضمير، ولا يقدم عليه مسلم نظيف الضمير.

وعلى المسلم أن يجهر بهذه الحقيقة ويفاصل الناس كلهم على أساسها، ولا عليه مما ينشأ عن هذه المفاصلة والله هو العاصم) ويقول: (وحين يجمجم صاحب الدعوة ويتمتم، ولا يبين عن الفارق الأساسي بين واقع الناس من الباطل وبين ما يدعوهم إليه من الحق، وعن الفاصل بين حق وباطلهم، حين يفعل صاحب الدعوة هذا مراعاة للظروف والملابسات، وحذروا من مواجهة الناس بواقعهم الذي يملأ عليهم حياتهم وأفكارهم وتصوراتهم، فإنه يكون قد خدعهم وآذاهم، لأنه لم يعرفهم حقيقة المطلوب منهم كله، وذلك فوق أنه يكون لم يبلغ ما كلفه الله تبليغه، إن التلطف في دعوة الناس إلى الله، ينبغي أن يكون في الأسلوب الذي يبلغ به الداعية، لا في الحقيقة التي يبلغهم إياها، إن الحقيقة يجب أن تبلغ كاملة، أما الأسلوب فيتبع المقتضيات القائمة، ويرتكز على قاعدة الحكمة والموعظة الحسنة.

ولقد ينظر بعضنا اليوم فيرى أهل الكتاب هم أصحاب الكثرة العددية، وأصحاب القوة المادية، وينظر فيرى أصحاب الوثنيات المختلفة يعدون مئات الملايين في الأرض، وهم أصحاب كلمة مسموعة في الشؤون الدولية، وينظر فيرى أصحاب المذاهب المادية ذوي أعداد ضخمة، وأصحاب قوة مدمرة، وينظر فيرى الذين يقولون أنهم مسلمون ليسوا على شيء، لأنهم لا يقيمون كتاب الله

المنزل إليهم، فيتعاظمه الأمر فيستكثر أن يواجه هذه البشرية الضالة كلها بكلمة الحق الفاصلة، ويرى عدم الجدوى في أن يبلغ الجميع أنهم ليسوا على شيء، وأن يبين لهم الدين الحق وليس هذا هو الحق.

إن كلمة الحق في العقيدة لا ينبغي أن تجمجم، إنها يجب أن تبلغ كاملة فاصلة، وليقل من شاء من المعارضين كيف يشاء، وليفعل من شاء من أعدائها ما يفعل.. والمطلوب هو عدم المداهنة في بيان كلمة الحق كاملة في العقيدة، وعدم اللقاء في منتصف الطريق في الحقيقة ذاتها، فالحقيقة ليست فيها أنصاف حلول) انتهى كلام سيد رحمه الله[1].

إنها كلمات مضيئة ... وليقف الدعاة أمامها قبل غيرهم وقفة تأمل.. فليس هذا التكليف بالبيان والإيضاح اختياري، إن شاء الدعاة فعلوه، وإن شاؤوا كتموه.. لأن الله تعالى قال: "إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون".

معنى لا إكراه في الدين

إن ديننا الحنيف الذي جاء ليهدم عروش الطواغيت، ويسقط أنظمة الكفر والطغيان، قد ضمن للإنسان كرامته في ظل نظامه وشرعه.. وضمن له حرية اعتقاده، فنص على أن لا إكراه ف يالدين.. ولكن هذا المبدأ استغل استغلالاً مائعاً من قبل كثير من الناس، ومنهم كثير من الدعاة أنفسهم، فهل تُرك الحبل على الغارب في المبادئ والاعتقادات والصدع بالآراء دون ضابط، لأن الله تعالى قال: "لا إكراه في الدين" ؟ يقول أبو الأعلى المودودي رحمه الله: (فالجهاد الإسلامي لا يتعرض لعقائد الناس ومناسكهم، أو مناهج شؤونهم الاجتماعية التي اختاروها وآثروها لأنفسهم، فلهم الخيار في أن يدينوا بما شاؤوا من العقائد، ولهم الحرية التامة في أن يختاروا ما استحسنوه من المناهج، لكنه لا يرضى أن تكون لهم الحرية في تسيير دفة الحكم، على منهاج ما أنزل الله من سلطان) ويقول سيد قطب رحمه الله: (إنه لم يكن من قصد الإسلام قط، أن يكره الناس على اعتناق عقيدته.. ولكن الإسلام ليس مجرد عقيدة، إن الإسلام كما قلنا إعلان عام لتحرير الإنسان من العبودية للعباد، فهو يهدف إلى إزالة الأنظمة والحكومات التي تقوم على أساس حاكمية البشر للبشر، وعبودية الإنسان للإنسان، ثم يطلق الأفراد بعد ذلك أحراراً –بالعقل– في اختيار العقيدة التي يريدونها بمحض اختيارهم، بعد رفع الضغط السياسي عنهم، وبعد البيان المنير لأرواحهم وعقولهم..ولكن هذه الحرية ليس معناها أن يجعلوا إلههم هواهم، أو أن يختاروا بأنفسهم أن يكونوا عبيداً للعباد، أو أن يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله.. إن النظام الذي يحكم البشر في الأرض، يجب أن تكون قاعدته العبودية لله وحده،.. وذلك بتلقي الشرائع منه وحده[2]).

فليس مِنْ "لا إكراه في الدين" أن يجهر كل شيوعي وكافر ومارق بعقيدته ويدعو الناس إليها في دولة الإسلام، وليس من "لا إكراه في الدين" أن يُسفه حكم الله، ويذم ويوصف بالرجعية، ويدعى إلى تركه واتخاذ غيره.. من أديان القومية والوطنية والاشتراكية والديمقراطية، وليس من "لا إكراه في الدين" أن نُجْرِيَ استفتاءً تدلي فيه الجماهير برأيها، أنحكّم الشرع أم لا؟! وليس من "لا إكراه في الدين" أن تقوم حكومة فيها المسلم الملتزم الحاكم بشرع الله، وفيها الشيوعي وفيها الاشتراكي والديمقراطي والشيطاني في مجلس ائتلافي موصوف بالمدينة.. وبرلمان تقدمي موصوف بالديمقراطية.. هذا كفر وياسق عصري.. إن كل هذا مرفوض ولا يحتج عليه بلا إكراه في الدين..

" لا إكراه في الدين" تعني أن يحكم الإسلام ويداس الكفر.. ويأمن المسلم وغير المسلم في بلاد الإسلام، ويعبد الله كيف شاء في رعاية وحماية وضمانة له، وأمان من دولة الإسلام.

---

[1] طريق الدعوة في ظلال القرآن.

[2] رسالة الجهاد- أبو الأعلى المودودي- حسن البنا- سيد قطب- رحمهم الله جميعاً.

للمجاهدين فقط

في ختام هذا البحث، الذي أثبتنا فيه قناعاتنا الفكرية والإيمانية، في قضية الحكم والجهاد وما يتفرع عنها.. لا بد لنا وأن نذكر بعض الأساسيات التي نتوجه بها إلى أولئك المقتنعين بهذه الأفكار وهذا المنهج والعازمين على الجهاد في سبيل الله لإقامة حكم الله في الأرض، على أنقاض هذه الأنظمة الجائرة والكافرة، والمرتدة، وذيولها من المنافقين.. وهي أساسيات لا بد من إدراكها لاستبانة هذه الطريق الشاقة، واستيضاح بعض معالمها، والتزود بالزاد المناسب، لوعورة الطريق وطول ومشقته..

الجهاد ذروة سنام الإسلام

قال صلى الله عليه وسلم: (رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد) أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

إن الجهاد بهذا المركز الذي حازه في الإسلام، حيث سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم بذروة سنام الإسلام، وجعل مرتبة علية.. عمل يحتاج إلى مؤهلات.. فهذا العمل الذي يستهوي الكثير من النفوس المقدامة الأبية، والمخلصة والطامحة لإعلاء كلمة الله، لايثبت فيه إلا نفوس قد مرت في مراحل أساسية، وتزودت بمناهل لا بد منها، وأخذت حظها من تربية معينة، ونالت بإخلاصها وصدق مرماها قبل كل ذلك رضاء الله ومدده.. فلا بد للذي يريد أن يسمو بنفسه ليعتلي ذروة سنام الإسلام، لا بد له أن يكون قد مر بأساس الإسلام وبنائه بالمراحل التي تؤهله للوصول وصولاً منطقياً إلى مرحلة ذروة السنام.. وإلا فإنه قد يحصل أن يعتلي امرؤ هذه الذروة نتيجة ظرف معين، أو اندفاع معين، ولكن وعورة الطريق وطوله وكثرة المحن وشدة الوطأة وتتالي الخسائر.. ما تلبث أن تجعله —إن لم تتداركه رحمة الله— واهنَ العزيمة، متردد الثقة، وقد ينقلب وقد يتقهقر، وقد يتخاذل وقد يفتن وقد يرتد والعياذ بالله.. فالمحن التي تزلزل الجبال الراسيات، تبدأ بوطأة الجهد والمكابدة، وتنتهي بوطأة النصر والسطوة وزوغان القلوب بها، مروراً بفتن العذاب والقتل، والتشرد وترك الأهل، ومحن لا يعلمها إلا الله...

فلا بد للنفوس التي نذرت نفسها لله، واتخذت لها موقفاً على هذا الثغر الخطير من الإسلام، أن توطن نفسها على التحمل وتتزود وخير الزاد التقوى.. فالعبادة زاد، والقرآن زاد، والعلم زاد، والإعداد العسكري زاد.. وزيادة الإيمان وتصحيح العقيدة خير الزاد.. فالطريق شاق وللمجاهدين صفات وهم مراتب.. والفائز من ثبت الله فؤاده. فالمفروض بمن يتصدى لهذه الذروة، أن يأخذ هذا بعين الاعتبار، وهذا في حق من يتصدى لقيادة العمل الإسلامي الجهادي وتربية المجاهدين وإعداد العدة ليوم اللقاء أولى.. فإن الذروة التي تقوم على قاعدة هشة لا تلبث أن تنهار.. وإن العزم وحده على ركوب هذا الطريق لا يكفي، فلا بد من التزود، ولا بد من توضيح الصورة، وتوطين النفس على التحمل، والاستعانة بالله أولاً وآخراً.. ولكن هذا لا يعني أن يكون هذا الكلام ملاذاً لكل متخاذل جبان، يريد أن يدخل دوامة الإعداد اللانهائي دونما خطة واضحة، ودونما جدول مبرمج، فالإعداد واجب ولكنه مرحلة وليس هدفاً، والهدف هو الجهاد هو الجهاد لإعلاء كلمة الله، وإقامة حكمه، والله يعلم السر وأخفى.. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب فقه الجهاد من الفتاوى الكبرى: (ولهذا كان الجهاد سنام العمل وانتظم جميع سنام الأحوال الشريفة، ففيه سنام المحبة كما في قوله: "فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم" وفيه سنام التوكل وسنام الصبر، فإن المجاهد أحوج الناس إلى الصبر والتوكل، ولهذا قال الله تعالى: "والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا، لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون، الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون" وقال موسى لقومه: "استعينوا بالله واصبروا، إن الأرض لله يورثها لمن يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين"، ولهذا كان الصبر واليقين — الذين هما أصل التوكل— يوجبان الإمامة في الدين، كما دل عليه قوله تعالى: "وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا

يوقنون"، ولهذا كان الجهاد موجباً للهداية التي هي محيطة بأبواب العلم، كما دل عليه قوله تعالى: "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا" فجعل لمن جاهد فيه هداية لجميع سبله تعالى ولهذا قال الإمامان عبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهما: إذا اختلف الناس في شيء، فانظروا ماذا عليه أهل الثغور، فإن الحق معهم لأن الله تعالى يقول: "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا".

وفي الجهاد أيضاً حقيقة الزهد في الحياة الدنيا، وفي الدار الدنيا، وفيه أيضاً حقيقة الإخلاص، فإن الكلام فيمن جاهد في سبيل الله لا في سبيل الرياسة، ولا في سبيل المال، ولا في سبيل الحمية، وهذا لا يكون إلا لمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، وأعظم مراتب الإخلاص: تسليم النفس والمال للمعبود، كما قال تعالى: "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون" والجنة اسم الدار التي حوت كل نعيم أعلاه للنظر إلى الله، إلى ما دون ذلك مما لا تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين مما قد نعرفه وقد لا نعرفه، كما قال الله تعالى فيما رواه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر) اهـ.

الإخلاص وشرعية الهدف والوسيلة

إن الله تعالى لا يقبل من العبد إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم وكان صواباً[1]، ويعني الشرط الأول منها أن تكون النية في العمل هي إرضاء الله سبحانه وتعالى، لا لهدف آخر من زعامة أو مال أو حمية، وهذه مسؤولية فردية،

ويعني الشرط الثاني (حسب علماء شرح الحديث) أن يكون العمل موافقاً للكتاب والسنة، فلا يقبل العمل إلا أن يكون مشروع الهدف والوسيلة والخطوات، ولعل خطورة هذا العمل تبرز في الجهاد أكثر من غيره من الأعمال، لأن المجاهد يضع رجله بدخوله ركب المجاهدين على مفرق خطير، فإما جنة عرضها السموات والأرض، وإما جهنم تسعر به وبأضرابه من العاملين لغير الله والعياذ بالله..

يقول صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات وإنما كل امرئ ما نوى..) متفق عليه. وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله، فقال صلى الله عليه وسلم: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله) متفق عليه. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن أول الناس يقضي عليه رجل مجاهد يأتي به، فعرَّفه نِعَمَهُ فَعَرَفَها، فقال: ما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال كذبت، قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال فما عملت فيها.. قال تعلمت العلم وعلمته، وقرأت القرآن فيك، قال كذبت، ولكنك تعلمت ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال قارئ.. فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال فما عملت فيها، قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت لك. قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار) رواه مسلم.

فالإخلاص الإخلاص اخوة الجهاد، فهو أساس العمل وضمانه.

هذا فيما يخص الشرط الأول في القبول، وأما الشرط الثاني.. أي أن يكون صواباً، فكما أسلفنا أن يكون الطريق مشروعاً لا غبار عليه، موافقاً للكتاب والسنة، وهذا يعني بالتأكيد، أن تكون الراية إسلامية كاملة نظيفة، مبرأة من كل شبهة من شبهات الطاغوت الكثيرة في هذا الزمان؛ من وطنية وقومية وديمقراطية و.. الخ من الرايات الكثيرة، كما تقتضي أن يكون الهدف إسلامياً

[1] كما في الحديث الشريف.

صرفاً، وهو إقامة حكم الله الخالص في الأرض كما أمر في كتابه وسنة نبيه، كما تقتضي بالتأكيد إسلامية المنفذ والقائم على التنفيذ، أي أفراد المجاهدين وقيادتهم، لا بد أن يكونوا من المؤمنين المجاهدين المخلصين لهذا الخط، كما تقتضي أن تكون الخطة مشروعة لا محل فيها لأهواء سياسية وآراء مصلحية شخصية، خطوات مستندة في أصولها لكتاب الله وسنة نبيه.. وهذا ينسحب على كل صغيرة وكبيرة من خطوات التنفيذ، فنحن كمسلمين مجاهدين، يحدنا شرع وتحكمنا أصول، والمجال ليس مفتوحاً للآراء والأهواء، حتى ولو كانت في ظاهرها تبتغي مصلحة الإسلام، فمصلحة الإسلام في اتباع الشرع، وعندنا نحن المسلمين الغاية لا تبرر الوسيلة بل الغاية المشروعة تستلزم الوسيلة المشروعة، وهذا من المقيد للقاعدة الأصولية (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب).

العقلانية وإعطاء المراحل حقها

(راجع بحث مراحل وسمات)

لا بد وأن تتسم الخطوات بالعقلانية، فلا إفراط ولا تفريط، فالهدف هو إقامة حكم في الأرض، وهذا لن يكون إلا بالجهاد المسلح الحق المدعوم بالقوة.. ولكن هذا لا يعني أن نقفز على المراحل، ولا أن نميع القضية بحجة الإعداد، فالثمرة الفجة غير الناضجة لا تصلح للأكل، والثمرة التي نضجت، إما أن تسقط فيأخذها أي عابر، وإما أن تفسد وهي على الغصن.. وعلى المجاهدين توسم المراحل، والاقتباس من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وإعداد العدة في حدود الإمكان، ثم التوكل على الله. ولكن لا بد من التمايز ووضوح النهج، وهنا تكمن الحكمة في موازنة الأمور، ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، فإنْ صدقت النيّة وكان الطريق صواباً، فنجاح وأجران، وإما فشل لحكمة يريدها الله وأجر، إن كنا قد أعددنا فعلاً ما نستطيع من قوة بكل معنى الاستطاعة والقوة، من تدبير وتخطيط وإعداد وتنفيذ، بعد التوكل على الله..

تجنب التشنجات والتطرف وتكلف المواقف

لقد ميعت كلمة (التطرف) و (التشدد)، حتى كادت تصبح لدى أعداء الإسلام وأذنابهم، علماً على كل مسلم يريد تحكيم شرع الله ولو في حياته الخاصة، وليس هذا ما نعني بتجنب التطرف والتشدد والتشتنج بالطبع فالله سبحانه وتعالى أخبرنا أن اليهود والنصارى لن يرضوا عنا حتى نتبع ملتهم، وخسئوا إن شاء الله، فلن يرضوا منا إلا ترك ديننا، فإن لم نترك فنحن متطرفون ومتشددون ودينيون وإرهابيون، فإن كانت المطالبة بتحكيم شرع الله وبيانه للناس، والتزام أحكام الإسلام تطرفاً وتشدداً، وإن كان العمل لها إرهاباً وتشدداً فنعمت الصفات هي، ولكنها ليست كذلك، إنها عين اليسر والاعتدال، وممارسة الحق في اختيار الأسلوب المناسب..

ولكن أمراً يجب أن يكون بالغ الوضوح في رؤية المجاهدين، وهو أن الله تعالى أخبرنا على لسان نبيه، أن هذا الدين يسر، وما اختيارنا هذا الطريق إلا لأنه من أسباب علاج الواقع تلك الأسباب التي فرضها الله تعالى واختارها وشرعها، فالمطلوب منا حسن البيان، ومقارعة الحجة بالحجة، والترفق بالطيبين من المسلمين خصوصاً، حتى نأخذ بأيديهم بالهوني إلى حظيرة الإسلام، لتنتظمهم جماعة المسلمين، والمطلوب شرح قضيتنا بلين وهذا في الأسلوب، أما في العقيدة فلا مناصفة ولا مساومة.. فأما العنف والجهاد، فلمن وقف في وجه الحق، واستحالت معه الحسنى من الكفار والحربيين، وإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، كما قال أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه... إذن..

لا داعي للافتأت.. لقد ثبت لدينا كفر الحكام وكفر أنظمتهم وارتدادها، وهذا بحث وعلم لازم لتحديد الموقف منهم، واختيار الطريق المناسب في راحة ضمير وطمأنينة سريرة... أما الامتداد إلى الطيبين من المسلمين، الذين يحبون هذا الدين ويجهلون جله،

وحملهم على المواقف حملاً، ووضعهم تحت طائلة القاعدة (من لم يكفر كافراً فقد كفر) فتكلُّفٌ لا محل له، فليس الطريق أن نقول فلان لا يكفر الحاكم فهو كافر.. وفلان لا يكفر هذا الأخير فهو كافر وفلان لا يكفره كذلك.. وهكذا ندخل في هذه الدائرة المغلقة، حتى نصل إلى ما وصل إليه المنحرفون قديماً وحديثاً، وليس كل خروج عن أحكام الإسلام كفر، فهناك فروع كثيرة وأعذار بالجهل، فيما ليس من المعلوم بالدين بالضرورة، وليس هذا محل البحث، وقد ترى علماء العقيدة كثيراً في هذا الباب، وقالوا بإسلام من يحكم بإسلامه، ولو من باب من سبعين باب.

هوية الراية وطبيعة المعركة

يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله في معرض كلامه في ظلال قصة أصحاب الأخدود: (هناك حقيقة أخرى تشير إليها إحدى التعقيبات القرآنية على قصة الأخدود في قوله تعالى: "وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد" حقيقة ينبغي أن يتأملها المؤمنون الداعون إلى الله في كل أرض وفي كل جيل، إن المعركة بين المؤمنين وخصومهم، هي في صميمها معركة عقيدة، وليست شيئاً آخر على الإطلاقن وإن خصومهم لا ينقمون منهم إلا الإيمان، ولا يسخطون منهم إلا العقيدة، إنها ليست معركة سياسية، ولا معركة اقتصادية، ولا معركة عنصرية، ولو كانت شيئاً من هذا لسهل وقفها، وسهل حل إشكالها، ولكنها في صميمها معركة عقيدة –إما كفر وإما إيمان– إما جاهلية وإما إسلام، ولقد كان كبار المشركين يعرضون على رسول الله صلى الله عليه وسلم المال والحكم والمتاع مقابل شيء واحد، أن يدع معركة العقيدة وأن يدهن في هذا الأمر، ولو أجابهم –حاشاه– إلى شيء مما أرادوا لما بقيت بينهم وبينه معركة على الإطلاق، إنها قضية عقيدة ومعركة عقيدة.. وهذا ما يجب أن يستيقنه المؤمنون حيثما واجهوا عدواً لهم، فإنه لا يعاديهم إلا لهذه العقيدة "إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد" ويخلصوا له وحده الطاعة والخضوع، وقد يحاول أعداء المؤمنين أن يرفعوا للمعركة راية غير راية العقيدة، راية سياسية أو اقتصادية أو عنصرية، كي يموهوا على المؤمنين حقيقة المعركة، ويطفئوا في أرواحهم شعله العقيدن. فمن واجب المؤمنين ألا يُخدعوا، ومن واجبهم أن يدركوا أن هذا تمويه لغرض مبيت، وأن الذي يغير راية المعركة، إنما يريد أن يخدعهم عن سلاح النصر الحقيقي فيها، النصر في صورة من الصور[1].

نماذج وعبرة من طريق الدعوات

ويقول رحمه الله في موضع آخر من بحثه في ظلال نفس السورة: (لقد شهد تاريخ الدعوة إلى الله نماذج منوعة من نهايات في الأرض مختلفة للدعوات... شهد مصارع قوم نوح، وقوم هود، وقوم شعيب، وقوم لوط، ونجاة الفئة المؤمنة قليلة العدد مجرد النجاة، ولم يذكر القرآن للناجين دوراً بعد ذلك في الأرض والحياة، وهذه النماذج تقرر أن الله تعالى يريد أحياناً أن يعجل للمكذبين الطغاة بقسط من العذاب في الدنيا، أما الجزاء الأوفى فهو مرصود لهم هناك.

وشهد تاريخ الدعوة مصرع فرعون وجنوده، ونجاة موسى مع التمكين للقوم في الأرض، لأنهم كانوا فيها أصلح ما كانوا في تاريخهم، وإن لم يرتقوا قط إلى الاستقامة الكاملة، وإلى إقامة دين الله في الأرض، منهجاً للحياة شاملاً، وهذا نموذج غير النماذج الأولى.

وشهد تاريخ الدعوة كذلك مصرع المشركين الذين استعصوا على الهدى والإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، وانتصار المؤمنين انتصاراً كاملاً مع انتصار العقيدة في نفوسهم انتصاراً عجيباً، وثم للمرة الوحيدة في تاريخ البشرية، أن أقيم منهج الله مهيمناً على الحياة في صورة لم تعرفها البشرية قط، من قبل ولا من بعد.

[1] طريق الدعوة في ظلال القرآن.

وشهد كما رأينا نموذج أصحاب الأخدود، حيث قضى المؤمنون نحبهم شهداء على يد الكافرين، وأحرقوا عن آخرهم، وشهد نماذج أخرى أقل ظهوراً في سجل التاريخ الإيماني في القديم والحديث، وما يزال يشهد نماذج تتراوح بين هذه النهايات التي حفظها على مدار القرون، ولم يكن بد من النموذج الذي يمثله حادث الأخدود إلى جانب النماذج الأخرى القريب منها والبعيد.. لم يكن بد من هذا النموذج الذي لا ينجو فيه المؤمنون، ولا يؤخذ فيه الكافرون.. ذلك ليستقر في حس المؤمنين —أصحاب دعوة الله– أنهم قد يدعون إلى نهاية كهذه النهاية في طريقهم إلى الله، وأن ليس لهم من الأمر شيء، إنما أمرهم وأمر العقيدة إلى الله.. أن عليهم أن يؤدوا واجبهم ثم يذهبوا، وواجبهم أن يختاروا الله، وأن يؤثروا العقيدة على الحياة، وأن يستعلوا بالإيمان على الفتنة، وأن يصدقوا الله في العمل والنية، ثم يفعل الله بهم وبأعدائهم كما يفعل بدعوته ودينه ما يشاء، وينتهي بهم إلى نهاية من تلك النهايات التي عرفها تاريخ الإيمان أو إلى غيرها مما يعلمه هو ويراه.

إنهم أجراء عند الله، أينما وجدوا وكيفما أرادهم أن يعملوا، عملوا وقبضوا الأجر المعلوم وليس لهم ولا عليهم أن تتجه الدعوة إلى مصير، فذلك شأن صاحب الأمر لا شأن الأجير.

وهم يقبضون الدفعة الأولى طمأنينة في القلب، ورفعة في الشعور، وجمالاً في التصور، وانطلاقاً من الأوهام والجواذب، وتحرراً من الخوف والقلق، في كل حال من الأحوال، وهم يقبضون الدفعة الكبرى في الآخرة حساباً يسيراً، ونعيماً كبيراً، ومع كل دفعة ما هو أكبر منها جميعاً، رضوان الله، وأنهم مختارون ليكونوا أداة لقدره، وشعاراً لقدرته، يفعل بهم في الأرض ما يشاء، وهكذا انتهت التربية بالفئة المختارة من المسلمين في الصور الأولى إلى هذا التصور، الذي أطلقهم من أمر ذواتهم وشخصوهم، فأخرجوا أنفسهم من الأمر البتة، وعملوا أجراء عند صاحب الأمر، ورضوا خيرة الله على أي وضع وأي حال.. إن لله حكمة وراء كل وضع، ووراء كل حال، ومدبر هذا الكون كله المطلع على أوله وآخره، المنسق لأحداثه وروابطه، هو الذي يعرف الحكمة المكنونة في غيبه المستور، الحكمة التي تتفق مع مشيئته في خط السير الطويل.

وفي بعض الأحيان يكشف لنا بعد أجيال وقرون، عن حكمة حادث لم يكن معاصروه يدركون حكمته، ولعلهم كانوا يسألون لماذا.. لماذا يارب يقع هذا.. وهذا السؤال هو الجهل الذي يتوقاه المؤمن، لأنه يعرف ابتداء أن هناك حكمة وراء كل قدر، ولأن سعة المجال في تصوره، وبعد المدى في الزمان والمكان، والقيم الموازين تغنيه عن التفكير ابتداء في مثل هذا السؤال، فيسير مع دورة القدر في استسلام واطمئنان.

لقد كان القرآن ينشئ قلوباً يعدها لحمل الأمانة، وهذه القلوب كان يجب أن تكون من الصلابة والقوة والتجرد، لا تتطلع —وهي تبذل كل شيء، وتحتمل كل شيء– إلى شيء في هذه الأرض ولا تنظر إلا إلى الآخرة، ولا ترجو إلا رضوان الله، قلوباً مستعدة لقطع رحلة الأرض كلها في نصب وشقاء، وحرمان وتضحية وعذاب حتى الموت، بلا جزاء في هذه الأرض قريب، ولو كان هذا الجزاء هو انتصار هذه الدعوة، وغلبة الإسلام وظهور المسلمين، بل لو كان هذا الجزاء هو هلاك الظالمين بأخذهم أخذ عزيز مقتدر، كما فعل بالمكذبين الأولين، حتى إذا وجدت هذه القلوب التي تعلم أن ليس أمامها في رحلة الأرض إلا أن تعطي بلا مقابل —أي مقابل– وأن تنتظر الآخرة وحدها موعداً للفصل بين الحق والباطل حتى إذا وجدت هذه القلوب، وعلم الله فيها صدق نيتها على ما بايعت وعاهدت أتاها النصر في الأرض، وائتمنها عليه لا لنفسها ولكن لتقوم بأمانة المنهج الإلهي، وهي أهل لأداة الأمانة منذ كانت لم توعد بشيء من المغنم في الدنيا تتقاضاه، ولم تتطلع إلى شيء من المغنم في الأرض تعطاه، وقد تجردت لله حقاً يوم كانت لا تعلم لها جزاء إلا رضاه (....) وهذه اللفتة جديرة بأن يتدبرها الدعاة إلى الله في كل أرض وفي كل جيل، فهي كفيلة بأن تريهم معالم الطريق واضحة بلا غبش، وأن تثبت خطى الذين يريدون أن يقطعوا الطريق إلى نهايته كيفما كانت

هذه النهاية، ثم يكون قدر الله بدعوته وبهم ما يكون، فلا يلفتون في أثناء الطريق الدامي المفروش بالجماجم والأشلاء وبالعرق والدماء إلى نصر أو غلبة، أو فيصل بين الحق والباطل في هذه الأرض.. ولكن إذا كان الله يريد أن يصنع بهم شيئاً من هذا لدعوته ولدينه فسيتم ما يريده الله.. لاجزاء على الآلام والتضحيات...لا.. فالأرض ليست دار جزاء، وإنما تحقيقاً لقدر الله في دعوته ومنهجه على أيدي ناس من عباده يختارهم، ليمضي بهم من الأمر ما يشاء، وحسبهم هذا الاختيار الكريم الذي تهون إلى جانبه وتصغر هذه الحياة، وكل ما يقع في رحلة الأرض من سراء أو ضراء)[1].

وحدة الجماعة المجاهدة

قال تعالى: "إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص".

في الساحة الإسلامية اليوم كما بيّنا آنفاً طروح إسلامية مخلصة كثيرة منها الإصلاحي ومنها التربوي ومنها ومنها.. وقد بدأت طروحات الجهاد تأخذ طريقها بإذن الله إلى الظهور العملي.. وثمة أمر لا مندوحة للمجاهدين عنه، ألا وهو وحدة الصف المجاهد، فالساحة الإسلامية المتعددة المناحي أمر فرض نفسه وفرض إيجابيات وسلبيات كثيرة، ولا مجال للدخول في متاهة طويلة عريضة لحمل كل الفرقاء على الاقتناع بالجهاد العملي والعمل له.. فهذا التنوع أمر واقع.. فليخدم كل الإسلام وحسب وجهة نظره وكيفما شاء.. وعلى المجاهدين أن يبينوا نهجهم الجهادي الثوري ويعملوا له، فمن اقتنع بطريقهم فهو منهم ومعهم، ومن لم يقتنع من أبناء الصف الإسلامي الواسع فليعمل بما اقتنع، ولندع الله لبعضنا بالتوفيق، ولنتجنب المصادمات والتناحر الداخلي وتسفيه الآراء[2]، أما من اقتنع بالجهاد العملي على الشكل الذي بيّنا آنفاً فهؤلاء جماعة واحدة وصف واحد، ومن الواجب أن يكونوا تنظيماً واحداً، وذلك للظروف التي ستمليها عليهم فيما بعد ظروف المعركة، فلا يمكن للمجاهدين أن يستمروا في طريقهم تحت قيادات شتى، حتى ولو أرادوا أن يقنعوا بعضهم أو أنفسهم بإمكانية ذلك، ففي البلد الواحد يتوجب أن يضم الصف المجاهد تنظيم جهادي واحد وقيادة واحدة، وأهداف واضحة واحدة، ومنهاج مرسوم يعمل وفقَهُ واحد.. وذلك لأسباب شرعية وعقلية واستراتيجية[3] أما الأسباب الشرعية فأكثر من أن تحصى أدلتها وهي واضحة في ضمير كل حركي مسلم.. فالله سبحانه وتعالى أوجب الوحدة التعاضد، وأما العقلية والاستراتيجية فتوضحها طبيعة المعركة، فالوسط الذي سيختار منه المجاهدون عناصرهم ومؤيديهم هو وسط واحد، والأهداف التي سيتصدى لها المجاهدون هي واحدة، والمراحل الجهادية والمعاناة وتصدي قوى الكفر هي واحدة.. فعند تعدد التنظيمات الجهادية في بلد واحد، فإن الواسط الإسلامي سيكون مجال تنازع في التأييد العملي والوجداني من قبل هذه التنظيمات، كذلك الأهداف السياسية والعسكرية ستكون مجال تضارب وفشل لتباين الخطط وجهلها من قبل الآخرين، وأما ردود فعل السلطات فإنها ستحمل مفاجآت لأطراف مجاهدة لم تكن وراء تلك ردود الفعل.. ولقد حصل هذا فعلاً كما بيّنا في التجربة السورية، رغم أنه لم يكن هناك أكثر من طرف مجاهد بالمعنى الواضح، ورغم ذلك ظهرت سلبيات ومقاتل كثيرة من وراء تشرذم حصل وكان له سلبيات كثيرة.. وطالما أن الطرح الجهادي واحد وهو إقامة حكم الله عن طريق الجهاد، وطالما أن البلد واحد والعدو واحد والمشاكل واحدة فلم أكثر من قيادة؟! إن هذا لن يكون إلا لوجود أهواء ونزعات شخصية، وهذه لا يُسمح بها في أوساط مجاهدين، وهي من أكبر أسباب الهزيمة شرعاً وعقلاً ومنطقاً.. ومرفوض رفضاً قاطعاً أي شكل من أشكال الوفاق الهشة وخطط التنسيق التكتيكي في البلد الواحد.. أما أن يكون في بلاد متعددة تنظيمات متعددة للجهاد فهذا معقول بل مفروض، ويقبل حينها التنسيق والتعاون لأبعد الحدود مع وجود قيادة كل تنظيم جهادي في كل

---

[1] استعلاء الإيمان لسيد قطب رحمه الله (من كتاب معالم في الطريق).

[2] إلا ما كان في رد انحراف وبدعة بأسلوب شرعي يدعمه الدليل فهذا المطلوب (سيمر تفصيل هذا الفصل الملحق إن شاء الله.

[3] وقد بينا ذلك في كتابنا (الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا – التجربة والعبرة).

بلد، لأن هذا أمر واقع من جراء الحال النكد الذي تتشرذم فيه بلاد الإسلام، فعندها يكون مجال تبادل الخبرات والكوادر المجاهدة، حتى والقيام بأعمال لصالح المجاهدين في بلد آخر.. رغم وجود قيادة للمجاهدين في كل بلد.. فهذا واقع مؤقت، وستكون الوحدة إن شاء الله فور قيام أول دولة إسلامية، حيث ستكون قطب الرحى لكل تنظيمات الجهاد وملجأ وعوناً وسنداً...

أما البلد الواحد فربما وجد أكثر من جماعة إسلامية.. منها الإصلاحي ومنها السياسي ومنها التربوي ومنها ومنها.. أما جماعة الجهاد وطلائع الفداء فتنظيم واحد.. وهذا ما تمليه طبيعة الطرح الجهاد ومقتضياتها –وطالما أن الله هو الغاية والحكم الإسلامي هو الهدف والجهاد والفداء هو الطريق فلا محل للأهواء.. وعلى الصف المجاهد أن يحدد أصحاب تلك الأهواء، –ولابد من وجودهم على كل حال– ويلفظهم بعيداً عن صف الجهاد.. وفي كل الطروح غير المجاهدة.. يمكن لهؤلاء الأصناف أن يختبئوا، أما في أوساط الجهاد فلا.. فوسط الجهاد وسط تضحية وفداء وبذل وعطاء وتمحيص.. وسرعان ما تنكشف فيه النفوس والكفاءات والدوافع.. فخلاصة القول، أنَّ وحدة المجاهدين في البلد الواحد، في جماعة واحدة، تحت راية إسلامية صافية واحدة، وقيادة جديرة مضحية بنفسها في طليعة المضحين واحدة أيضاً، وخطة استراتيجية وتكتيكية عسكرية وسياسية وإعلامية واحدة.. هذه الوحدة هي أساس لا بد منه قبل انطلاق شرارة الجهاد.. وفي وطيس المعركة تمتزج الدماء وتلتئم الصفوف، ويرى المسلم المتوجفون من طريق الجهاد القدوة والمثل، فيلتحقون بالصف المجاهد.. ويفتح الله إن شاء الله..

في منهاج المجاهدين

في الوسط الإسلامي اليوم جماعات شتى ترمي في مجموعها إلى التحويل الإسلامي، والتغيير الجزئي أو الكلي.. الشامل أو المتدرج.. ولكل منها جهازها التربوي وخطتها في الإعداد.. ورغم تباين الطروح فإنها تكاد تتطابق في المناهج المطبقة في التربية والإعداد... وإن كان بعضها يرجح في التربية الروحية الخلقية، وآخر في العلمية الشرعية، وثالث في الثقافة الحركية السياسية، ورابع وخامس... ولكنها تجتمع كلها على غياب التربية العسكرية والبدنية والحركية، بأسلوب منظم ومبرمج ومتناسب مع التربية الإسلامية الشاملة.. وهذه نقطة ضعف أطمعت الأعداء فينا وجعلتهم يستبيحون حرماتنا كلما جاءهم الأمر من شرق أو غرب، وهذا ما على المجاهدين أمل المستقبل الإسلامي أن يتفادوه ويتجاوزوه.. ولعل أهم المناحي التي يجب أن تتساير فيها مراحل التربية والتكوين بشكل متناسق هي الأبواب التالية، حيث سنشير إليها إشارة عموم لا تفصيل، فله محل آخر إن شاء الله.

المرحلة الأولى:

- التربية الإسلامية وبها يبدأ المربي أو الموجه توجيهه للأخ حيث تشمل هذه التربية الأبواب التالية:

أ– العقيدة: حيث تفصل له بأسلوب سهل وواضح وتبين له الانحرافات، وينصح بمطالعات محددة في هذا الخصوص، ويخضع لدورات داخلية بمستويات متدرجة لشرح أصول العقيدة.

ب– علوم القرآن: من تجويد وتفسير وحفظ ودراسات قرآنية، حيث يتدرج الموجه فيه حسب المستوى ويحدد في ذلك منهاجاً.

ت– علوم السنة: وتشمل مطالعات في الحديث وفي شروح الحديث وفي حفظ مختارات منه حسب منهاج محدد.

ث– الفقه: ويبدأ بفقه العبادات وأصولها الصحيحة، ويركّز على العبادات الأساسية ومفاهيمها ومراميها، ثم ينتقل لأبواب الفقه الأخرى من معاملات وسواها حسب المستوى. ويفرد اهتماماً خاصاً لفقه الجهاد وبأسلوب يفيد في حل الإشكالات المعاصرة.

ج- السيرة: دراسة السيرة النبوية دراسة مستفيضة، والاعتماد على منهاج للمطالعة والدراسة.

ح- الأخلاق والتربية النفسية: ويخضع فيها الأخ لتربية روحية منهجية مدروسة ومبرمجة، وتحدد له مطالعات في هذا المجال حسب المستوى، ويبرمج له الموجه واجبات من العبادات والأذكار وسواها وفق برنامج محدد أيضاً.

خ- دراسات في النظام الإسلامي السياسي والاقتصادي والاجتماعي: حيث يحدد فيه للأخ برنامج من المطالعات.

د- دراسات في الفرق المنحرفة عن الإسلام: حيث يعطى فيها معلومات عن أصول هذه الفرق ونشأتها ومعتقداتها ومواطن تواجدها في العالم الإسلامي، ودورهم في عداء الإسلام.

المرحلة الثانية:

1ً- الثقافة التاريخية:

أ- دراسة في التاريخ الإسلامي والمؤامرات المعاصرة على العالم الإسلامي.

ب- دراسة في تاريخ البلد الذي يعمل فيه التنظيم المجاهد.

ت- دراسة في تاريخ الحركة الإسلامية المعاصرة.

ث- دراسة في التاريخ العالمي (موجزة).

(يعتمد في هذه الأبواب على منهاج للمطالعة الشخصية مع متابعة الموجه)

2ً- الثقافة الفكرية والسياسية:

أ- الاطلاع على المذاهب الفكرية والسياسية المعاصرة.

ب- مطالعات سياسية مبرمجة لتوسيع المدارك السياسية والقدرة على التحليل السياسي.

ت- متابعة الأخبار والأنباء والتحليلات الإخبارية عبر الإذاعات والتلفزيون والصحف المختصة.

(يعتمد في هذه أيضاً على منهاج للمطالعة الشخصية مع متابعة الموجه)

المرحلة الثالثة: الإعداد الحركي والعسكري (**النظري**):

أ – التربية البدنية والرياضية: حيث يكلف كل فرد بممارسة رياضة ما على وجه الإلزام في حال الإمكانات وتفضل رياضات العنف.. مصارعة.. جودو.. كاراتيه.. ملاكمة.. الخ، فإن لم يكن، فأي رياضة كانت للحفاظ على استعداد رياضي ولياقة دائمة، ويشرف الموجه بنفسه على مستوى الأخ البدني والرياضي، ويشمل هذا الباب القيام برحلات في تشكيلات صغيرة.. يمارس فيها الأخ حياة الشظف والتقشف، ويمارس المسير والجري وصعود الجبال، والحياة في شبه معسكر صغير عبر رحلات كشفية، ويهتم برياضة الحبال والتسلق والقفز والسباحة.. ويشمل هذا الباب أيضاً إتقان قيادة الدراجة العادية والنارية والسيارة..

ب – التربية الحركية والأمنية: ويجري فيها تدريب الأخ في هذا الباب على الوعي الحركي والحس الأمني، عبر مطالعات في المكتبة الجاسوسية والأمنية، وعبر التجارب العملية على المواعيد وإخفاء الآثار، ويخضع لدورة في علم الوثائق والتزوير والتنكر والتجسس ومقاومة التجسس، وسواها من الأمور الحركية والأمنية (ويخضع الأخ في هذا الباب لامتحان).

ج – الثقافة العسكرية النظرية: ويطلع الأخ في هذه على منهاج مبرمج في مواد عسكرية ومؤلفات في هذه العلوم تشمل المواد التالية: (الاستراتيجية والتكتيك في حرب العصابات) (علم هندسة المتفجرات والألغام – علم الأسلحة المستخدمة في حروب العصابات- الاتصالات وعلم الشيفرة- الصحة والإسعاف العام- علم الطبوغرافيا العسكرية- المسلكية في التنظيمات

العسكرية...) ويخضع الأخ في هذه لشرح شامل لكل منها، ثم يدرسها بشكل منفرد ويخضع فيها لامتحان يحدد مدى إتقانه فيها.

المرحلة الرابعة: الإعداد العسكري العملي:

ويجري هذا في معسكرات مخصصة، حيث تراجع فيها معلومات الأخ النظرية في العلوم العسكرية المختلفة، ويتدرب على استخدام الأسلحة والمتفجرات بأشكالها والمعدات والأجهزة العسكرية، ويجري له امتحان تحدد فيه قدراته البدنية والحركية والأمنية، حيث تكون القيادة على إطلاع كامل بمستوى أفرادها وإمكانياتهم.

ملحوظة مهمة:

1- يعتمد في كل الدراسات والعلوم النظرية على مجهود الأخ الشخصي في مطالعات مبرمجة يحددها له الموجه.
2- لا ينتقل الأخ للمرحلة الثانية إلا بعد أن يحظى بقسم لا بأس به من المرحلة الأولى، وهي التربية الإسلامية ويخضع لاختبار.
3- لا ينتقل الأخ للمرحلة الثالثة إلا بعد أن يتجاوز المرحلة الثانية، وهي مرحلة البناء الثقافي التاريخي الفكري السياسي. كذلك لا ينتقل للمرحلة الرابعة إلا بعد أن يتجاوز المرحلة الثالثة ويخضع لاختبار.
4- يعتبر هذا التدرج منهاجاً شاملاً لأعضاء التنظيم وليس حصراً على جهاز عسكري فيه، فالتنظيم كله تنظيم إسلامي جهادي عسكري: وهذا لا يمنع اختيار نخبة خاصة أثبتت جدارتها في تجاوز امتحانات المراحل الأربعة لتكون رأس الحربة. وبعد أن يكون الأخ قد حصل على قسط كاف من كل مرحلة تتابع التربية في المناحي كلها معاً للارتقاء.

هذه إشارة سريعة لعموم العلوم والمعارف والاستعدادات التي يجب أن يأخذها بعين الاعتبار تنظيم جاد يرفع شعار الجهاد للتغيير الإسلامي الجذري، وهذا الاستعداد لا يعني المباشرة بدخول الصدام تحت أي ظرف، ولكنه إعداد لازم لمواجهة الظروف بإمكانيات داخلية مناسبة للجماعة الإسلامية المجاهدة للدفاع الذاتي على الأقل، ويبقى قرار البدء في العمل على إقامة الحكم الإسلامي مرهوناً بخطة الجماعة المجاهدة، وفق رؤيتها للوسط التي هي فيه، والإمكانيات التي لديها والظروف المحيطة بها –راجع فقرة مراحل وسمات–.

ونعود في ختام هذه الكلمات لنؤكد الحقيقة التي نؤمن بها كل الإيمان، وهي أنه قد آن الأوان والله أعلم لقيام تنظيم أو تنظيمات إسلامية، تضع نصب عينها العمل على إقامة نظام إسلامي، بالمفهوم الذي شرعه الله أياً كانت الوسائل الموصلة لذلك، طالما أنها شرعية.

وقد أثبت الواقع العملي والتجارب الإسلامية الكثيرة أن هذا لن يرضي رؤوس الكفر، ولن يكون من سبيل لإقامة مثل هذا النظام إلا الجهاد المسلح بالقوة. نسأله تعالى أن يجعلنا من عباده المجاهدين وأن يستعملنا في إقامة شرعه على النحو الذي يرضيه.

20 – أفكار ونظريات عملية مستفادة من التجربة[1]

أولاً : بين النظرية المجردة والطرح المستخرج من التجربة والتطبيق:

تعمد كل جماعة أو حزب أو تجمع سياسي، ولا سيما تلك التي تطرح برامجها في التغيير والإصلاح على المستوى السياسي، إلى بلورة أفكارها وآراء منظريها، في مجموعة من الشعارات والبرامج والنظريات السياسية، التي تضمنها خلاصة فكرها ووجهة نظرها حول تحقيق هدف مرجو معين ومحدد. ولئن كان من السهل إلى حد ما صياغة العبارات وتزويق البيان وعرض تلك الأفكار في

[1] عن كتاب (الثورة الجهادية الإسلامية في سوريا الجزء الأول – الفصل الثالث).

صورة تبدو للسامع العادي معقولة ومنطقية، فإنه ليس من السهل على كل عاقل أن يتقبل سيول هذه الطروحات والبرامج من الجهات المختلفة، والتي تبدو في كثير من الأحيان متضاربة الأهداف مختلفة المشارب، ليس من السهل عليها تقبلها على أنها طروح عملية مؤكدة النتيجة.. وتزداد هذه الصعوبة في القبول إذا كانت التجربة الزمنية لهذه الطروح طويلة إلى حد ما، بشكل يدفع المحلل الحصيف إلى الانتقال إلى دائرة الشك في جدوى مثل هذه الأفكار، أو جدوى تطبيقها، وإمكانية ومدى قربه من النتيجة على الأقل.. هذا الشك، ينقل صاحبه إن هو أمعن الفكر في نوع من هذه الطروحات، إلى الاستنتاج بأنها لا تعدو كونها برامج وأفكار وأهداف فارغة المحتوى، فصيحة البيان ليس لها من حظ في عالم التطبيق العملي والفعلي الذي يرجوه أصحابها منها... وللحقيقة لا بد من القول، أن كثيراً من تلك البرامج المطروحة في سوق العمل الإسلامي قد وقعت في هذه الحال المرضية، ونعني بعدها عن الواقع وعدم جدواها، رغم أنها كانت مجدية وعملية وقابلة للتطبيق في وقت من الأوقات، لأنها تحجرت وتصلبت مع الزمن، ولم يتمكن أصحابها من تطوير واقعها على صعيد التكتيك والمحتوى، بما يتلاءم مع تسارع الزمن والحدث الذي غدا رهيباً في عالمنا المعاصر، فما كان مناسباً في الثلاثينات غدا غير مناسب في الأربعينات، فكيف به ونحن على أعتاب نهاية القرن العشرين.. إن كثيراً من تلك الطروحات تبدو في واقعها المتحجر بعد انقضاء هذا الزمن الطويل عليها، وتمسكها بقدسية هشة، تحاط بها آراء المنظرين الأوائل بطريقة لا شك أنها بعدية عن تفكيرهم أنفسهم لو عادوا للحياة الآن، تبدو طروحات بالية فارغة أكثر منها طروحات جادة عملية، إلا أنها لازالت تجني ثمار الهالة التي حققها لها المجددون الأوائل، وتعيش على فتات فضلهم السالف عبر واقع موغل في الفقر والإفلاس.

ولئن كان هذا المرض العضال قد أصاب العديد من الجماعات السياسية في مختلف مناطق العالم، فإن الملاحظ المهتم بأمر الحركة الإسلامية والذي يعلق الأمل عليه كطريق للخلاص والتقدم في سائر بقاع العالم الإسلامي، لا بد له من أن يلاحظ أن حظ الحركة الإسلامية من هذا المرض الخطير العضال وافر إلى حد مؤسف بل ومخيف. فقد خلط معظم القائمين على هذه الحركات بين روعة فكر المجددين والمنظرين الأوائل لهذه الحركات، ووفرة حظه على صعيد القيمة الفكرة التجديدية وغيرها من الميزات، وبين أسلوب أو أساليب أولئك الدعاة التي كانت مناسبة لهم في عصرهم ذلك، فأسبلوا على تلك الأفكار والأساليب معاً رداء من القدسية يشبه كثيراً رداء الكهنوت، وغدت عندهم شبيهة بحديث من لا يرد كلامه صاحب القبر الشريف عليه الصلاة والسلام، فغدت طريقاً وسنة ومنهجاً متحجراً لا يتطور على صعيد الأسلوب والطرح، وغدا كل صوت نزيه يرتفع من الصف مطالباً بالحركة والتجديد وملاءمة الواقع ضرباً من الهرطقة الدينية، سرعان ما يوصم صحابه المخلص المندفع في جبينه بخاتم التطرف والانشقاق والتعجل.. الخ وغالباً ما ينكفيء أولئك المساكين على أنفسهم، ويخرجون من تلك القافلة المسكينة الموغلة في التيه وصحراء الفشل وضياع الجهود.

وكثيراً ما يندفع اليائس من واقع متحجر إلى هجر كل ما كان قديماً، خالطاً أيضاً بين تراث فكري ثر لا غنى عنه لكل حركة تجديد، وبين أساليب استهلكت ويجب خلعها، وينطلق هو الآخر مرتكباً خطأ لا يقل خطراً عن خطر المتحجرين، إذ ينبت من كل فكر وطرح ونظرية، ليسلك درب العملية التي لا تستند لفكر ولا نظرية في التطبيق والعمل، وهكذا يولد واقع مريض آخر هو عمل بلا أرضية ولا جذور، يندفع أيضاً في ظلام تيه جديد في شراذم غالباً ما يغوص أصحابها المخلصون في دمائهم ودماء غيرهم.

ولكن إلى متى يبقى هذا الواقع المرير؟ تشرذم العمل الإسلامي بين نظرية مجردة تتحرك كجسد ضخم يمشي على أرجل من فخار، وبين أرجل تعدو بجسد هزيل بلا رأس...نعتقد أنه آن الأوان ليقف منصف مفكر أمام نفسه وتجارب غيره من المسلمين، لإنهاء

هذا الطلاق النكد بين الفكر النظري والعمل الجاد، لاستخلاص تصورات عملية تستند إلى قاعدة ثمينة من التراث الفكري والتاريخي الهائل، متحركة بأساليب مجددة تناسب واقعاً في منطقة محددة، ولا من الاعتراف هنا بواقع مرير ناتج عن مرحلة الاستعمار القديم والحديث بكل أبعاده العسكرية والسياسية والثقافية والاقتصادية، والذي فرض ظروفاً متباينة إلى حد مرعب بين بقاع العالم الإسلامي، وفرض عليها تلك الحدود المصطنعة التي غدت واقعاً لا فائدة من نسيانه وتجاوزه، هذا الاعتراف لا بد أن يقودنا مادمنا في نطاق العقل والمنطق، إلى اعتراف آخر يفيد بأن طروحات عملية تولد في مكان ما، لا بد وأن تكون مناسبة لواقعها وابنة شرعية له، ولا يعني هذا بالضرورة أنها ملائمة ومفيدة لواقع بلد آخر، فقلما تتطابق الظروف وبالتالي الحلول، وقد تتشابه بنسب مختلفة، وقد تختلف إلى حد يجعل نظرية واقعية في مكان ما مستحيلة في مكان آخر، ويعتبر تطبيقها فيه ضرب من الخطيئة والبحث عن الفشل والخسائر وضياع الجهود[1]. إن هذا لا يعنين ألا يستفيد المسلمون من تجارب بعضهم في مكان أو آخر، وأن يتعظوا من تلك الظروف، بل يعني ألا تستعار تلك التجارب لتلبس جاهزة، فظروف بلاد العالم الإسلامي متشابهة في بعض الجوانب كخضوعها لطواغيت لا يقيمون شرع الله، ويتبعون في العمالة جهة من الجهات العدوة الكافرة، ويتعرض المسلمون ولا سيما الدعاة للحرب والنكال نفسه.. الخ إلا أن الاختلاف يأتي في المرحلية التي تحياها الحركة الإسلامية، في واقعها الذي يفرض نوعاً من الحل الآني يناسب بلداً ما، وقد لا يناسب بلداً آخر في الجوار لتشابك العوامل والظروف والمؤثرات بشكل غاية في التعقيد، ولكن هذا لا ينفي التعاون والتشاور والتعاضد، بل والدعم بين تلك الحركات بشكل لا مركزي، فلا يمكن لهيئة مرشدين في المغرب أن تتصور الحلول وتفرضها على العاملين في المشرق، والدعوة التي قد يزينها أصحابها بالعالمية التي تطبع الدين الإسلامي والدعوة إلى الوحدة والعمل وفق هياكل ذات طبيعة دولية، لا شك أنها مقبولة ومفيدة على صعيد التلاقح الفكري والتراث العريق الواحد والمشترك، إلا أنها مثالية إلى حد بعيد، بل إنها معضلة حقيقية إن كانت ستعني ضرباً من التدخل في سير حركة ما في منطقة ما من آخرين غرباء عن واقعها، ولقد أعطت هذه التنظيمات الإسلامية ذات الطابع الدولي المثال تلو الآخر على أن كلمة الدولية التي تلحق باسم هذه التنظيمات، لا تعني أكثر من فكر مشترك منبثق عن ديننا الواحد –ولا شك في هذا– ولكنها لا تعني شيئاً على صعيد التظيم والعمل السياسي، ولطالما فشل –مثلاً– التنظيم الدولي للإخوان المسلمين في حل مشاكل فرعه في سوريا حتى الداخلية منها، ولطالما كانت تلك الحلول حين طرحها بعيدة عن الواقع وليدة بنات أفكار أناس لا يعيشون ذلك الواقع ولا يفقهون منه شيئاً، في حين كان تعاونهم في مجال الدعم والإعلام عظيم الفائدة.

إن السنين الطوال من العمل الدعوي لإقامة حكم الله في بعض مناطق العالم الإسلامي عبر طرح البرامج، وإصدار البيانات وتدبيج الخطب وتوسيع القاعدة وكسب أنصار وفقدان آخرين.. ومعاناة من قسوة الطغاة وسفاهة حربهم وضراوتها، والاستمرار في الصبر والعناء أدخل كثيراً من تلك الحركات في حلقة مفرغة. ولقد مرت عليها أوقات كان لها من الأنصار أكثر من واقعها الحالي. ولقد سجلت كثيراً من تلك الحركات التراجع تلو الآخر كأدلة على الفشل والعجز عن تحقيق الهدف. لقد أصبح عمر الدعوة في بعض الأمكنة عشرات السنين، ومازالت تنحو عبر نفس الأساليب البالية، حتى اضطر أصحابها أن يصرحوا وبشكل مخجل أنهم لا يريدون الحكم، ولا ندري كيف يقيمون حكم الله إن كانوا لا يريدونه؟ ومن سيقيمه إن تخلّوا عنه هم وتركوا ريادته؟ وهل يبدو لهم منطقياً ونحن نعيش ظروف تلك الأنظمة، أن أولئك الملاحدة والمارقين والمفسدين من حكامنا سيطبقوه ويهدوه لشعوبهم المسلمة إن نحن دعوناهم إليه ليل نهار، وأشبعناهم وعظاً وخطباً، وتحملنا بلاءهم وقتلهم وسجونهم مئات السنين؟؟ أم أنه اعتراف

[1] فظروف دعوة عريقة قديمة الجذور كتلك التي في مصر أو بلاد الشام أو الباكستان وتركيا ليست كظروف دعوة ناشئة يافعة كتلك التي في المغرب أو تونس أو بلد في قلب أفريقيا السوداء، ومعطيات الدعوة هنا وما توجبه المرحلة ليست كمعطياتها هناك، وظروف دعوة في بلد محتل كأفغانستان أو فلسطين أو سوريا ليست كظروفها في بلد آخر لا يعاني من هذه المشكلة وإنما يعاني من غيرها.. وما يفرضه الدين هنا قد لا يوجبه هناك.

العاجز؟ ولَيْته كان كذلك، إذاً لأكمل الدرب من يرى نفسه أهلاً له، إن التصدي للعمل والفشل المتكرر فيه والإصرار على التمسك بعنان ناقته جريمة مضاعفة.. هي الفشل المتكرر وعدم إعطاء الفرصة لمؤهل آخر.

إن التصدي للبحث عن طرح عملي ونظرية فكرية سياسية إسلامية ذات فعالية واقعية، أصبح أمراً ملحاً بعد سني العجز والبرامج والنظريات والطروحات التي ما تفتأ تصبحنا وتمسينا بالعجز والفشل، ويجدر بنا أن نتساءل لماذا؟. لقد شبت الدعوة واكتملت رجولتها ودخلت سن الكهولة بل والهرم، وهاهي تجاوز أعوامها الخمسين في مصر والشام مثلاً وغيرها من البلاد، فما هو حصاد ذلك العمر؟ وأين نحن من الهدف الذي تصدينا له على صعيد قربنا منه على كل المستويات، هل بات أقرب أم أبعد؟. بل هل بات هو نفسه أم تخلينا عنه واستبدلنا به آخر يناسب هممنا الضعيفة وأنفسنا المتماوتة؟. بل أين نحن من شعاراتنا؟. هل كنا فعلاً أهلاً لـ (الله غايتنا — الرسول قدوتنا — القرآن دستورنا — الجهاد سبيلنا — الموت في سبيل الله أغلى أمانينا) ولاسيما البندين الأخيرين؟.. وهل فعلاً نَهجُنا نهج من ادعى الجهاد سبيله والموت في سبيل الله أسمى أمانيه؟؟.. سؤال يحتاج إلى جواب..

إن الإخلاص والفكر المجرد، والتمسك بقدسية الشعارت، والتفاخر بدماء شهدائنا الذين مضت عليهم السنون لا يجدي شيئاً، إذا أضيف إليه التقاعس عن العمل والعجز عن تقديم المثل والقدوة باستمرار، فالإيمان ذاته هو ما وقر في القلب وصدقخ العمل، نعم العمل.. دليل الصدق والعزم، لذلك كان شعار البنّا رحمه الله يجمع الإيمان في بنوده الثلاثة الأولى إلى العمل في البندين الآخرين.. لقد أثبتت وقائعنا المريرة أن البيان لن يقابل رشاشاً يحمله سفاح من القتلة.. وأن الحكم لن يحصل عليه منكفؤون عجزة مهما افترضنا فيهم الإخلاص.. وجزاهم الله كل خير..

فإخلاصهم لأنفسهم وعليه يؤجرون.. وعجزهم علينا وبه نذبح.. وقد آن الأوان لطرح المحرجات من المسائل ونريد حلاً.

كثر من الشعارت طرحت من قبل منظرينا الأوائل وقد جربوها فنجحت حيناً وفشلت في آخر، ولقد لاقوا وجه ربهم بما عملوه وحسب نياتهم، وجاء دورنا وعلينا أن نوجد نظرياتنا وأساليبنا ونهج عملنا بأنفسنا وبجهودنا كما فعلوا، معتمدين على الله مستنيرين بالتجربة، ولا شك أن بعضاً من أساليبهم وطروحاتهم لا تناسب ظروفنا ومشاكلنا، فعلينا أن نشكر سعيهم ونوجد حلاً لمشاكلنا، ونظريات عملنا تخصنا لتحقيق برامجنا وأهدافنا، لنتعظ بتجربتهم وهم لنا خير السلف، ولكن لا يجب أن نحولهم إلى أصنام نظل عليها وعلى طروحاتها عاكفين، فالزمن يمر والظرف يتجدد ويتعقد ويفرض علينا إيجاد حلول لمشاكلنا بأنفسنا انطلاقاً من ذلك التراث.

لقد آن الأوان كي يوجد السالكون لدرب الدعوة، العازمون على إقامة الحكم الإسلامي نظريتهم العملية المنبثقة من الواقع القائم، مستنيرين بذلك التراث الثَّرِّ من التجارب..

ماهي الطروحات العملية المنبثقة من التجربة؟. كيف تولد؟. ما هي تكاليفها وما ميزاتها؟. وماصفات القائمين عليها وكيف تنهج في العمل؟.

أسئلة جديرة بأن يتفهمها العاملون للإسلام، وأن يجيبوا عليها كل حسب ظرفه إجابة عملية، ليوجد كل منهم طروحاته العملية لإقامة الحكم الإسلامي في دياره بنفسه، وإزالة القهر والظلم وإقامة العدل الإلهي بين الناس.. قضية جديرة بمن يتصدون لهذا الهدف وهي موجهة إليهم، ولا نعني أولئك الذين اكتفوا بهدف جزئي نبيل من العمل الإسلامي، كبيان الدين والدعوة للتمسك به وأعمال البر بأشكالها وألوانها.. وجزاهم لله كل خير.

إن الطروحات والأفكار العملية المستخلصة من التجربة تولد من خلال العمل بعد أن تثبت فاعليتها وجدواها، ويحس بها القائمون بها ويستنيرون بأثرها ويتخذونها سبيلاً، وإن كثيراً من تلك النظريات تولد متأخرة ولن لا بأس، وتكلف التضحيات

وضرائب الفشل ولا ضير في ذلك، ولكنها على الأقل وليدة دروس كلفت أصحابها أنفسهم عناء التجربة، ولم تتنزل عليهم أعلى الهرم التنظيمي من آخرين لا يعنيهم الفشل ولا يكلفهم شيئاً من التضحية، تجربة تعلم أصحابها منها وتكيفوا مع ظروف شبيهة قائمة، إننا يجب أن نعمل حتى لا تذهب كل تلك التجارب التي كلفت الكثير من الدماء والعناء والجهد هباء ودون مقابل، يجب أن نستخلص منها تصوراتنا العملية الجديدة في الثبات والمتابعة. إن كل الانطلاقات تبدو متعثرة لأنها تنطلق من واقع مرير يشدنا إليه بكل تبعاته، وما ورثناه من أمرض ظروف وطروح ماضية ما تفتأ تشدنا إليها باستمرار، لنكرر أخطاء مرت بفعل معتقدات وتصورات ساذجة أحياناً لها هيبة القدسية.

إن الفشل هو الذي يكلف الضحايا وغالباً ما تكلف الهزائم أكثر بكثير من الانتصارات، ولكن الفشل درس ذو مردود مزدوج، فهو يزود العامل بغنى التجربة ويجمعها إليه ليجنبه نفسه وأقرانه تكاليف هزائم قد تقع وتكون أكثر تكلفة.. وهو بهذا بكون أكثر إغناء من النصر ذاته، لأن الظروف المؤدية للانتصارت قليلاً ما تتكرر، ولكن تلك التي تؤدي للفشل هي التي تتكرر كثيراً. إن الطروح العملية التي تستخلص من تجربة تولد من خلال العمل والتوجه مباشرة نحو الهدف وبجدية، وتكلف الكثير من الجهد والدماء والعناء حتى تستخلص كنهج ناجح يثبت نفسه ونجاحه، وتقتضي أن يوجدها أصحابها العاملون بأنفسهم..

وتتميز بالجدية والفاعلية والثبات وتحقيق النتيجة إن شاء الله، ولكنها تقتضي من القائمين عليها أن يتحلوا بالاستعداد للتضحية والثبات والإخلاص والعزم على الاستمرار فيفيد اللاحق من السابق، وهكذا تبقى النظرية مستندة إلى أصول فكرية راسخة على صعيد التصور والهدف، وإلى أساليب متطورة باستمرار على صعيد التجربة والعمل.

وطالما أن العمل الإسلامي سيبقى حبيس نظريات مقيدة متحجرة لا تناسب واقعها وتثبت فشلها كل يوم، وطالما أنها تتنزل على العاملين كأوامر علوية من آخرين لا تكلفهم التضحيات شيئاً...وطالما أن المندفعين للعمل منبتون عن إرساء قواعد انطلاقهم الفكرية والنظرية من خلال التراث والتجربة، ومنطلقون للتطبيق بلا طرح نظري فكري واضح.. فإننا مدعوون للأسف لمزيد من الضحايا والعذاب حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

فإذا عدنا لتجربتنا الإسلامية الجهادية في سوريا الشام وعلى مر خمسة عشر عاماً من الجهاد والصدام المسلح مع الطاغوت النصيري المحتل... نجدها قد أنارت لنا سبلاً من العمل، وأورثتنا تجارب تمكننا من استخلاص نظريتنا العملية الخاصة على صعيد التجديد الفكري والنظري، وعلى صعيد بلورة الهدف ووضوح الطرق إليه. ولقد كانت أكثر ثراء من عشرات السنين التي مرت دون تحرك جاد نحو الهدف المنشود على ما في تلك السنين من فوائد وتجارب.. وكان من أولى فوائدها أن تعلمنا فيها كيف نجد طريقنا للطروح العملية المنبثقة عن تجربة في العمل، وما هو الفارق بينها وبين النظرية المجردة وليدة بنات الأفكار، والمصاغة ببيان ساحر فصيح. لقد شقت طلقات المجاهدين الطريق الصعب نحو الهدف مباشرة، ولقد روته دماؤهم، ولا شك أن أخلافهم مدعوون للسير والثبات لإغناء التجربة والاقتراب من الهدف.

ثانياً : مفهوم الثورة كنوع من أنواع الجهاد وضرورتها كوسيلة للتغيير:

كل الحركات الإسلامية المعاصرة التي تتصدى لإقامة الحكم الإسلامي في بلاد الوطن الإسلامي الكبير هي انقلابية الطابع جذرية التصور والحلول على صعيد الهدف المعلن. فهي تسعى إلى استبدال حكم البشر للبشر بحكم الله لهم، وبالتالي فهي تعني إنهاء وإسقاط تلك الهياكل المتمثلة في أولئك الطواغيت، وإزالة آثار نهج حكمهم الذي فرضوا فيه قوانين الشرك والكفر بالله بعد أن استبعدوا حكم الله لاعتقادهم بقصوره وعدم صلاحيته، واستوردوا غيره مما صنعته لهم أوروبا وغير أوروبا من المناهج والأحكام..

إسقاط كل هذا واستبداله بحكم الله بكل ما ينطوي عليه من عدل وإنصاف وسعادة للإنسان وسائر مخلوقات الله حيث يقام هذا الشرع الحكيم.

وهو بهذا الطرح الإنقلابي الجذري يمثل ثورة على الأوضاع القائمة، مهما حاول بعض الإسلاميين الفرار من هذه الكلمة الساخنة بإيجاد السبل السلمية للدعوة لمثل هذا العمل الإنقلابي، وتزويق بيان ناعم حلو من الأساليب لا يخدع الطغاة ولا يصرفهم عن حقيقة أهدافنا، ولطالما كانت دعوة الأنبياء دائماً ثورة انقلابية على الأوضاع القائمة بكل أشكالها ونتائجها، وهكذا كانت دعوة آخر الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم انقلابية جذرية أطاحت بالكفر بكل أشكاله وآثاره وصفاته وأقامت الحق والعدل بكل كماله وصفاته.

ولقد علمتنا تجارب الدعوة المعاصرة على مر عشرات السنين... أن هذه الأهداف الانقلابية الشاملة لا ترضي رؤوس الكفر من حكامنا ورؤوسهم ومحركيهم ومن فرضوهم علينا، وهم يدركون خطرها وخطر حامليها من الدعاة، لذلك فهم يحددون حجم طغيانهم وبغيهم فينا حسب مدى قربنا وبعدنا من هذا الهدف الشامل. وقد أثبتت التجارب أنهم لم يتوانوا يوماً، وفي كل مكان، ورغم أن الدعاة لم يرفعوا سلاحاً ولم يعلنوا حرباً، عن القتل والنكال والسجين والتشريد، إزاء كل بادرة أو حال أحسوا فيها أن الدعاة يقتربون من هدفهم شكل عملي، فيقتلون من يقتلون ويشترون من يشترون ويسجنون من يسجنون، ويعيدون الدعوة إلى ما وراء الخط الأحمر، الخطر لتبقى دعوة محجمة مقصوصة الجناح لا تتجاوز في بيانها حدود الأخلاق والعبادات، وكل ما لا يمس الحكم والحكام من أمور الدين.. وهكذا تنكفئ الدعوة لتتابع سيرها من جديد، ولتتلقى الضربة حين يقرر الحاكم، وتتقدم الضحية لتنحر سكين الجزار من رقبتها حينما يقرر، ولقد أثبت كل الحكام في بلاد المسلمين حيث داهمهم الخطر أنهم جاهزون للذبح والقتل والنكال والبغي، حمل الدعاة سلاحاً أم لم يحملوا لا فرق في ذلك بين طاغية وآخر، والشواهد أكثر من أن تعد في كل مكان.

وهنا لا بد من القول أن على الدعاة أن يقرروا أحد أمرين، إما أن يقبلوا واقع هؤلاء الطواغيت ككل، وينصرفوا إلى العمل الدعوي الذي يرضى به الطواغيت مما لا يشكل عليهم خطراً، ويحيون الإسلام في نفوسهم وأهلهم ضمن ما يسمح الطاغوت، وإما أن يعملوا بشكل جاد على إيجاد العلاج الناجع لإزالة هذا الطاغوت بشكل جاد وهذا نهج انقلابي ثوري بالطبع.

إن بنية هذه الهياكل الطاغوتية تفرض علينا إما قبولها ككل إو إسقاطها ككل، ومازال دأبهم كدأب الكفار الأوائل "ودّوا لو تدهن فيدهنون" .. تعجبهم أنصاف الحلول... تلك التي ليست من ديننا، إن النهج الذي تنهجه الحركات الإسلامية، لا يعدو كونه في النهاية تغريراً بالطيبين من المسلمين ممن يهبون لنصرة العمل الإسلامي ويعملون له بكل إخلاص لتقديمهم عبر هذه الطرق العلن؟ية المائعة لسكين الجزار إنه نوع من القتل العمد بلا مقابل وبنية حسنة –وللأسف– لا تغير من الواقع شيئاً.

على الإسلاميين أن يفهموا أن شعاراتهم الانقلابية هي ثورة كاملة على هذا الواقع وأن معركتها مع الطاغوت قائمة شعروا أم لم يشعروا، وأن واقعتها الدموية آتية إن لم يكن اليوم فغداً، فليملكوا زمام المبادرة، وليقرروها ويقرروا توقيتها ويعدوا لها، أفضل من أن يقرر ذلك عدوهم السفاح، ولا يحصدوا من ذلك التقاعس إلا الدماء والضحايا والدموع والحقد الدفين.

ولعل بعض الإسلاميين يرى في كلمة ثورة ما يخرج عن قاموس الإسلام والمسلمين، ويفضل عليها كلمة جهاد كمصطلح اسلامي.. ونحن نذهب في فهم كلمة الثورة مذهب الدكتور النفيسي حيث يقول: (... وإذا كانت الثورة كمصطلح هي العلم الذي يوضع في الممارسة والتطبيق، من أجل تغيير المجتمع تغييراً جذرياً شاملاً، كالتغيير الذي أسسه وكرسه رسول الله صلى الله عليه وسلم، والانتقال بالمجتمع من مرحلة معينة إلى أخرى متقدمة على صعيد تحقيق العدالة الاجتماعية، إذا كانت الثورة

كمصطلح تعني ذلك –وهي كما نعلم تعنيه– فليست الثورة إذن غريبة علينا كمسلمين ولسنا كمسلمين غرباء عن الثورة، وإذا كانت الثورة تقف مع مجموعة الأمة وإذا كان مجموع الأمة يقف مع الثورة، فإنها لا شك ثورة حق لأن المصطفى صلى الله عليه وسلم أكد أن الأمة لا تجتمع على ضلالة، وإذا كانت الثورة تنحاز انيحازاً تاماً لمصالح الأمة ولمطالبها وللستضعفين فيها والجائعين والمعذبين، فإنها لا شك ثورة حق، لأن الهدف الأساسي من رسالات السماء إلى الأرض كان ومازال تحقيق العدل والقسط وتحطيم الظلم والظالمين، يقول جل القائل: "لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط" اهـ عندما يحكم الإسلام.

والجهاد أعم من الثورة والثورة بمفهومها الذي نريد شكل من أشكال الجهاد، فالجهاد هو ممارسة كل شكل من أشكال الجهاد بما فيه القتال، وهو أعم من الجهاد، والمقصود عموماً في معظم النصوص ومنه الحرب بكل أشكالها ومنها قتال المسلمين كجهة أو دولة أو جيش للكافرين كجهة أو دولة أو جيش –متمايزة عنهم– ... والثورة هي نوع من العمل العنيف الانقلابي الطابع، وهو بلا شك أحد أشكال الجهاد الذي يصبح في سبيل الله بمقتضى النية التي تضفي عليه هذا الطابع، وبذلك يكون جهاد الدعاة لأولئك الطواغيت هو ما يمكن تسميته بـ (الجهاد الثوري في سبيل الله) لضم الخاص إلى العام للتميز، وهو وإن كان مصطلحاً جديداً فإنه إسلامي بكل ما في الكلمة من معنى. وما الأسماء والمسميات إلا أدوات تخاطب وتعبير، تأخذ قيمتها الإسلامية أو غير الإسلامية حسب ما تتضمن من معايير تميزها النية الخالصة هل هي لله أم ليست لله. وبهذا نقول إننا ندعو إلى عمل إسلامي جهادي ثوري في سبيل الله. لماذا؟ : لقد ثبت لنا كما قدمنا أن طبيعة الأنظمة الجاثمة على صدورنا لا تقبل الحلول الجزئية بل الجذرية وثبت أن استعدادها للقمع والنكال وجرأتها على الله وعباده، تمكنها في ظل ما تتلقاه من دعم عالمي وتآمر على الإسلام من فعل كل شيء واستباحة كل عمل.. كما أجهزة القمع والأمن التي غدت متخصصة رفيعة المستوى تقتضي منا إعادة النظر في هياكلنا وبنياتنا التنظيمية التي مازالت رغم القرن العشرين تدار على طريقة عشائر البدو الرحل.

إن التنظيمات الإسلامية شعرت أم لم تشعر تدعي الثورية والانقلابية، وتزج بملايين العزل من المسلمين في معركة غير متكافئة، وكأن ترديد شعارات الحكم الإسلامي وآلاف المطالبات بتحكيم الشريعة والإدمان على حشيش الشعارات الجوفاء ألف سنة يقيم الحكم الإسلامي!! إنه لن يقدم إلا الضحايا وإضاعة الجهود.. وهذا ما تعلمنا إياه التجربة صباح مساء.

إن المشكلة ليست في عجزنا عن صياغة الشعارات وإلقاء الخطب وإصدار النشرات، لقد أثبتنا في هذا نجاحاً عظيماً.. المشكلة الحقيقية في بنية هذه التنظيمات وقياداتها، وهل هي قادرة على تحقيق هذه الأهداف أم لا؟؟. وهل هي جادة في ذلك أم لا؟ وهل هي قادرة كفؤة أم لا؟.. بل ولا بد من الحرج.. هل هي صادقة في زعمها أم لا.. ؟؟؟؟

إن الذين شاخوا من زعماء الحركات الإسلامية وكبار مفكريهم اليوم، وقعوا بفعل الهزائم المتلاحقة للدعوة، وبفعل عجزهم عن إيجاد الحل لهذه المعضلة المتكررة وبفعل عجزهم عن التخلي عن قيادة الركب وإتاحة الفرصة أمام الكوادر الناشئة في الحركة، وبفعل ما لا يعلمه إلا الله من الأسباب، .. وقعوا في تصورات تائهة وأخذوا يجرون الحركة الإسلامية برمتها إليها.. تصورات تشكل شئنا أم أبينا تجاوزات مخيفة لأفكارنا وأساسياتنا ومعتقداتنا.. بل تشكل ردة على ما تربينا عليه من أفكار وأهدف وطرح ومعتقدات، ولا مبرر لكل ذلك إلا الضعف وقلة الحيلة..

إنهم ينكرون على الشباب المتدفق حماساً وفدائية هذا التوجه، بل وينكرون أن يكون ذلك من الإسلام الصحيح، إنهم ينكرون إمكانية تعبئة الجماهير المسلمية في صراعها مع الطاغوت، ويدعون عدم كفاءتها، ويستبعدون إمكانية إسقاط تلك الأنظمة

الطاغوتية عبر عمل مباشر، ويزعمون أن التوازن الدولي لن يسمح بإقامة دولة الإسلام، لاسيما في بلاد ذات استراتيجية وأهمية بالنسبة للعدو، ولاسيما طاغوت الشرق والغرب.

لقد بدأت تروج في الساحة شعارات مخيفة.. وطروحات مخيفة.. لا دافع إليها إلا العجز والضعف.. !! إن قيادات الحركة الإسلامية فشلوا ومازالوا يفشلون في تعبئة الجماهير وقيادة ثورتها الرافضة لهذا الواقع، بل ويعملون غير عالمين.. أو عالمين، على كبح جماح الاندفاعات الجهادية الثورية الجادة، التي أصبحت واقعاً لا مفر منه في كثير من بلاد العالم الإسلامي. .حتى أن بعضهم وظف نفسه حبوباً مهدئة لجماهير المسلمين الثائرة مقدماً للطاغوت أفضل خدمة.

إن شعار الحفاظ على أرواح المسلمين ودمائهم ودفع الضرر عنهم غدا على نزاهته سلاحاً معاكساً ما فتئ يخدم أعداء الإسلام.. إن واقع المسلمين الحالي لن يغيره عمل لا بذل فيه ولا دماء.. بل إن آلافاً من الدماء الزكية ستراق، ويجب أن تراق حتى ندفع ضريبة هذا الذل والنوم والموات عبر عشرات بل ومئات السنين، ولا شيء بلا ثمن.. لقد قضى 83% من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم شهداء.. لماذا.. لماذا لم ينزل الله نصره ويقيم دولة الإسلام سلماً؟ ولماذا لم يتكفل بقتل أعداء الله وإعطائنا الحكم دون جهد؟؟؟ ليس مخيفاً أن نقدم الآلاف بل عشرات الآلاف من الضحايا وليس مخيفاً أن تراق الدماء.. المخيف أن تراق بلا ثمن ودون مقابل ولا ضرورة .. يجب أن تراق ولا بد من ذلك، ولكن يجب أن توظف كل قطرة دم شهيد لإقامة صرح دولة الإسلام وبأعلى مستويات الفاعلية.. هذا هو المهم وهذه هي سنة التاريخ.. كل الحضارات والأفكار التي شادت دولاً –ومنها حضارة الإسلام–، شيدت على صرح مجيد من أعمال الشهداء والفدائيين العظام، ومن لا يجد في التاريخ عبرة فلن يعتبر.. هل تتصور قيادات العمل الإسلامي أننا سنقيم الحكم الإسلامي بالشعارات والنصائح والخطب والمجلات الإسلامية المخجلة، التي تتزلف الطواغيت الفجرة الزناة العصاة، وتنشر صورهم وتصفهم بما ليس فيهم من الإسلام والالتزام، حتى تتمكن من نشر فكرة إسلامية مصحلة تدفع ثمنها النفاق والخزي لصعلوك عربيد.. أم بدخول أحلاف المعارضة مع المرتدين من الأحزاب لإبلاغ صوت الحق عبر أقلية مسحوقة، في برلمان طاغوتي ما فتئ يصادق على أحكام الكفر.. ربما يزعم ذلك زاعم على إخلاصه لو لم يكن في التجربة عبرة.. ولكن ها هي التجارب.. أما من معتبر؟! أما فينا رجل رشيد؟!!

لقد أقنعونا أن العمل في الحركات الإسلامية هو الجذرية والانقلابية، ولقد صدقنا ذلك وعملنا.. ولكن الحقيقة أن العمل أصبح ترقيعياً إصلاحياً، ولم يتردد أقطابه عن التردي في المداهنة وأنصاف الحلول مع أشكال الطاغوت المختلفة، حاكمة أو معارضة أو مشاركة في الحكم.

إن كل هذا يفرض على العمل الإسلامي أن يكون انقلابياً جذرياً حقاً لا قولاً.. أن يكون جاداً ثورياً حكيماً في سبيل الله.

إن هذا غدا فهمه عاماً لكثير من شباب وكوادر الحركة الإسلامية، والذي ما فتئ يفرز الانتفاضات الجهادية الصادقة غير الناضجة، ولا بد من التجارب والجهود والضحايا حتى ينبثق الخط الجديد، وتولد الطروح العملية من خلال التجربة.

لقد علمتنا التجربة الجهادية الثورية المسلحة في سوريا الشام أن الطاغوت أضعف بكثير وأوهن مما يظن الجبناء من المسلمين، وأن إسقاطه وإسقاط هيبته رهن بقيام فئة صادقة تعاهد الله حقاً على العمل ورهن تضافر جهود المسلمين.. ولا مفر من التضحية ولن يكون إزالة هذا الطاغوت الواهن عمل يوم وليلة.. إن ضعفنا وعجزنا وتفرق كلمتنا وفقر تجربتنا هي أسباب قوة الطاغوت، فقوته ليست ذاتية، وما كان له ذلك وليس له من الله سلطان ولا نصير، فعلينا أن نعود إلى أنفسنا ونزيل منها أسباب قوة عدونا الواهن.

ثالثاً: حرب العصابات الإسلامية ضرورة يفرضها الواقع

لقد ثبت لكل العاملين للإسلام أن المعركة مع الطاغوت قائمة، ولكنها ما زالت في غالب بلاد الإسلام من نوع الحرب الباردة، حيث يستمر الدعاة والطاغوت في متابعة حال اللاسلم واللاحرب.. ويعلم الجميع أن الواقعة الدموية مع الطاغوت أمر واقع إن لم يكن اليوم فغداً، طالما أنهم يدَّعون ما يدعون.

ومن هنا يتوجب على العاملين للإسلام وعلى سبيل الفرض الشرعي أن يعدوا لمعركتهم هذه ويخططوا لها امتثالاً لأمر الله تعالى: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم" ويتوجب عليهم أن يتخيروا أفضل الأساليب لبناء تنظيماتهم وإعدادها وتدريبها وتزويدها بكل ما يلزم لدخول هذه المعركة المفروضة عليهم، والتي اختاروا دخولها وتمثيل المسلمين فيها يوم رفعوا تلك الشعارات المخيفة، التي تستنفر كل أعداء الله ضدهم، ولقد أثبتت تجربتنا وتجارب الكثير من الشعوب، أنه لن يكون لمدني أعزل أن يجابه طاغوتاً مسلحاً يجند القتلة ويربيهم على سفك الدماء بلا خوف ولا رحمة، وعلى إرهاب الناس وإذلالهم وسلبهم وهتك أعراضهم بلا هوادة، ولقد أصبحت حالة مشهورة معروفة في سائر بلاد المسلمين كما في الحال في كثير من بلدان العالم الثالث، أن يحتفظ الطاغوت دائماً بجزء من قواته ليدربها تدريباً بوليسياً قمعياً خاصاً، بإشراف أسياده الإمبرياليين، لتكون له درعاً واقياً تحت أسماء شتى: كسرايا الدفاع والقوات الخاصة والأمن المركزي ومكافحة الشغب والحرس الواطي وغيرها من الأسماء هنا وهناك.

في سوريا مثلاً كبلد صغير أو متوسط الحجم بين الدول الإسلامية يعد سكانه نحو 11 أو 12 مليون على الأكثر يتدرع النظام بعدد من الدروع الأمنية: فهناك أجهزة الأمن المختلفة: الأمن السياسي –الأمن العسكري- الأمن الجنائي- أمن الدولة- أمن القصر الجمهوري- الأمن القومي..... الخ يعد هذه الأجهزة المعقدة والتي يُنفق عليها بسخاء، ويخضع ضباطها لدورات اختصاصية في التحقيق والتقصي والتعذيب.. آلاف من الضباط والعناصر التي تشكل جيشاً هائلاً من العملاء والمخبرين، الذين ينتشرون في طول البلاد وعرضها ليتجسسوا على الشعب ويحصوا عليه أنفاسه. هذا فضلاً عن أعضاء حزب البعث العربي الاشتراكي، الذين يشكل منهم غالب هؤلاء المخبرون والذين يشكلون سرطاناً أخطبوطياً يمتد في كل مرافق الحياة ليؤدي للسلطة خدمات جلى (بصرف النظر عن الداخل فيه مختاراً أو المجبر قسراً، ليحصل على عمل أو وظيفة في الدولة). بعد ذلك تأتي سرايا الدفاع، وهي سرايا مسلحة تسليحاً ممتازاً ومدربة على القتال الخاطف والإنزال المظلي والميكانيكي السريع، وتنتشر في كل المناطق الحيوية ولاسيما في دمشق وماحولها، وهي سرايا متنوعة التسليح يشرف عليها أخو الرئيس السوري ""الهالك"" (رفعت الأسد) وهي مشكّلة من غالبية ساحقة من النصيريين، وما تبقى من أبناء القرى والصحراء العديمي الثقافة الذين يُحَوَّلون مع الزمن لأدوات بهيمية تفعل ما تؤمر به دون تمييز ولا تفكير، وهذه السرايا مخصصة لحماية النظام...

ثم يأتي دور الوحدات الخاصة وهي جزء من الجيش ككل جيوش العالم، يدرب ويعد للمهام الخاصة وأعمال الكوماندوس والاقتحام والإنزال، ويشكل كادر ضباطه وغالب صف ضباطه من النصيريين أما عناصره فمن أبناء المسلمين وتأتي الوحدات في الدرجة الثانية لحماية النظام، وقد كان لها الدور الأول في أعمال القتل والإرهاب التي نفذت ضد المسلمين أثناء الأحداث.

ثم يأتي دور الجيش الذي يشكل كادر ضباطه الفاعلين في القطعات المحاربة من النصيريين، ولم يتوان النظام عن زجه في المعركة في أعمال الحصار والتمشيط كدرع واقي للسرايا والوحدات في عملياتها الإجرامية، ولقد قصف هذا الجيش ودمر مدينة حماة بإشراف الضباط النصيريين وتنفيذ أبناء المسلمين، الذين خربوا ديارهم بأيديهم وسفكوا دماء أهلهم.

إن هذه الآلة القمعية مكنت النظام من أن يفرض كفره على الناس، ويطبق عليهم مخطط التكفير الجماعي، ليُنسِي الناس دينهم وليذلهم ويفرض عليهم الحصار والتجويع.. فماذا أعدت التنظيمات الإسلامية التي زعمت أن الجهاد سبيلها، والموت في سبيل الله أسمى أمانيها؟؟.. لقد كان زعماً فارغاً..!!.

ونترك لإخواننا في كل قطر إسلامي أن يدرسوا حالهم التي لن تكون بعيدة عن هذه الحال، ويدركوا مدى جدية هذا الكلام.

وهنا تبرز ضرورة بناء التنظيمات الإسلامية وإعدادها إعداداً مناسباً لمواجهة هذه الأجهزة المدربة المختصة، ولما كانت الحرب واقعة لا محالة مع هذا الطاغوت، تبرز أهمية حرب العصابات المنظمة التي يقودها ويشرف عليها تنظيم طليعي، مدرب ومعد ليقود جماهير المسلمين في حرب طويلة الأمد، لإسقاط الطاغوت وإقامة حكم الإسلام مكانه، كما تبرز أهمية بناء التنظيمات بناء حقيقياً صادقاً، يتناسب مع ما يفرضه الواقع من الصدام مع الطاغوت في حرب من هذا النوع، أثبتت نجاحها في كل مكان قامت فيه وتوفرت عواملها، وعلى رأس تلك العوامل نفر من الصادقين العازمين يقودون المسيرة.. نقول أثبتت نجاحها بالطبع بعد خوض جولات من الفشل والخسائر، ولكن إصرار الثائرين وطليعتهم الثورية وحقهم الذي ضحوا من أجله، فرض النصر أخيراً على أعدائهم بمشيئة الله.

لا يعبتر كلامنا هذا دعوة لكل تنظيم إسلامي شامل الدعوة انقلابي النهج أن ينتفض من نومه حالاً ليحمل السلاح ويقتحم المعركة.. إن لكل بلد ظروفه ولكل تنظيم وضعه ولكل نظام طاغوتي مميزاته التي تفرض طبيعة منطق حربه وانهائه.

إن بعض الظروف التي نشأت (كسوريا) فرضت على تنظيمها الإسلامي أن يسارع إلى خوض معركته لاعتبارات كثيرة، أهمها حالة الاحتلال النصيري وتوفر معطيات الحرب وعراقة النتظيم واتساع كوادره.. الخ، وقد تُشابه بلاد أخرى سوريا وقد تتناقض معها كمعطيات، ولكن يبقى الجميع مطالبون بأن يعيدوا حسابهم ويرتبوا أمورهم، وينطلقوا في إعادة بناء تنظيمهم والإعداد لمعركتهم عبر برنامج جاد ومنطقي، وليكن لعشرات السنين، ولكن المهم هو الصدق وإعطاء المراحل حقها والله المتكفل بالفتح والنصر فهو القائل "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا" فالهداية للعاملين وعبر طريقهم الجاد وليست للقاعدين الذين يضحكون على أنفسهم وعلى المسلمين ويشبعونهم من طيب الكلام.

ليس خوض الحرب –ولاسيما حرباً جهادية ثورية– من الشكل الذي ندعو إليه عملاً هازلاً فالله تعالى يقول: "ولا تقف ما ليس لك به علم" ويقول: "وأعدوا لهم ما استطعتم" وليست عملية إقحام المسلمين في حمام الدم هذه مسؤولية سهلة هينة رغم أنها واجبة ومفروضة عليهم في نهاية المطاف، وكذلك ليس هذا دافعاً على التقهقر والتراجع والخوف والتسليم للذبح تحت الدعاء الذي أسيء فهمه (ليس لها من دون الله كاشفة) كلام حق أصبح رداء جبن وباطل.

إن حرب العصابات الإسلامية التي ندعو إليها، رغم أنها كما هي حال حرب المستضعفة في كل مكان حرب غير نظامية، ولكن هذا لا يعني أنها حرب بدو رحل لا تقتضي التنظيم والتخطيط والضبط.. يمكن أن يديرها نفر من المندفعين المخلصين بعشوائية وبدائية.. إن الضعف والفقر وقلة العدد والعدة.. تقتضي تعويض ذلك بالصدق والثبات والعزم والتخطيط والدقة وحسن الإفادة من الظرف، حتى نحقق الهدف إن شاء الله تعالى.. ولننظر في تجربتنا السورية الغنية في حركة إسلامية جهادية ثورية، استمرت بتواترات متفاوتة حتى الآن أكثر من خمس عشرة سنة، وانظر في عشرات حروب العصابات الإسلامية وغير الإسلامية في مختلف أنحاء العالم، ولندرس ولنحلل ونستفد كما أمرنا الله تعالى.. إنها تعلمنا الكثير.. ولقد مررنا فيما سبق ببعض الدروس والعبر التي استخلصناها من تجربتنا الخاصة، وهي مفيدة لنا لاشك ولغيرنا كمثال للدراسة والتحليل والعبرة.. ولا بد قبل ترك هذه الفقرة من أن نتكلم عن بعض الملاحظات الأساسية حول حرب العصابات المنظمة والمخطط لها استرتيجياً.

يقول أحد دارسي ومحللي حرب العصابات الأمريكيين في كتابه (حرب المستضعفين) الذي أعده وقدمه لمواجهة ظاهرة حب العصابات التي هزمت بلاده (الولايات المتحدة) في أكثر من مكان في العالم: (إن حرب العصابات لا تقوم إلا إذا توافرت أسباب نجاحها) ويقول (إن هذه الطريقة من الحرب —حرب العصابات- إذا توفر لها نفر من العازمين الصادقين، وإذا استطاع هؤلاء النفر تجسيد شعارات وأهداف تمثل مصلحة الجماهير فإن من المستحيل القضاء عليها.....)

ولقد تكلم غيره من المحللين العسكريين الغربيين الذين واجهوا هذا النمط من الحرب التي تبدو بدائية الوسائل ولكنها هزمتهم وهزمت جيوشهم المتطورة.. تكلموا كثيراً وبرعب وحقد ظاهر عن هذه الحرب في كثير من الكتب المفيدة، ولا بد لنا كمسلمين وكحركة إسلامية تجسد مطالب الحق بالنيابة عن جماهير المسلمين، وتتصدى لقيادة قافلتهم نحو الهدف المنشود، أن نفهم أهمية هذا السلاح، وتتصدى لقيادة قافلتهم نحو الهدف المنشود، أن نفهم أهمية هذا السلاح، لاسيما أن ديننا وما يزود به جماهير المسلمين من عاطفة وفدائية وقدرة على التضحية، يجعل من هذا السلاح سلاحاً معجزاً لأعداء الله.. وهكذا كان في كل حروب التحرير التي قادها الإسلام وحركات الجهاد.. علينا أن نفهم هذا السلاح لاسيما أن الحرب بيننا كمستضعفين عزّل، وبين طواغيت يحكموننا بالحديد والنار واقع لا مفر منه.

ليست حرب العصابات حرباً معلنة بين جيشين مُصطفّين للقتال، بل على العكس هي حرب إنهاك، وهي حقيقة تشبه إلى حد كبير مثال الصراع بين البرغوث والكلب كما شبهها بعض المحللين العسكريين، البرغوث على ضعفه وصغر حجمه يعمد في صراعه مع الكلب على الانتشار واللسع، والإنهاك وامتصاص القوى، دافعاً الكلب لحال من الهستيريا المميتة، التي لا يجد معها هذا العدو ليقضي عليه... وتستمر اللعبة حتى يوجد البرغوث بطول صراعه فرصة هلاك خصمه وهذه هيه اللعبة...

إن العصابات لا تسقط خصمها القوي بصراع مواجهة، بل بسلسلة من الأعمال الطويلة المدى، تؤهله أخيراً للسقوط لتنتقل إلى مرحلة تكافؤ القوى، وقد تسقطه دون بلوغ تلك المرحلة، وعلى هذه العصابات الثائرة المستضعفة أن تفر من المواجهة ما أمكنها قبل مراحل الصدام الأخيرة، ولقد أثبتت كثير من التجارب ومنها تجربتنا في سوريا (في حماة) فشل هذه المواجهة مهما أعدت لها العصابات من إمكانات محلية لا مجال لمقارنتها بإمكانات الجيش النظامي، وعلى العكس استطاعت هذه العصابات أن تدخل الجيش وفي كل مكان قامت فيه ثورة في التناقض المميت، بين السيطرة والقوة المتمركزة بفضل الانتشار الواسع والضربات المبرمجة المتلاحقة، ما يضطر الجيش للانتشار والتواجد في كل مكان، فتضعف خطوطه الخلفية، وتتعرض مواصلاته للخطر والشلل، وتضعف قواته المبعثرة، التي يفرض عليها سلسلة من الواجبات المضنية حراسة النظام وأهدافه وشخصياته وعملائه ومؤسساته العسكرية والسياسية والاقتصادية وطرق مواصلاته ومراقبة السكان والتمشيط والتفتيش.. .الخ، موفراً للعصابات أهدافاً سهلة ومتنوعة ومتوفرة ومصدر تسليح ممتاز.. فإذا شعر للعصابات أهدافاً سهلة ومتنوعة ومتوفرة ومصدر تسليح ممتاز.. فإذا شعر الجيش بضعفه وعمد إلى تجميع قواته في منطقة توتر، فقد السيطرة وترك رقعة البلد الواسعة للثوار، ليبدأوا عملهم في التنظيم ونشر الوعي وتصفية العملاء.. فيضطر الجيش للانتشار وهكذا.. إذا تمركز فقد السيطرة وإذا انتشر فقد القوة، ولا مفر له من هذه المعضلة، في حين تتحرك العصابات بمرونة وخفة، وتتضخم كل يوم وتجند المقاتلين الجدد، وتجمع الأنصار وترفع معنويات مقاتليها وتنهك معنويات جنود العدو، وتستمر اللعبة التي يجب أن تكون طويلة الأمد، حتى ينهك الخصم وتقترب العصابات من مرحلتها الثانية وهي مرحلة توازن القوى والتصعيد الشامل، بانتظار توفر المعطيات السياسية والعسكرية للمرحلة الثالثة وهي سقوط الكلب منهكاً وانهيار الطاغوت..

وعلى القيادة الطليعية لكل حركة إسلامية جهادية ثورية مسلحة، أن تفهم وإلى أبعد الحدود ظرفها وإمكانياتها والأرض التي تتحرك عليها وجغرافيتها الطبيعية والسكانية والسياسية، وتفهم النظام المعادي وتركيبته ونقاط ضعفه وقوته، وبالتالي تتقدم لوضع برنامج حربها بنفسها، مبتدئة سلسلة من الإعداد اللازم والذي قد يكون طويلاً، ولكن إلزامياً، وسنتعلم من التجربة وسنقع في أخطاء وقد تكون شبه مميتة وقد تعود بالعصابات الثائرة إلى الصفر أو قريبها بعد سلسلة من الهزائم، ولكن يبقى الحق الذي تدعو له والثبات الذي يجب أن يتحلى به الباقون من كوادرها والاستمرار، خير كفيل بعد تأييد الله بالنصر الموعود إن شاء الله.

وعلى هذه الحركات الإسلامية أن تفهم كما فهم المجاهدون السوريون وبعد طول جهد وعناء وخسائر، أن هذا النوع من الحرب لا يحتاج إلى تلك الهياكل التنظيمية المعقدة الشبيهة ببناء المؤسسات البنكية والتجارية، إنه التنظيم العسكري بكل ما في هذه الكلمة من معنى، لخدمة غرض محدد ضمن منهج محدد، لا مجال فيه للتسيب والتراخي والروتين والاعتبارت الباهتة، التي فشت في مؤسستنا الدعوية الهرمة عبر الزمن وجو السلم والرخاء، إن الشورى والحزم والضبط وسرعة الاتصال وإيجابيات القرار الفوري الحكيم والسريع والمرونة والحذر والخفة، هي التي يجب أن تترفر في حركة من هذا الشكل ترتبط القيادة فيها بفروعها بخيط مركزي قوي في خطوط العمل العريضة، تاركة أوسع مجال من اللامركزية للقيادات المتسلسلة حتى قيادة مجموعة لتتصرف ضمن الممكن والحكمة بما يقتضيه الظرف والضرورة بعد أن تكون قد أعدتها وهيأتها وعبأتها عقيدياً وسياسياً وفكرياً.

ولا شك أن بين أغلب التنظيمات الدعوية القائمة –ونعني المعنية بالجهاد وإقامة حكم الإسلام– وبين هذا المستوى من التنظيم الدقيق والفاعل بون شاسع يحتاج إلى ثورة حقيقة داخل تلك الحركات، على صعيد العقلية والهياكل والمؤسسات، حتى تعاد صياغة تلك الحركات من جديد بما يناسب هذه المعركة لإخراجها من أسلوب عمل البدو والرحل الذين يعيشون في رخاء وبحبوحة، إلى أساليب عمل معاصرة وجادة تناسب قوة ووعي العدو ومن يقف خلفه.

إن حرب عصابات إسلامية ثورية ناجحة بإذن الله، لا بد لها بعد تأييد الله أولاً وآخراً من الأخذ بالأسباب، ولا بد لهذه الحرب من أن تتوفر لها عوامل أساسية:

1- وجود تنظيم إسلامي طليعي جهادي، يتصدى لبلورة مجموعة من الشعارت والأهداف التي تنطلق من واقع المسلمين في البلد المعني، وتجسد واقع حياتهم وأمور دينهم ودنياهم، وينطلق لقيادة تلك الجماهير على مستوى المسؤولية.
2- أن تستند هذه الحرب إلى جماهير المسلمين وتنطق باسمهم وتعبئهم، ليكون منهم خطوط رفدها بالجنود والمؤن والدعم والمعلومات، وعلى هذه الحركة أن تتحرك في وسط الجماهير التي تشكل لها سياج حماية وتخفي، لا يستطيع النظام مواجهتها إلا بمواجهة الجماهير بحرب إبادة شاملة، وهو ما لا يستطيعه لأن هذا يحدد نهايته.
3- وجود الظرف الذي يقتضي ويبرر الثورة من الظلم والطغيان والعسف وغياب الحكم الإسلامي، وتعبئة الجماهير حتى يتفهموا هذا الأمر، ولا شك أن معظم بلاد الإسلام تعيش هذا الظرف القاهر بنسب متفاوتة.
4- الانطلاق ضمن خطة شاملة متكاملة، تعتمد نهجاً استراتيجياً، يضع في التصور خطوطاً عريضة للعمل وفق ما يقتضيه الواقع بكل معطياته، ثم الاعتماد على التجربة الذاتية والتعلم منها والانطلاق في تصحيحها، والذي غالباً ما يلكف بضع سنوات وعدة انتكاسات باهظة التكاليف.

فإذا توافرت هذه العوامل وتوفرت للحركة الإسلامية قيادة مصممة عازمة ثابتة، قدوة على صعيد الفداء والعمل، فلا شك أن الفرصة على صعيد عالم الأسباب تكون مواتية، ويبقى النصر بيد الله يؤتيه من يشاء ومتى يشاء، ولا شك أن وعده الصدق "إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا بالحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد"[1]

الفصل الثاني

إسقاط النتائج الشرعية والعقلية التي توصلنا إليها على الحال في سوريا

في سوريا الشام اليوم نظام حكم أصبح بكفره وخيانته لقضايا المسلمين عامة أشهر من نار على علم، كما أصبح بطشه بالشعب ونظامهم الفئوي الدكتاتوري أشهر من أن يعرف أو أن يشار إليه.. إن هذا النظام يشترك مع الأنظمة المرتدة وغير الإسلامية القائمة في مختلف بلدان العالم الإسلامي، بكل ما أشرنا إليه في الفصل الأول من صفات أقمنا الدليل على اتصافهم بها وهي:

1- استبعاد الحكم بما أنزل الله، واستحداث أنظمة وضعية للحكم في الدماء والأموال والأعراض.
2- خيانة الله ورسوله والمؤمنين.
3- موالاة أعداء الله، والعمالة للصليبيين والشيوعيين واليهود.
4- تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وملاحقة الدعاة إلى الله وكم أفواههم وقتلهم.

يتميز النظام في سوريا على عموم تلك الأنظمة التي تستأهل الجهاد لإحلال حكم الله على أنقاضها بمواصفات إجرامية أخرى منها:

1- أن النظام يقوم في أساسه على أبناء الطائفة النصيرية وأذيالهم من البعثين القوميين الاشتراكيين، وكما بيّنّا بالدليل الشرعي في كتابنا (الثورة الجهادية الإسلامية في سوريا –الجزء الأول) فالنصيريون نطائفة كافرة أجمع علماء الأمة سلفاً وخلفاً على كفرهم وعدم انتمائهم للمسلمين، وأوجبوا قتالهم واستئصال شأفتهم ولم يخالف في هذا أحد.. وهؤلاء النصيريون هم الذين بيدهم مقاليد الحكم في سوريا بقيادة حافظ ورفعت أسد، ومن ورائهم شيوخ الطائفة النصيرية وهم يشكلون غالبية جهاز الحكومة وكبار ضباط الجيش، وبيدهم مقاليد كل شيء في سوريا، ويعينهم على حكم سوريا أذناب من (حزب البعث العربي الاشتراكي) باعوا أنفسهم للشيطان، وارتدوا وتبنوا مبادئ الحزب الذي حكم بكفره وردته وردّة من آمن بمعتقداته كل علماء المسلمين، فهو حزب قائم على حرب الله ورسوله ودين الإسلام، واستبداله بمبادئ وشعارات وضعها صليبيون كفرة معروفون، لهم في حرب الإسلام والكيد لأهله باع طويل وتاريخ عريق.
2- عملهم علناً وصراحة وبكل وضوح ووقاحة على حرب الإسلام حتى في جزئياته البسيطة، وملاحقة أهله والعاملين لهن وقتل الدعاة إلى الله. ولقد بلغت بهم الوقاحة وأعانهم عليها سكوت الشرق والغرب وتأييدهم، وعون الأنظمة العربية العميلة ودعمها له خوفاً وطمعاً، أن خرب البيوت فوق أهلها ودمر أحياء بكاملها على من فيها، وقتل الآمنين، وهدم المساجد، ومزق المصاحف، وهتك أعراض الحرائر، ونزع الحجاب عن رؤوس النساء، وما إليها من أعمال فساد لا تحصر، تنم عن كفرهم وحقدهم الأسود على الإسلام ومجاهرتهم بهذا.

---

[1] للمزيد عن حرب العصابات تابع البحث في الفصل الثالث من الجزء الأول (التجربة والعبرة).

3- الخيانة الصريحة والعمالة المباشرة لليهود، فضلاً عن الشيوعيين والصليبيين، ولإن كان كل أو جل الأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي عميلة بشكل مباشر أو غير مباشر لأعداء الإسلام من صليبيين وشيوعيين ومن ورائهم اليهود؛ فإن الصفاقة في هذا النظام بلغت وأعانه عليها هوان المسلمين في سوريا على أنفسهم أن جاهر بعمالته وخيانته للصهاينة اليهود مباشرة، فقد باع حافظ أسد القنيطرة والجولان عندما كان وزيراً للدفاع عام 1967 وقبض ثمنها، والذي كان منه أن منح رئاسة الجمهورية في سوريا الذبيحة، وقام علناً وبسكوت وعون من كل الأنظمة المعنية على ذبح الفلسطينيين وتصفية القضية الفلسطينية، فقد ذبح عشرات الألوف في مخيمات تل الزعتر والكرنتينا. ورتب ذبحهم في بيروت وطرابلس كما احتلت جيوشه وعملاؤه لبنان وأحدثت في أهل السنة من أهل هذا البلد ما لاعلم إلا الله به من نكبات. ومازال الحبل على الجرّار.. كما مارس أدوار العمالة بشكل علني ومفضوح لصالح السوفييت الشيوعيين والأمريكان وغيرهم من الصليبيين، حتى باب حجر زاوية في المؤامرة العالمية التي تحاك في المنطقة بأسرها، وركن توازن لمصالح الطامعين من شرقيين وغربيين في تلك المنطقة، فاستحق بذلك عونهم جميعاً، وتعتيمهم على جرائمه ومساعدته على البقاء، رغم زوال كل أسباب البقاء من بين يديه..ولو أردنا الإحصاء والتقصي لحشدنا عشرات الصفات الإجرامية التي يتحلى بها هذا النظام ولكن حسبنا ما ذكرنا من المهم منها.

وكنا قد أقمنا الدليل الشرعي والعقلي في الفصل الأول على نتائج تتوجب كلها في حق كل الأنظمة القائمة في البلاد الإسلامية اليوم ونعيدها للتذكير بها:

1- كفر الحكومات والحكام القائمين على أنظمة وضعية مرتدة، وبطلانها وأنظمتها شرعاً.
2- وجوب الخروج على الحاكم إن ظهر عليه الفسق المعلن واستباحته للمحرمات فضلاً عن أن يكون مرتداً.
3- وجوب العمل على نصب الإمام المسلم وإقامة الحكم الإسلامي.
4- وجوب قتال الطوائف الممتنعة إن امتنعت عن أداء الفروض والواجبات الشرعية واستحلت محارم الله.

فإذا أردنا أن نسقط هذه النتائج على النظام النصيري في سوريا نجدها أقل ما يمكن قوله في حقه، بل إنها لا تكفي، فهو يمثل طائفة كافرة مرتدة بإجماع المسلمين، وهو نظام مجاهر بالفسق والكفر البواح، وطائفته ممتنعة عن أصول الإسلام ومحاربة لأغلب فروعه ما أمكنها، فحرب هذا النظام واجبة لإزالته وإقامة الحكم الإسلامي مكانه، ولا يجوز أن يحكم المسلمين بكافر صريح الكفر وهذا مما ليس فيه خلاف. وكنا قد أقمنا الدليل الشرعي والعقلي على فرضية الجهاد فرضية عينية في عموم بلاد المسلمين.. وقلنا أن الجهاد فرض عين هذه الأيام واستناداً لأقوال العلماء من وجهين:

الأول: ذكر العلماء أن نزول الأعداء في بلاد المسلمين يجعل القتال فرض عين وقد آلت أحوال المسلمين لحال نزل فيه الأعداء بأرضهم بلباس مموه، هم كفارٌ من أبناء هذا البلد وهم في الحقيقة ممثلو الأعداء بل هم الأعداء أنفسهم إذ أنهم طائفة لا تؤمن بديننا ولا تحكم به، وتحاربه وإن زعمت مواربة وخداعاً أنها تدين بديننا .. فواقعها يكذبها كل تكذيب.

الثاني: أن فرض الجهاد يتحول من كفاية لعين إن لم يقم به أحد، حيث يأثم الجميع إلى أن تقوم به طائفة.. واليوم لا يقوم به أحد فهو عين حتى تحصل الكفاية.

ولئن كان بعض علماء المسلمين يتجنب دمغ بعض هذه الأنظمة المرتدة الفاجرة الفاسقة العميلة بهذه الحقيقة مدعياً أنهم مجرد حكام مسلمين فسقة –رغم قيام الدليل على وجوب الخروج عليهم وخلعهم ولو لم تثبت ردتهم (راجع الفصل الأول) فماذا يقال في شأن هذا النظام أو هذه الطائفة التي تحكم المسلمين في سوريا هذه الأيام .. إن الأمر أكثر من واضح.. وخلاصة الأمر:

- أن المسلمين اليوم في سوريا أمة محتلة نزل الأعداء بأرضهم وهم هؤلاء النصيريون، وهم أمة من غير المسلمين تمايزوا عن الإسلام من قديم الزمان، وهم متمايزون عنهم حتى الآن، فلهم مناطقهم التي كانوا يعتزلون فيها ويقيمون لهم تجمعات خاصة بهم، وقد غلبوا على السلطة منذ أكثر من خمسة وعشرين عاماً بشكل فعلي، رغم أنهم كانوا قد تسللوا إليها منذ أن استلم الحكم حزب البعث الكافر العربي الاشتراكي، حيث كان تسلم الحزب خطة على طريق تسلمهم وفق المخطط التآمري الكبير، الذي ينفذ في المنطقة بإرادة اليهود، ولإن كان يغر البعض أنهم من أبناء البلد –سوريا– فإننا نسأل: ومتى كان الاعتبار في الإسلام لقومية أو وطنية حددت حدودها في بلادنا (سايكس بيكو).. إن المسلمين أمة دون الناس كما نص على ذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم منذ نشأت نواة الدولة الإسلامية.. والكفار أمم وملل ونحل، والمسلمون في سائر الوطن الإسلامي الكبير قد غلب عليهم الأعداء بمللهم ونحلهم وأيديولوجياتهم، وإن كانوا أبناء منطقتهم تحت أسماء شتى وشعارات شتى.. ولإن كان هذا الوضع في مناطق غير سوريا قابلاً للتمييع والتلاعب والتغرير بالبسطاء من الناس.. فإنه في سوريا واضح وضوح الشمس (وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل).
* فالجهاد في سوريا فرض عين على مسلمي سوريا لنزول الأعداء فيها وغلبتهم على السلطة واستباحتهم الحرمة فهي بلد محتل من أمة كافرة أجمع على كفرها السلف والخلف.
- والجهاد في سوريا فرض عين على مسلمي سوريا لأنه حتى ولو كان فرض كفاية فلا أحد يقوم به الآن.. والجميع آثم حتى قيام الكفاية به.
- والجهاد في سوريا فرض عين على أبناء الحركة الإسلامية خاصة، ومن استهدف من قبل الدولة بالعداء دفاعاً عن ماله وعرضه ودمه.. وما من مسلم يريد أن يكون مسلماً حقاً في سوريا إلا ويستهدف. ففرض عين عليه أن يقاتل دفاعاً عن دمه الذي يريد الطغاة سفكه، وعرضه الذي يريد الطغاة انتهاكه، وماله الذي يريد الطغاة نهبه.
- والجهاد في سوريا فرض عين على أبناء الحركة الإسلامية والمعنيون بالدفع خصوصاً دفاعاً عن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، الذين لا يستطيعون حيلة مع هذه السلطة الكافرة ولا يهتدون سبيلاً.. والله تعالى يقول: "وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً" النساء (75).
- والجهاد واجب على عموم المسلمين لنصرة إخوانهم في الدين الذين هم في مثل هذه الحال، يقع الوجوب إن لم تقع الكفاية من أهل البلد على الأقرب فالأقرب وعن إخوانهم عليهم واجب.. والإسلام لا يحد لأبنائه حدوداً ولا يضع بين بلادهم جدراً فهم أمة واحدة من دون الناس كما قال صلى الله عليه وسلم.

نتوجه بهذا الكلام إلى أولئك المؤمنين الصادقين نسأل الله أن يرينا ويريهم الحق حقاً ويرزقنا اتباعه... أما أولئك الذين يقولون "ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب" وأولئك الذين إذا ذكر القتال "رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت" فهذا الكلام غير موجه إليهم.. ولو سمعوه لما ظنناه ينفع إلا أن يشاء الله.

الفصل الثالث

موقفنا من قضايا يجب إيضاحها

- قضية الشيعة.
- قضية القومية العربية
- قضية الوطنية والأحزاب الجاهلية والتحالفات.
- قضية فلسطين.
- قضية الجماعات الإسلامية.

قضية الشيعة

لقد طرحت قضية الشيعة نفسها بشكل ملفت للنظر، خصوصاً بعد نجاح الثورة الخمينية في إيران، وبروز الشيعة وتأثيرهم في سير الأحداث، ولاسيما في قضايا الخليج والحرب مع العراق، وفي مشاكل لبنان وسوريا وأفغانستان وغيرها من القضايا.

وهذا يجعل من الضروري بل من المحتم على علماء الإسلام عامة، وقادة الجماعات الإسلامية خاصة تحديد موقف واضح وصريح مبني على الدليل الشرعي المستند إلى الكتاب والسنة وآراء العلماء المحققين، بعيداً عن المواقف السياسية المائعة والتي دفعت بالكثيرين منهم لمواقف لا يقرها الشرع، انطلاقاً من مصلحة وقتية في منظورهم، ولما كانت هذه القضية وما جرته وستجره من فتن كانت نائمة قد طرحت نفسها بهذا الشكل، ولعلاقتها بشكل مباشر بقضية المسلمين في الشام المباركة خاصة، كان لزاماً علينا أن نقول فيها رأينا ووجهة نظرنا المستندة إلى الدليل الشرعي، وآراء أصحاب العلم والتحقيق إن شاء الله.

وقد كنا وجهنا سؤالاً عن الشيعة وموقف الشرع وعلماء المسلمين منها وكان مجمل الرد كالتالي: (الشيعة طوائف كثيرة ومتعددة تفرعت وتشعبت طوائفها منذ القديم، وقد ظاهر معظم تلك الطوائف بالغلو والانحراف، كالدروز والبهائية والنصيرية والإسماعيلية وغيرهم، وقد أجمع المسلمون على تكفيرهم وليس أمرهم مثار خلاف أو إشكال.

وقد برزت طائفتان رئيسيتان في الشيعة لا بد من تفصيل الكلام فيهما، وهما الطائفة الزيدية والطائفة الاثني عشرية أو ما تسمى بالإمامية أو الجعفرية.

أما الزيدية وهم غالبية شيعة أهل اليمن، فقد قالوا بأحقية علي بالخلافة وبفضله على سائر الصحابة، إلا أنهم اعترفوا بخلافة أبي بكر وعمر وعثمان وتوقفوا عند هذا الحد، ولم يبنوا على هذا الموقف ديناً أو أحكاماً أساسية خاصة، ولم يشذوا عن باقي المسلمين في عقائد ولا في سواها، وعلى هذا فهم مسلمون إن شاء الله ولا إشكال في أمرهم ولهم فقههم الخاص الذي يعتبر ضمن دائرة الفقه الإسلامي.

أما الإمامية (الجعفرية الاثني عشرية): فقد كانت مثار إشكال، إذ أنهم يعتمدون التقية في دينهم، والسرية في معتقداتهم ويظهرون خلاف ما يبطنون، ولهذا فقد تعذر الحكم عليهم بشكل مباشر كما كان الأمر في سواهم من فرق الشيعة على الرغم من أن العديد من علماء المسلمين القدماء قد حكم بكفرهم، نقول تعذر الحكم عليهم لأنهم أظهروا عقائد لا تكفر في عمومها،

فاختلط أمرهم لاسيما على العلماء المتأخرين، وقد تراوحت الأحكام فيهم بين أنهم فسقة منحرفون وبين أنهم كفرة مارقون من الدين، ومن العلماء من ذهب إلى كفر أئمتهم وفسق عوامهم لجهلهم بما يبطن الكبراء من الكفر).

إلا أن تسارع الأحداث وتشابكها وسيرها على النحو المعروف حمل المزيد من الوضوح عن هذه الفرقة التي كانت وراء ثورة خميني ووصول جماعة الآيات للحكم، وقد كان لهذا الوضوح أسباب عديدة:

أولاً: أن الشيعة (ونقصد الجعفرية الإمامية جماعة خميني) أخذتهم نشوة الانتصار بنجاح الثورة، وحسبوا أنهم في حاجة أقل من ذي قبل للتقية، فراحوا يكشفون عن بعض ما يبطنون من عقائدهم الفاسدة نظراً لاعتقادهم أنهم في موقع قوة وسلطة، فراحوا يملؤون الدنيا بملايين الكتب والرسائل والخطب والبيانات، يشرحون فيها عقائدهم وديانتهم من جهة، ويشككون بمذاهب أهل السنة والجماعة بشكل وقح وسافر، لا يتماشى مع ما طرحوه من نبذ المذهبية والدعوة لتوحيد المسلمين. وقد استهدف نشاطهم البلاد التي تحوي أقليات شيعية، كما استهدفوا أوساط الطلبة المسلمين في الغرب، وصار لهم نشاط في كثير من البلاد الإسلامية غير العربية ولاسيما حيث يتفشى الجهل كبعض بلاد أفريقيا وشرق آسيا وغيرها. إن هذه الكتب والنشرات كانت خير تعريف بهم.

ثانياً: إن العديد من العلماء الغيورين على الإسلام، وجدوا أنفسهم في موقف يدفعهم للإدلاء بدلوهم في هذه المشكلة الطارئة، وهذا الهجوم الشرس على الإسلام وأهله، فنشطوا في التأليف والنشر والتوعية في صفوف المسلمين الذين كان قد أدهشهم بريق ثورة المستضعفين، والذين راحوا وتحت تأثير هزيمتهم النفسية من توالي فشل الحركات الإسلامية أمام الطواغيت، وتحت تأثير قياداتهم التي راحت بدورها ضحية التقية الشيعية والجهل الشرعي بحال هذه الشرذمة[1]، فقام أولئك النفر من العلماء بالذب عن دين الله وتبيان الحق، وهنا لابد أن نقف إجلالاً لهذه النخبة من أصحاب العلم الذين لم تكبلهم الأهواء السياسية وتصرفهم عن جادة الصواب، سائلين المولى أن يحفظهم ذخراً للإسلام والمسلمين.

ثالثاً: إن بعض زعماء الحركات الإسلامية والذين أيدوا ثورة الخميني، وسخّروا إعلامهم للدعاية له، ومباركة الزعيم الذي هزم أمريكا من فوق سجادته في باريس! توجهوا إلى الخميني أمل الأمة يطلبون مساعدته ونصرته لحركات الجهاد والكفاح ضد الطواغيت، معربين عن حاجتهم لمساعدة ثورة الإمام ودعمها، فلم يجدوا إلا المماطلة والإعراض ثم التصريح بعدم الاستعداد، لقد برز هذا جلياً في موقف الخميني من المجاهدين الأفغان والمجاهدين السوريين، وفوق هذا حملت الأيام أخبار تحالف ثورة المستضعفين مع أسد سوريا النصيري، وكافر ليبيا محرف القرآن وناكر السنة النبوية، فعاد أولئك الزعماء لرشدهم، وبدأوا يعيدون الحساب في مبادئ ثورة المستضعفين وخلفياتها العقيدية.. وكان هذا عاملاً ثالثاً في الوضوح.

ثم تتالت المواقف المخزية من زمرة خميني الشيعة.. فصرحوا بعزمهم على تصدير الثورة، وعزمهم على فتح مكة والمدينةوبغداد قبل تحرير القدس، وأعلنوا عن أطماعهم في الخليج، وتكشف دورهم التآمري في لبنان، وبدت أحقادهم الشرسة في الحرب مع العراق ورفضهم وقف نزيف الدم، وذهبوا لاعتبار أسد النصيري حليفهم، بل وكفر سفاحهم الخلخالي المجاهدين السوريين، وسلحوا شيعة أفغانستان، وامتنعوا عن تأييد المجاهدين بل حاربوهم، وهكذا يشاء الله أن تكون ثورة المستضعفين بداية لتكشف الحقائق التي طال اختفاؤها تحت العمائم السوداء، وفي بطون الكتب الشيعية الصفراء.

إن هذه المواقف وسواها.. جعلت أبناء المسلمين يعيدون الحساب.. وما عاد الموقف العاطفي مقبولاً فتراجع الكثيرون عن مواقفهم، وإن كان بوتيرة إعلامية باردة مكافئة لمواقف الدعم السالف.

---

[1] مرّ بيان ذلك في الفصل الأول – فقرة دور قادة العمل الإسلامي في الصحوة.

- وكما ذكرنا ونظراً لأن هذه القضية تهمنا لعلاقتنا المباشرة بقضيتنا وقضية صراعنا مع نصيري الشام أسد، فقد بدأنا التحقيق في أصل هذه الفرقة من الشيعة وجذور هذه الثورة وآثارها، وها نحن نضع بين أيديكم نتيجة البحث والله ولي التوفيق.

وسيتركز بحثنا في ثلاث قضايا:

1- لمحة في معتقدات الشيعة

2- لمحة في الثورة الإيرانية الشيعية.

3- الشيعة الجعفرية والنصيرية. وحقيقة التقارب بين حكومة خميني وأسد النصيرية في سوريا.

1- لمحة في بعض معتقدات الشيعة:

- عقيدة الشيعة في القرآن :

يعتقد الشيعة الجعفرية بتحريف القرآن وتعرضه للزيادة والنقصان، ولقد ألفوا في ذلك الكتب، ووضعوا الأحاديث ونسبوها للأئمة المعصومين، وأطنبوا في ذلك كثيراً، حتى بلغ ما رووه في أسفارهم وكتبهم المعتمدة وتفاسيرها ما يقرب من ألفي حديث، حتى قال أحد كبار علمائهم وهو نعمة الله الجزائري (إن الأصحاب قد أطبقوا على صحة الأخبار المستفيضة بل المتواترة الدالة بصريحها على وقوع التحريف في القرآن كلاماً ومادة وإعراباً والتصديق بها)[1].

ولقد أنكر بعض قدمائهم هذه العقيدة تقية، ومازال الخمينيون اليوم متمسكون بهذا الإنكار تحت نفس الذريعة، وإن كانوا مايزالون يصرحون باعتبار وتقديس كل أولئك الشيوخ القدماء والمحدثين، والذين كان لهم دور في إثبات تحريف القرآن، واعتبارهم من كبار علماء الأمة، بل ونعتهم بألقاب الثقة والحجة والبحر.. ويجدر أن نذكر أن من مشاهير الشيعة الذين جهروا بهذه العقيدة المنحرفة كل من:

- القمي (صاحب التفسير المشهور والمعتبر لديهم)- الكليني (صاحب كتاب الكافي أحد مصادر الدين الشيعي الأربعة والذي وصفوه بأنه عرض على المهدي الغائب فقال "كافٍ لشيعتنا") -الصفار - العياشي - العامري - الطبرسي.. وغيرهم من المتقدمين - ومن المتأخرين النوري الطبرسي ت1320 (صاحب كتاب فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) والبحراني والمجلسي والجزائري... وغيرهم)[2]

ولمن أراد أن يستزيد في هذا المجال فليراجع كتاب (السنة والشيعة- الشيعة والقرآن) للسيد إحسان إلهي ظهير، فقد جمع أحاديثهم من كتبهم باللغات المتعددة وبوبهاب بشكل علمي ممتاز، جزاه الله عن الإسلام خيراً[3].

أما من أراد أن يقول من أهل التقية أو من أبناء السنة المبالغين في الطيبة: هذا من كلام شيعة أيام الخلافات، أما خميني وزمرته فقد أعرضوا عن هذا ودعوا لوحدة المسلمين فنقول: إن الواقع والحقيقة يثبت عكس هذا، فإن أرادوا ذلك مخلصين فعليهم أن يقفوا من مشايخهم الذين جهروا بتلك العقائد موقفاً واضحاً فيكفروهم ويردوا أحاديثهم، ولا يخفى على العالم بأمر دين الشيعة أن هذا يعني تقويض المذهب الجعفري من أركانه، وما تزال كتب القوم هي كتبهم ومايزال أئمتهم ومشايخهم محل اعتبار.

- الشيعة الجعفرية وموقفهم من السنة النبوية:

---

[1] عن كتاب الشيعة والقرآن للسيد ظهير الذي نقل عن كتاب فصل الخطاب (الشيعي) (ص43).

[2] المصدر السابق ص 60.

[3] استشهد رحمه الله على أيدي الشيعة (على أرجح الأدلة) لنشاطه الفذ في كشف النقاب عن ضلالاتهم.

لا يأخذ الشيعة بالأحاديث الواردة في أي من الصحاح المعتمدة لدى أهل السنة، ولا بموطأ مالك، ولا بمسند أحمد، ولا بباقي كتب الحديث المعتمدة لدينا.

وهذا لأنهم ينكرون عدالة الصحابة، ويُكَفِّرون جُلَّهم، ويتهمونهم بوضع الحديث وينسحب حكمهم هذا على كبار الرواة كأبي هريرة، وابن عمر، ولا يستثنون حتى زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم خاصة عائشة وحفصة، وكما ذكرنا فهم لا يخفون هذا ولا يمارسون فيه تقية، وقد أثبتت هذه العقيدة معظم كتبهم التي مازالوا يطبعونها ويملؤون بها بلاد أهل السنة تشكيكاً في دينهم، حيث يوزعونها بالمجان، وهم لا يأخذون إلا بالأحاديث التي جاءت عن أئمتهم أو من طرقهم الخاصة، علماً أن أصحاب الحديث وعلماء الجرح والتعديل عند أهل السنة ذكروا كذب الرافضة، وأنهم أجهل الناس بهذه العلوم، ويجدر أن نذكر إشارة أشار إليها الدكتور عبد الله غريب (وجاء دور المجوس) ص121، وهي أن الشيعة لا يذكرون أحاديث البخاري وغيره من صحاح السنة ومسانيدها إلا للرد على أهل السنة، ومن باب القاعدة المعروفة (من فمك أدينك)، وهذا الأمر ملموس في كتبهم بوضوح.

- الشيعة وعقيدة العصمة:

يعتقد الشيعة بعصمة علي رضي الله عنه وأحد عشر ولداً من أبنائه (عن طريق الحسين) وعلى هذا المبدأ مدار مذهبهم، وهم يلحقون بهؤلاء المعصومين صفات قدسية ترقى بهم إلى حد الألوهية (ويزعمون أنهم أفضل من الأنبياء والرسل باستثناء خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، وأنهم لا يخطئون، ويعلمون الغيب إذا شاؤوا، ولا يموتون إلا باختيارهم، ويرون أن إمامهم الثاني عشر، مهديهم المنتظر حي حتى الآن، عندما يقوم من نومه سيحيي الله له ولآبائه جميع حكام المسلمين فيحاكمهم ويقتص منهم ويأمر بقتل كل 500 رجل منهم معاً، حتى يستوفي قتل ثلاثة آلاف من رجال (...) وذلك يُسمى عندهم الرجعة) [1].

ولقد أصبح معروفاً وشائعاً ما كتبه خميني وأذاعه من عقيدته وعقيدة أهل ملته فهو يقول عن المعصومين: (لا نتصور فيهم السهو أو الغفلة)[2]، ويقول: (فإن للإمام مقاماً محموداً ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها ذرات الكون)[3]، ويقول: (وإن من ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل)[4]، وقد نقل شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله قوله أنّ الإجماع على أن من اعتقد بأن أحداً يفضل الأنبياء أو يساويهم فقد كفر. ذكر هذا في مخطوطته الرد على الرافضة) عن كتاب وجاء دور المجوس الدكتور غريب ص 192.

- الشيعة وصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم:

تقول الشيعة بارتداد أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم كلهم إلا ثلاثة وفي رواية إلا خمسة (علي – المقداد- أبو ذر – سلمان – عمار) رضي الله عنهم جميعاً، وفي رواية أخرى يرفعون هذا الرقم إلى سبعة، وينصب لعنهم بشكل رئيسي على الصحابة الكرام الثلاثة الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، كما يكفرون معاوية وعمراً بصراحة ودون تقية، ولهم في لعن أبي بكر وعمر دعاء خاص ومعروف، كما يسبون زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم الطاهرات ولاسيما عائشة وحفصة رضي الله عنهما، ورغم أنهم يوارون تقية ويلحقون أسماء الصحابة حتى من يلعنونهم بكلمة (رضي الله عنه) إلا أن كتبهم المعتمدة تصرح بتلك العقيدة في الصحابة –راجع كتاب السنة والشيعة لإحسان إلهي ظهير – فقد بين ما يقولون وجمع تلك الأقوال من كتب الشيعة المعتمدة.

---

[1] عن كتاب: وجاء دور المجوس للدكتور عبد الله غريب ص 122.

[2] الحكومة الإسلامية للخميني.

[3] الحكومة الإسلامية للخميني.

[4] الحكومة الإسلامية للخميني.

- الشيعة وعقيدة التقية:

وهذه مصيبة المصائب وسبب كل الورطات التي وقع بها علماء المسلمين وقادتهم المعاصرون، إذ أخذوا كلام الشيعة على ظاهره، وانجرفوا في تيار تأييدهم، ويعتقد الشيعة يوجوب التقية وفرضيتها وضرورة ذلك، حتى خروج القائم المهدي الإمام الثاني عشر، ويروون عن جعفر الصادق زوراً وبهتاناً أنه قال (التقية ديني ودين آبائي) كما يروون أقوالاً كثيرة مشابهة منها (تسعة أعشار الدين في التقية) ومنها: (لا دين لمن لا تقية له)، والتقية عندهم على كل من ليس من ملتهم وهي مطلقة غير محدودة بضوابط، ولقد استغل الشيعة هذه الميزة استغلالاً بشعاً مع المسلمين ولعبوا برؤوس الكثير من أبنائهم –راجع (السنة والشعية ص 153 وص 182 وص 204).

- الشيعة وكفرياتهم في صفات الله:

للشيعة آراء شاذة واجتهادات غريبة في نسب الصفات لله جل وعلا، وكتبهم مليئة بهذا، وهم ينكرون رؤية الله عز وجل، ويخالفون أهل السنة في بعض الأسماء والصفات ومدلولاتها، ولعل أبرز شذوذاتهم بشاعة هي (عقيدة البداء)، التي ينسبون فيها لله تعالى النسيان والجهل، وتغيير الأقدار وتبديل رأيه –تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً– (راجع الشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير).

- الشيعة وإباحة نكاح المتعة:

يخالف الشيعةُ المسلمين في هذه وبدون تقية، إذ ينكرون أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرّمها، وينسبون تحريمها لعمر رضي الله عنه رغم ما في هذا الأمر من أحاديث صحاح، ورغم أن هذه واحدة من أمور كثيرة شذّ فيها الشيعة، إلا أنها أمر خطير وذو بال، إذ أنها وبالشكل الذي يصورون لا تتميز عن الزنا إلا بما أسبغوا عليها من الشرعية، وهي طريقة لدفع الشباب المسلم لمتاهات الانحلال والفجور.. فهم يرون جوازها ولو بالمجوسية واليهودية والنصرانية، وحتى بالفاجرة والزانية وكذا بالمسلمة والهاشمية، وهذا مروي في كتبهم المعتمدة، ولا يشترط بالمتمتع عندهم أن يفتش إن كانت المتمتع بها ذات زوج أو لا، بل يأخذها بظاهر كلامها، كما أجازوها بالفتاة التي تجاوزت عشر سنوات، ولم يشترطوا لجوازها موافقة الولي للبالغة الراشدة، ولم يعدوا نكاح المتعة من الأربع المباحات كزوجات بل هو عداهن، لأنها لا تطلق ولا تورث ولا ترث.. وقد حددوا تسعيرة المتعة بدرهم فما فوق، ولم يحددوا الزمن، فقد رووا جوازها من ظهر واحد فما فوق.

–بالله – لم الزنا و كل هذا متوفر ضمن دائرة الإسلام التي يزعمونها؟!! ولم يكتفوا بهذا بل ذهبوا إلى ما هو أمر وأدهى: فقد وضعوا لها الأحاديث، فقد روى الكاشاني في تفسيره منهج الصادقين حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه (من خرج من الدنيا ولم يتمتع جاء يوم القيامة أجدع) ورووا عنه أيضاً (من تمتع مرة واحدة عتق ثلثه من النار) بل ذهبوا لرواية أبشع من هذا.

فقد ذهب السيد جعفر مرتضى العاملي في تابه الزواج المؤقت في الإسلام –المتعة– دراسة تحليلية– إلى إباحة هذا النوع من الزواج، بل زعم أن أئمة أهل السنة تقول به... كل هذا فوق إباحتهم لإعارة الفروج واستئجارها وجواز اللواط بالزوجات.

وهذه إحدى خلافاتنا معهم في الفروع لمن يريد أن يقول أن خلافاتنا معهم فرعية.

- الشيعة وتعطيل الجهاد:

يرى الشيعة أن الخليفة الواجب طاعته وتنصيبه على المسلمين يجب أن يكون أحد الأئمة المعصومين من أهل البيت، وأن كل الحكومات والخلافات الإسلامية كانت باطلة ما خلا حكومة الرسول صلى الله عليه وسلم، وحكومة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبغياب الإمام الثاني عشر اوختفائه حياً أكثر من ألف عام، ليس للمسلمين أن ينصبوا خليفة وإنما ينوب عنه الفقيه،

وبهذا الغياب تتعطل لديهم الكثير من أمور الشريعة كصلاة الجمعة وغيرها، ولعل أهم ما يتعطل المضي فيه لحين ظهور المعصوم الذي لن يظهر (الجهاد) إذ لا يجوز إلا بقيام القائم.

ترى ماذا يريد اليهود وأعداء الإسلام أكثر من هذا ؟. تحطيم الهيكل السياسي للمسلمين، وتحطيم وسيلتهم العسكرية.. ولما قامت حكومة خميني ورأى الشيعة أنه لا بد لهم من حكومة وقتال، رقَّع لهم الخميني دينهم بنظرية (ولاية الفقيه) التي منح فيها الفقيه وبالتالي نفسه كل صلاحيات الغائب المعصوم.. هذا أمر آخر من الخلاف في الفروع لمن يريد أن يقول أن خلافاتنا معهم في الفروع.

- الشيعة والمسلمون:

يروي الشيعة عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: (بني الإسلام على خمسة أشياء على الصلاة والزكاة والحج والولاية) قال زرارة وأي شيء من ذلك أفضل قال: الولاية أفضل) ثم في رواية أخرى حذفوا الصوم والحج فقالوا عن الصادق جعفر عليه السلام: (أثافي الإسلام ثلاثة: الصلاة والزكاة والولاية لا تصح واحدة منها إلا بصاحبتها) يقصدون ولاية علي واعتقاد أولية خلافته بأمر الله.. ترى ما حكم من لا يؤمن معهم هذا الإيمان؟ .. وأين أهل السنة من هذه المعتقدات؟. وما رأيهم بهم وأهل السنة لا يعتقدون الولاية كما يعتقدها الشيعة؟.

أمر آخر يرد في كتب الشيعة كثيراً تسمية (النواصب) لفرقة من فرق المسلمين وهي عندهم طائفة ملعونة كافرة وإن اعتقدت الإسلام وصامت وحجت.. لا تجوز ذبائحها وأموالها ودماؤها حلال في حال التمكن، وكما صرح خميني فهم أكفر من اليهود والنصارى، وهم يعرّفون (الناصبي) إجمالاً بقولهم أنه كل من ناصب علياً وبنيه العداء (وقد جاء في (الوسائل في تعريف الناصبي: محمد بن إدريس في "آخر السرائر" نقلاً عن كتاب مسائل في الرجال عن محمد بن أحمد بن زياد وموسى بن محمد بن علي بن عيسى قال: كتبت إليه يعني –علي بن محمد بن علي عليهما السلام– أسأله عن النواصب هل أحتاج في امتحانه إلى أكثر من تقديمه (الجبت والطاغوت) –يقصدون أبي بكر وعمر– واعتقاد إمامتها فرجع الجواب ((من كان على هذا فهو ناصب)). وقال عالمهم ومحدثهم هاشم الحسيني البحراني /ت1107/ والذي سموه العلامة الثقة الثبت المحدث قال: يكفي في بغض علي وبنيه تقديم غيرهم عليهم وموالاة غيرهم كما جاءت به الرواية، وعندهم أن من ينكر أحداً من أئمتهم أو يرفض التلقي عنهم عن طريق الكافي وغيره فهو لا شك ناصب) وجاء دور المجوس ص 186.

فما حكم أهل السنة يا ترى بعد هذا وهم يعتقدون أفضلية أبي بكر وعمر على باقي الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ويوالونهم جميعاً، وينكرون عصمة علي وأبنائه أو أحد من الصحابة، وينكرون أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد نص على الاستخلاف تصريحاً لأحد... ألسنا في رأيهم نواصب.. (راجع رسالة: موقف الخمينين من أهل السنة –محمدمال الله– وكتاب الشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير).

وأخيراً وليس آخراً.. فهذه نبذة مما وجدناه في دين الشيعة الجعفرية الإمامية الاثني عشرية، ولا بد أن نذكر هنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبرنا أن اليهود افترقت إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى اثنين وسبعين فرقة، وأن أمته صلى الله عليه وسلم ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، وهذا حديث ثابت لدى السنة والشيعة كلاً من طرقه.. ولقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فرقة هي الناجية وأن اثنين وسبعين في النار والعياذ بالله.

وليس لعاقل أن يتصفح معتقدات الشيعة في أصولها وفروعها ثم يأتي ليزعم لنا أنّا وإياهم فرقة واحدة، بدليل أننا نشهد ويشهدون، ونصلي للكعبة ويصلون، ونصوم ويصومون.. أما كان الخوارج يفعلون هذا.. أما قال عنهم صلى الله عليه وسلم: أن أحدكم يحقر

صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤون القرآن لا يبلغ تراقيهم.. إذا لم نكن والشيعة فرقة واحدة وهذا واضح بين، ولاشك أنّا وإياهم من الفرق الثلاثة والسبعين، فإننا نتوجه بالسؤال لعلمائنا وقادة حركاتنا الإسلامية ليجدوا لنا مكاناً بين تلك الفرق، إننا نعتقد أننا على حق إن شاء الله وأننا على ما كان عليه صلى الله عليه وسلم وأصحابه وآل بيته، وكل له محض الخيار أن يزج بنفسه مع من يشاء من الفرق، والله تعالى يفصل بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون.

ملاحظة: لا تكفي هذه العجالة التي لا بد منها لمعرفة دين الشيعة ومحتوياته، ونلفت نظر الإخوة الأحباب وجميع المسلمين لقراءة ما كتب عنهم في هذا المقام:

- سلسلة كتب السيد إحسان إلهي ظهير (الشيعة والسنة – الشيعة وأهل البيت– الشيعة والقرآن.. الخ)
- كتاب وجاء دور المجوس للدكتور عبد الهل غريب.
- مؤلفات المرحوم محب الدين الخطيب عن هذا الموضوع لاسيما –الخطوط العريضة–.
- مختصر التحفة الاثني عشرية للسيد شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي، اختصار وتهذيب الشيخ الآلوسي علامة العراق.
- الوشيعة في عقائد الشيعة لموسى جار الله الشيخ العراقي الجليل.
- منهاج السنة لابن تيمية.
- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور مصطفى السباعي.
- الفصل في الملل والنحل لابن حزم الظاهري.
- الثورة البائسة –الشيعة والتصحيح. للدكتور موسى الموسوي وهو شيعي معتدل.

والله الموفق وهو يهدي السبيل.

2– لمحة في الثورة الإيرانية الشيعية:

مرت سنوات على ما سمي بالثورة الإسلامية في إيران بزعامة خميني وآياته العظام.. وماذا كانت المحصلة؟؟. صحيح أن الإعلام شرقيه وغربيه طبل لها وزمر بشكل ملفت للنظر، رغم ما اعتدنا عليه من التعتيم الإعلامي والتشويه لكل ما هو إسلامي، وصحيح أيضاً أن صحف المسلمين وإعلامهم أيضاً قد وقع بشبه إجماع في تأييد ثورة خميني أفراداً وجماعات.. وصحيح أن كبار الدعاة ممن نُكِبَ بهم العمل الإسلامي –على حد تعبير الدكتور غريب– قد نادى بالخميني زعيماً وإماماً بل وخليفة للمسلمين عامة سنيّهم وشيعيّهم على حد تعبيرهم.

إلا أن النتائج والتحليل وربط الأحداث بعضها ببعض، وبعد أن هدأت تلك الضجة، يمكن أن يعطينا فكرة عن خلفيات هذه الثورة وعمن كان وراءها، أو على الأقل عمن استطاع استثمار هذه الثورة لصالحه ودفعها في محور سياسته ومصالحه، ولنسأل أنفسنا بعد هذه السنوات العجاف، أين الإسلام من كل هذه الضجة؟؟.

فبعد كل التصريحات الخمينية التي أطلقها خميني وجماعته عن الإسلام اللامذهبي، وعن إزالة الطائفية، وعن وحدة المسلمين، وعن نصرة مسلمي العالم، وعن حرب كل الشياطين أكبرهم وأصغرهم؛ أمريكا– إسرائيل– الاتحاد السوفيتي وعن.. وعن.. ماذا وجدنا.؟؟؟

1– الدستور الإيراني للجمهورية الإسلامية ينص حرفياً على مذهبية الدولة ودستورها الشيعي وإلى الأبد.

2- الحكومة الثورية تحاصر أهل السنة في إيران والذين يشكلون حوالي 30% من مجموع السكان، وتعتقل زعيمهم أحمد مفتي زادة، وتزج به وبأنصاره في السجن، وتوجه لهم تهم العمالة، وتعامل سجناء وسجينات السنة أسفل معاملة.

3- يعلن الخميني وأقطاب ثورته عن نواياهم بفتح بغداد ومكة والمدينة والخليج قبل القدس، ونواياهم بتصدير الثورة الشيعية.

4- بروز التحالف الفاجر مع نصيري الشام الكافر أسد وقذافي ليبيا محرف القرآن وناكر السنة، بل واعتبارهما نظامان صالحان دون كل أنظمة الدنيا.

5- خلخالي سفاح الثورة يصرح بكفر المجاهدين السوريين، وأنهم ثلة من القتلة، والتّنكر لمجاهدي أفغانستان ومعاداتهم ومحاولة تفريق كلمتهم.

6- ملايين الكتب والنشرات تطبع وتوزع مجاناً من إيران ولكل أنحاء العالم الإسلامي وأوروبا وأمريكا تشكك في دين أهل السنة وتدعو لعقائد التشيع.

7- التغاضي عن نشاط الملاحدة واليساريين في إيران والتفرغ لقمع المعارضين والتنكيل بأبناء القوميات غير الفارسية.

8- استمرار العلاقات مع أمريكا بعد الثورة، وافتعال مسرحية الرهائن، ثم عودة العلاقات سراً بأمريكا، وتيسير شراء المعدات الأمريكية لإيران وفضائح ذلك الموضوع.

9- شراء الأسلحة والذخائر من إسرائيل لقتل الجيران، وتصدير الثورة لبلاد المسلمين، علماً أن أكثر من نصف الجيش العراقي من أبناء عقيدتهم.

10- تأزيم مشكلة السنة والشيعة بشكل أعطى الفرصة حقيقة هذه المرة لدول الغرب لتفكر في استخدام هذه القنبلة في تدمير المنطقة مستقبلاً.

11- تأزيم الوضع في لبنان، ودعم فصائل الشيعة فيها لتعيث فساداً وتذبح الفلسطينيين وتتحالف مع الباطنيين وتحمي حدود إسرائيل، وما أفاعيل الشيعة بخافية على أحد اليوم.

12- محاكم دموية لا تستند إلى ضمير ولا إلى قيم فضلاً عن الإسلام، وسفك الدماء وسلب الأموال وإباحة الممتلكات والأعراض لحرس خميني الثوريين.

13- تشويه سمعة الإسلام عالمياً، وإعطاء أقبح الأمثلة على ذلك بهذه التصرفات المشينة ونسبها للإسلام.

ماذا يريدون بعد هذا[1].. هل هذا هو الإسلام؟! هل هذه ثورة إسلامية؟!

إننا نستطيع أن نفهم الآن ماذا كان يقصد السيد مهدي الحسيني في محاضرته التي ألقاها بمناسبة قدوم محرم 1979/1399 ووزعها الشيعة، حين يقول: (إن الثورة التي يريدها الله شيعية المنطلق إسلامية الصبغة عالمية الأهداف) إنها ثورة شيعية متعصبة، ولا بد أن نذكر آراء من يقول بأن أمريكا كارتر هي التي خططت لها بعد أن احترقت أوراق الشاه الطاغية، لقد رأوا أنها ورقة ممتازة للعب أقل فوائدها إعطاء أمريكا والغرب المبرر للتدخل في شؤون الخليج بحجة حمايته، ومحاصرة المد الإسلامي وصحوته المباركة التي بدأت تقرع أبواب المنطقة، وتدمير القوى العسكرية في المنطقة في حرب ضروس تملأ خزائن الغرب بالمال من تجارة السلاح، وكتلة شيعية متعصبة يمكن اللعب بها وزجها لتمرير أهداف الغرب.

[1] لم تكن الغزوة الصليبية اليهودية لجزيرة العرب وقلب العالم الإسلامي قد بدأت لدى كتابة هذه السطور وقد كان للشيعة دور خبيث في استثمار تلك الأزمة والتنسيق مع أعداء هذا الدين.

3- الشيعة والنصيرية وحقيقة التقارب بين حكومة الخمينية ونظام أسد النصيري:

النصيرية –كما ذكرنا سابقاً- طائفة شيعية مغالية منبثقة عن الشيعة، أسسها محمد بن نصير الذي كان شيعياً إمامياً، ولهم عقائد عجيبة غريبة. فهم يقولون بتناسخ الأرواح وقدم العالم.. وأن علياً هو الله –كبرت كلمة تخرج من أفواههم- وأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو الحجاب – نستغفر الله- وأن سلمان الفارسي هو الباب وأن الأبالسة هم الخلفاء الراشدون الثلاثة –لعنة الله على الكاذبين- وللنصيرية معتقدات غريبة وأعياد مجوسية –راجع فصل النصيرية في الفصل الأول من الجزء الأول- وللنصيريين تاريخ حافل في التآمر على المسلمين والعمالة للتتار والصليبيين وللاستعمار الفرنسي حديثاً، ولهم في ذبح المسلمين إبان حكم أسد الكافر فصولاً لا تنسى.

وقبل أن نبدأ بسرد التعاون السياسي سواء كان استراتيجياً أم تكتيكياً بين نصيريي الشام وشيعة خميني سنبين للبسطاء من أبناء هذه الأمة أن هذا التحالف ليس سياسياً على الإطلاق وإنما هو تحالف عقيدي باطني فئوي بحث.

يذكر الدكتور غريب في كتابه القيم (وجاء دور المجوس) في بحث: ماذا وراء تقارب الرافضة مع النصيرية فيقول: (انفرد النصيري حافظ أسد بحكم سوريا وفي هذه الفترة بالذات قام ما يسمى بسماحة العلامة السيد حسن مهدي الشيرازي على رأس وفد من علماء الشيعة الإيرانيين بزيادة المناطق النصيرية في جبلهم والساحل المنكوب الذي تسلطوا على بعض أحيائه ومنطقة طرابلس الشام حيث هاجر إليها بعضهم من الجبل، وخلال هذه الزيارة التقى الشيرازي بعلماء النصيرية ووجهائهم وأهل الرأي فيهم، وتبادل معهم الخطب والأحاديث وتوصلوا إلى النتائج التالية:

1- أن العلويين (النصيريين وقد سماهم الفرنسيون بالعلويين تمويهاً) هم شيعة ينتمون إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بالولاية، وبعضهم ينتمي إليه بالولاية والنسب كسائر الشيعة الذين يرتفع انتماؤهم العقيدي إلى الإمام علي وبعضهم يرتفعن إليه انتماؤه النسبي.
2- أن العلويين والشيعة كلمتان مترادفتان، مثل كلمتي الإمامية والجعفرية فكل شيعي هو علوي العقيدة وكل علوي هو شيعي المذهب.

هذا هو خلاصة البيان الذي وقع عليه أكثر من سبعين شيخاً ووجيهاً ومثقفاً يمثلون مختلف قبائلهم وتكتلاتهم، وصدر هذا البيان في 1392/7/3 أي في عام 1972 أي بعد تولي أسد السلطة بعامين، تحت عنوان (العلويون شيعة أهل البيت) عن دار الصادق في بيروت، وذكر حسن المهدي الشيرازي أنه كلف بهذه الزيارة بناء على أوامر وردته من قم من سماحة الإمام المجدد المرجع الديني السيد محمد الشيرازي. أما حسن الشيرازي هذا، فهو إيراني الجنسية قدم إلى لبنان من أجل الدور نفسه الذي قدم من أجله الصدر وهو يشغل اليوم –أثناء تأليف هذا الكتاب- منصب رئيس جماعة العلماء الشيعة في لبنان.

وقد قيل أنه قدم من إيران إلى لبنان عن طريق الولايات المتحدة الأمريكية كما ذكرت الأنباء الكويتية في 1978/9/29 ويضيف السيد غريب: (وماكان لقاء الشيرازي بعملاء النصيرية لقاء عابراً، بل مضى الطرفان –الجعفري والنصيري- في التعاون ففي عام 1974 استصدر موسى الصدر في لبنان قانوناً أصبح النصيريون الذين يقيمون في شمال لبنان بموجبه شيعة جعفرية، وأقام فهم مفتياً خاصاً بهم، عن الأنباء الكويتية 1978/29، ومما يجدر ذكره أن حسن الشيرازي هو خصم لموسى الصدر، ومع هذا لم يخالف الأول الأخير في التعاون مع النصيرية والاندماج معهم). ويتساءل الدكتور غريب ونحن نتساءل معه: (نصيريو اليوم هم نصيريو الأمس عقيدة وعبادة وسلوكاً ومنهجاً (...) وقد أفتى علماء المسلمين ومنهم أبو حامد الغزالي – ابن الجوزي – ابن تيمية – ابن عابدين بكفرهم وأنه لا يجوز للمسلم أن يزوجهم أو يتزوج منهم، ولا يحل له أكل ذبائحهم، ولا يصلي على موتاهم، ولا

يدفنون في مقابر المسلمين، ولا يجوز استخدامهم في الجيش والوظائف العامة، ولا نعرف عالماً مسلماً ثقة عدلاً قد خالف هذه الفتوى بهم، فكيف صاروا ما بين طرفة عين والتفاتتها من الشيعة الإمامية)؟؟ ويضيف: (سألنا بعض المطلعين من الشيعة عن هذا السر فقالوا: إن الصدر والشيرازي ليسوا شيئاً من مذهبنا، ونحن لنا مراجع معتمدة لا نثق إلا بها، ومن هذه المراجع من يقول بكفر النصيرية كالخميني...)

وهذا الكلام مرفوض كما ذكر الدكتور غريب إذ أن تصريحات الرافضة وأقوالهم لا يوثق بها لتقيتهم، كما أن الصدر والشيرازي كانا ممثلين للقيادة الدينية والسياسية عند الرافضة، واتصالهما بالنصيرية كان جزءاً من خطة طويلة الأمد، ويذكر الدكتور غريب: (في نهاية شهر رجب عام 1399 عاد الشيرازي من الكويت إلى منزله في قم، فكان الخميني قائد الثورة أول من زاره وهنأه على سلامة الوصول، وشكره على الدور الذي بذله من أجل الثورة) ويتساءل الدكتور غريب:

1- كيف جهل الناس عقيدة النصيرية خلال عدة قرون، ثم جاء شيخ إيراني ليحقق ما عجز عنه الأوائل، وعجز علماء الشيعة والسنة الذين يعايشون النصيرية في ديارهم.

2- لماذا جاء هذا الاكتشاف في ظروف عصيبة، اعتلاء حافظ أسد كرسي رئاسة الجمهورية لأول مرة في تاريخ بلاد الشام، بعد إقدامه على إذاعة بيان سقوط القنيطرة المشهور. ويضيف: (والحق يقال أن شقة الخلاف بين الشيعة الإمامية والنصيرية ليست واسعة، وأن الثانية امتداد للأولى، وفي التاريخ أدلة كثيرة على أن التحالفات السياسية تطغى عند الشيعة على المواقف العقيدية، فالمهم أن يحققوا انتصاراً على خصومهم، ومن هذه الأدلة أن نصير الدين الطوسي وكان إسماعيلياً ملحداً، عندما تعاون مع الشيعة وجند نفسه تحت امرة التتار، اعتبره الشيعة من أعلامهم وصاروا يقرنون اسمه مع الحسين، نعم هذا هو الطوسي الذي أثنى عليه خميني وكان إسماعيلياً ملحداً، ودخل مع هولاكو بغداد ونفذ في المسلمين مذبحة رهيبة).

إن ما أوردناه مقدماً نقلاً عن كتاب الدكتور غريب رغم طوله نسبياً لازم لنا لكي نفهم كثيراً من الأمور التي تجري الآن، وهكذا نفهم كيف أن أحد الإيرانيين الأتقياء التقى بأحد الشباب السوريين في إحدى الدول الأوروبية وهو لا يعرف جنسيته، فسأله الشاب عن رأيه في أسد، فقال له أنه رجل مسلم صالح، فلما قال له عن أفعاله في حماة في شباط 1982، قال الإيراني: لقد تترس الأعداء بهم!! نعم هكذا.. حقّ لنا أن ننادي مع المنادي[1]: بالخميني زعيماً وإماماً..

قد منحناه وشاحاً ووساماً.. من دمانا ومضينا للأمام.. وكذلك نستطيع أن نستوعب ما يقصده أحد الآيات الذين قدموا للحج وسئل عن النصيريين فقال: إنهم شيعة وإن كان عندهم انحرافات وهم أقرب إلينا من السنة.

ولا يغرينا بعد هذا أن جلهم يزعم عندما يواجهون بهذا التحالف المشبوه يقولون بكفر النصيرية، وأن أسد طاغية، ولكن تحالفهم معه ومع قذافي تكتيك لأنهم في مرحلة ضعف.

واليوم أصبح مشهداً مألوفاً في طرق دمشق المنكوبة وأحيائها أن تشاهد صوراً لأسد وخمينين جنباً إلى جنب، وكذلك على نوافذ بعض باصات النقل، وكذا الشعارات الرنانة للتحالف بين الثورة الإسلامية والبعث في سوريا، كما أصبح مألوفاً أن تجد شيخاً من آيات الشيعة يدرس الناس في مسجد ويفسد عليهم عقائدهم، بعد أن هرب الكثير من علماء البلد من أهل السنة من إرهاب أسيد.

---

[1] هو يوسف العظم أحد قيادات الإخوان المسلمين في الأردن، وأحد وزرائهم السابقين في بلاط حسين، ألّف هذه القصيدة في مدح الخميني والدعوة له وقد مرّ بيان هذا في الفصل الأول.

وبماذا يفسر الطيبون من أهل بلدنا ومحترفوا التقية من أهل الشيعة، بماذا يفسرون الزيارات والرسائل المتتالية بين أسد وأعوان خميني؟؟، بماذا يفسرون الدعم العسكري والمادي بالأسلحة والأغذية لإيران من قبل حكومة البعث؟؟. بماذا يفسرون وجود المسلحين الإيرانيين في سوريا وقرب دمشق[1] بعد أن دخلوا تحت ستار مسرحية المتطوعين لنجدة لبنان ضد الصهاينة؟؟ تُرى أليسوا هناك لحماية نظام أسد من الاضطرابات الداخلية!! بماذا يفسرون دعم أسد وخمينين لشيعة لبنان في الجنوب وبيروت وللنصيريين حول طرابلس المسلمة ليقتلوا الفلسطينيين ويذبحوا أهل السنة في الشمال؟؟ .. ماذا يريد إخواننا بعد كل هذا من دلائل؟؟ ماذا نقول عن حصار أمل الشيعة للمخيمات الفلسطينية المسلمة حتى هلك أهلها جوعاً وأكلوا الفئران والكلاب؟؟!! أنصدق بعد أن خرج خلخالي سفاح إيران على التلفزيون السوري ليكفر المجاهدين السوريين ويعتبرهم قتلة.. أنصدّق أن هذا من ضرورات التحالف التكتيكي.!!!.

نحن لا نصدق، ولكن نسأل الطيبين من أبناء الحركات الإسلامية، والذين مازالوا يعتقدون الأمل في لفَّة خميني السوداء، لماذا لم يقبل أن يستقبل خمينين وفد الإخوان المسلمين في المرة الثانية عندما جاؤوا لطلب المساعدة.. لقد استقبلهم في المرة الأولى وطار لبهم فرحاً من تواضع الإمام وسماع الأذان في القصر الجمهوري.. ثم ماذا..؟ لقد طلبوا مساعدة للإخوان السوريين المجاهدين لإقامة الحكم الإسلامي في بلاد الشام فماذا كان..؟ لقد ميع الإيرانيون الموقف، وأجلوا وأجلوا ثم صرحوا.. وليس هذا موضع أسف وعلى ماذا وممن نأسف..؟؟.

لقد فهم إخواننا أخيراً واضطر أحد الزعماء الكبار الذي كان ينادي بإمامة خميني أن يقول: (حسبناها ثورة إسلامية، وإذا بها ثورة شيعية)[2] الحمد لله..

أخيراً.. لذلك نرى الحق كل الحق في تعليق الدكتور غريب على هذا الأمر عندما يقول: (ولن تفلح أمة أو جماعة يتزعمها هؤلاء المغفلون الذين لا يفرقون بين العدو والصديق، ويفضون بأسرارهم إلى أعدى أعدائهم..

ياللعجب، ألم ير هؤلاء تأييد الخميني للنظام الحاكم في سوريا وتقريظه لأسد بعد المذابح التي ارتكبها ونظامه بالإسلاميين) ولكنها الأهواء التي لا يحكمها الشرع، ونسأل الله لنا ولإخواننا الهداية، ونسأله أن نكون قد اعتبرنا.

- وخلاصة القول في أمر الشيعة:

هذه هي الشيعة الإمامية الجعفرية الاثني عشرية على حقيقتها، كما تبين من كتبهم ومراجعهم وأقوال أئمتهم، فهم يرون تحريف القرآن، ويطعنون بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويكفرونهم، ويلعنون الأكابر فيهم، وينكرون معظم السنة النبوية ويعتقدون العصمة في الأئمة وأنهم أفضل من رسل الله، ويعتقدون بانحرافات وترهات أخرى، فمن كان من المؤمنين بهذا المعتقدين فهم كفرة لا نشك بكفرهم قيد شعرة، ولاسيما الذين يؤمنون بما جاء من هذا في الكتب المحرّفة: (كالكافي للكليني، وفقه من لا يحضره الفقيه، والتهذيب، والاستبصار)[3]، وفصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب، فهؤلاء لا لقاء لنا بهم، لا في أصول الدين ولا في فروعه فلهم دينهم ولنا دين، إلا أن ينخلعوا من هذا الكفر، وينكروا على من زعم تلك المزاعم من أئمتهم، ويصرحوا بكفرهم، ويتوبوا إلى الله توبة حق لا تقية فيها، فأولئك يحكم بظاهرهم. أما جهلة الشيعة ومن لا يعرفون أمر دينهم وماذا يقتضي فأمرهم إلى ربهم، ولكنهم ككل طائفة كفر وضلالة عامة. وأما أن تميع الأمور وتختلط الأوراق تارة باسم التقريب بين المذاهب، وتارة باسم توحيد الكلمة، وتارة بعناوين أخرى، فهذا ما نرفضه جملة وتفصيلاً، ولا يغرّنا بعدها أن يقول قائل، فما رأيكم بالشيخ

---

[1] لهم معسكر داخل سوريا على بعد عدة كيلومترات من دمشق.

[2] هكذا قال يوسف العظم لوفد من الإخوة زاره مستفسراً في بيته في صيف 1982.

[3] سئل خميني عن مصادر دينهم فقال القرآن وهذه الصحاح الأربعة، (الكافي، فقه من لا يحضره الفقيه، التهذيب، الاستبصار).

الفلاني وهو يقول بالتقريب؟، وما قولكم بالصحيفة الناطقة باسم جماعة من جماعات المسلمين وهي تعترف بإسلام الجعفرية الإمامية؟؟!، وما قولكم بفتاوى شيوخ الأزهر؟؟! الخ، فنقول وبالله التوفيق: لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك، وكل إنسان يؤخذ من كلامه ويرد إلا صاحب القبر الشريف صلى الله عليه وسلم –كما قال مالك رحمه الله– وحقيقة الأمر أن كثيراً من الرجال الطيبين خُدعوا بالتقية، وقد تراجع جلهم، وحملت أقوال بعضهم وأفعالهم ما لا تحتمل، ويبقى الفيصل في شرع الله وكلمة وآراء علمائه المحققين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

نداء إلى علماء الإسلام وقادة الجماعات الإسلامية:

وفي ختام هذا البحث نود أن نوجه نداء إلى كل العلماء المسلمين والشخصيات الإسلامية عامة، وللذين تورطوا منهم بتأييد الخميني وثورته وشيعته وتزيينها أمام قواعد الحركات الإسلامية خاصة:

إن الكثير ن أبناء المسلمين والحركات الإسلامية، قد فتن بأقوالكم السابقة، وفتاواكم العاطفية، وقد تشيع البعض، ومازال البعض مؤيداً للشيعة، معتبراً أننا وإياهم سواء، بل إنهم حققوا ما فشلنا في تحقيقه، وكلما نصحهم ناصح سردوا له أقوالكم وفتاواكم السابقة.. ربما أن البعض منكم قد ترجع حقاً، ولكن ذلك التراجع لم يكن إعلامياً بحجم التأييد السابق وزخمه، وربما أن البعض أخطأ عن جهل بحقيقة التقية لدى الشيعة، وربما عن هزيمة نفسية من حال المسلمين وهزائمهم المتلاحقة أمام الطواغيت لإعراضهم عن الجهاد وإصابتهم بالوهن.. وربما لأسباب أخرى.. والخطأ وارد والاعتراف به فضيلة..

أوقفوا هذا الانهيار وليكن ما يشاء الله أن يكون.. لعل البعض يقول أنها ستكون فتنة.. وماهي بفتنة.. الفتنة الحقيقية أن يغطى حكم الله فلا يعرف، ويمزج الحق بالباطل فلا يتضح.. ولو كان أعداء الإسلام يسكتون خشية الفتنة لهان الأمر، ولكنهم يفسدون على الناس دينهم ويتآمرون على الإسلام.. وتسكتون خشيية الفتنة.. أية فتنة أكبر من هذه.. أما قال الله تعالى: "ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساحد يذكر فيها اسم الله كثيراً" فلم لا ترفعون الباطل بالحق.

إننا نوجه هذا النداء لمن عاد إلى جادة الصواب ليكرس جهوده مع المخلصين لوقف هذا السيل العرم، أما الصحف والشخصيات التي مازالت تنعق بهذا المد الإسلامي القادم من إيران، فحسبنا الله فيهم ونعم الوكيل، ونسأل الله لنا ولهم الهداية، وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ النَّاسِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا) متفق عليه. من رواية عمرو بن العاص، نعوذ بالله من دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها.

ونسأل الله ضارعين: اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وحببنا فيه.. وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه وكرهنا فيه..

يا أرحم الراحمين..

ألا هل بلغنا ... اللهم فاشهد.

قضية الوطنية والأحزاب الجاهلية والتحالفات:

في كل بلد إسلامي اليوم أحزاب لا إسلامية متعددة، وهي أحزاب مختلفة التصورات السياسية متباينة الطروح الفكرية ولكل منها مخططها وبرنامجها للتغيير.. تغيير الواقع المرير المزري السائد في مختلف البلاد الإسلامية.. ولكل منها طرحها البديل.. ومن هذه الأحزاب والتكتلات من هو تابع مرتبط، مرتبط بدول أخرى.. ومنها ما هو محلي وطني، ومعظم مذاهب هذه التجمعات

وأفكارها مستوردة غير محلية، من هذه الأحزاب ما يستند إلى مبادئ ومنطلقات شيوعية، ومنها ما يستند لأخرى اشتراكية، ومنها ما يستند لمبادئ ديمقراطية غربين، ومنها ما يراوح بين هذه وتلك، معظم هذه الأحزاب يرفع الراية القومية، ومنها ما يقتصر على طروحات وطنية مقتصرة على حدود بلدته.. ومنها غير ذلك..

ونظراً لأن معظم البلاد الإسلامية تخضع لأنظمة ديكتاتورية بشكل أو بآخر.. وتستند لسلطة الحزب الواحد أو للعائلة المالكة الواحدة، أو غيرها من الأشكال التي تمنع وجود أحزاب معارضة بشكل علني، فمعظم هذه الأحزاب والتجمعات سري غير مصرح به.. وحتى في البلاد التي تزعم حكوماتها الأسلوب الديمقراطي فإن تلك الأحزاب تبقى مهزومة أمام حزب السلطة الحاكم أو العائلة المالكة، مما يتركها دائماً بشكل أحزاب معارضة. وكثير من هذه الأحزاب يلاقي قسطاً لا بأس به من العنت ومن القمع ومن الإرهاب السلطوي.. وبهذه الخاصة فإنها تشترك مع الكتل والجماعات الإسلامية في نقطتين اثنتين:

أولاهما القمع والإرهاب الذي تلقاه كل منهما من قبل السلطة

الثانية رغبتها كما هي رغبة الإسلاميين في إزالة هذه الهياكل السلطوية والإطاحة بها والحلول محلها.

إلا أن نقطة هامة تذكر هنا.. وهي أن العديد من هذه الأحزاب والكتل كانت يوماً ما في السلطة ولم يكن موقفها من الإسلاميين أقل بطشاً ودموية للسلطة إلا مثل هذا الموقف.. فهذه الأحزاب، والكتل الإسلامية، على مفرق طريق.. هذه جاهلية والأخرى إسلامية، هم في نظر الإسلاميين جاهليون مرتدون علمانيون، والإسلاميون في نظرهم رجعيون متخلفون.. وكل في نظر الآخر عميل وعدو..

إلا أن في السنوات الأخيرة التي حملت كثيراً من الانحراف الفكري والمبدئي لكثير من قادة الحركة الإسلامية، حملت فيما حملت طروح التحالفات السياسية في هياكل واحدة للمعارضة مع أحزاب علمانية جاهلية كافرة مرتدة، ولعل أكثر ما ظهر هذا جلياً في التحالف السياسي الذي بحثناه والذي أقدم الإخوان المسلمون في سوريا عليه مع حزب البعث اليميني بشكل رئيسي، ومع الأحزاب القومية الاشتراكية الأخرى، وكذلك في تحالف الإخوان المسلمين المصريين مع حزب الوفد العلماني الجاهلي وغيره من الأحزاب العلمانية فيما بعد، وكذلك بصورة أقل أو أكثر وضوحاً من هذا في مناطق أخرى.. وبالطبع ورغم أن هذا الأمر في حد ذاته غير جائز شرعاً من حيث المبدأ لأنه ثبت بطلانه وعدم شرعيته بما حمل الإسلاميين عليه من تراجعات مبدئية، وأنصاف حلول ومداهنات لإرضاء الحلفاء الجاهليين.. إن أقل ما يقال في روابط من هذا النوع بين الإسلاميين والجاهليين أنه زواج غير شرعي.. مبتذل، قصير العمر. فما موقف الإسلام يا ترى من هذا الأمر.. وبالتالي ما موقفنا منه؟ .. معاذير كثيرة اتخذها الإسلاميون: حالة الاستضعاف.. إرضاء القوى العظمى لأنها ترفض الإسلام وتعتبره إرهاباً.. الاستفادة من جهود الغير.. تأليف القلوب.. خشية الأعداء.. إلى آخر هذه القائمة من المعاذير.. ولما كانت السياسة والأهواء والنظرة المصلحية هي الحكم الشرعي في هذا الأمر لديهم، فقد جاءت الخطوات مثقلة بالتراجعات الشرعية والهفوات التي أوصلتهم لشفير الهاوية.. وأي هاوية! هاوية الضلال والكفر! ولعل أكبر ما وقع الإسلاميون به في هذا المجال أربعة أمور..

أولها: أن هذا التحالف جرى مع قوم يفترض أنهم مسلمون، وهم باعتقادهم عدم صلاحية الإسلام للحكم وباستبدالهم إياه ببرامج آتية من شرق أو غرب أصبحوا أناساً مرتدين.. وقد أجمع العلماء على عدم جواز التحالف مع مرتد بل أجمعوا على حل دمه وماله وحرمة التزاوج معه ورفض التعامل معه ودفنه في مقابر المسلمين إلى آخر أحكام المرتدين الشار إليها في كتب الفقه...

ثانياً : أنهم تورطوا بوعدهم في المشاركة في الحكم سوية بعد انهيار الأنظمة الحالية أو صرحوا بحق الجميع بالمشاركة.. المشاركة في أجواء ما سمي بالديموقراطية.. والحريات السياسية.. الخ.. مما لا يجيزه الإسلام. ولئن كان قد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم

أنه تحالف مع مشركين أو أهل كتاب –وليس مرتدين– في ظروف خاصة، فإنه لم يرد عنه إطلاقاً أنه قبل أن يكون أحد من هؤلاء الحلفاء شريك معه في حكم مستقبلي، بل ورد الدليل على رفضه هذا الأمر، ولا يكون الحكم من وجهة النظر الإسلامية إلا لله ممثلاً بقيام الجماعة الإسلامية عليه لتحم بما أنزل الله، ولتقطع دابر كل أشكال الكفر الذي تعد مبادئهم أحد أشكاله.

ثالثاً: أنهم اعترفوا بهذه الأحزاب والهياكل بتحالفهم معهم وأعطوها شرعية الوجود من وجهة نظر الإسلاميين .. بل لقد تورطوا أحياناً بالثناء عليهم واعتبارهم مسلمين رغم طروحاتهم المرتدة كما جاء في تصريحات بعض الزعماء الإسلاميين.

رابعاً: أنهم خسروا كثيراً من القواعد الإسلامية التي تربت على أفكار التمايز والمفاصلة والولاء الواضح، لما رأت هذه القواعد أن قيادتها قد انحرفت عن الجادة.. وبذلك فقد ساهمت هذه القيادات في تصدع الصف الإسلامي تصدعاً خطيراً... واستبدلت بالصديق –إن جاز التعبير– أبناء الدعوة البررة.

إن هذا الخطأ الجسيم الذي وقعت به بعض الحركات الإسلامية هو ماكان يوده هؤلاء الأعداء –الأصدقاء المرحليون– ولقد عبر القرآن الكريم عن هذا عندما قال تعالى: "ودّوا لو تدهن فيدهنون".

أما ديننا الحنيف فقد علمنا أن المؤمنين أولياء بعض وحلفاء بعض وأن الكافرين أولياء بعض وحلفاء بعض فقد قال تعالى: "إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض".. وقال تعالى: "والذين كفروا بعضهم أولياء بعض" الأنفال. وأن لا ودّ بين هؤلاء وهؤلاء ولا ولاء... فيقول "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصاري أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين" المائدة.

وقال الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليهم سلطاناً مبيناً".

وقال تعالى: "فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون".هود. وقال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين".

وغير هذا من آيات الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم في هذا السياق كثير، وقد نبهنا الله تعالى ملغياً أحد أكثر الأعذار وروداً وهو خشية الدائرة والاستضعاف، فقال: "فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين".

هذا ناهيك عن أن هذا الحلف قد أدى إلى أن يُطيع الإسلاميون الجاهليين في أكثر من بعض الأمر.. لقد تنازلوا لهم بموجب هذه الأحلاف عن الكثير، والله سبحانه وتعالى يقول: "إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم". إن هذه الطاعة في بعض الأمر عمل وعد به المنافقون (يهود) الذين كرهوا ما أنزل الله وهي عمل لا يليق بالمؤمنين الصادقين المتميزين براية ومبدأ وهدف سام، فليحذر إخوتنا المؤمنون، ماذا يقولون؟ وبماذا يعتذرون؟ وقد قال تعالى منبهاً: "واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك".

يقول الشهيد المعلم سيد قطب رحمه الله في هذا السياق "لقد كمل هذا الدين، وتمت به نعمة الله على المسلمين، ورضيه الله لهم منهج حياة للناس أجمعين، ولم يعد هنالك من سبيل لتعديل شيء فيه أو تبديله، ولا لترك شيء من حكمهم إلى حكم آخر، ولا لشيء من شريعته إلى شريعة أخرى، وقد علم الله حين رضيه للناس أنه يسع حياة الناس جميعاً إلى يوم الدين.. وأي تعديل في المنهج –ودعك من العدول عنه– هو إنكار لهذا المعلوم من الدين بالضرورة يخرج صاحبه من الدين. ولو قال ألف مرة باللسان أنه من المسلمين. وماذا يكون الكفر إن لم يكن هذا وذاك؟ وما قيمة دعوى الإيمان بالله والإسلام باللسان، والعمل –وهو أقوى

تعبيراً من الكلام ينطق بالكفر أفصح من اللسان.. لقد علم أن معاذير كثيرة يمكن أن تقوم وأن يبرر بها العدول عن شيء مما أنزل الله، واتباع المحكومين للحاكمين وأن هواجس قد تتسرب في ضرورة الحكم بما أنزل الله كله بلا عدول عن شيء فيه، في بعض الملابسات والظروف، فحذر النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآيات من اتباع أهواء المتحاكمين ومن فتنهم له عن بعض ما أنزل الله إليه.. "فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق". وأول هذه الهواجس: الرغبة البشرية الخفية في تأليف القلوب بين الطوائف المتعددة والاتجاهات والعقائد المتجمعة في بلد واحد، ومسايرة بعض رغباتهم عندما تصطدم ببعض أحكام الشريعة والميل إلى التساهل في الأمور الطفيفة أو التي يبدو أنها ليست من أساسيات الشريعة..

وهل يجرؤ إنسان أن يقول: إن الله سبحانه وهو يشرع شريعته ويرسل رسوله الأخير ويجعل رسوله خاتم النبيين، ويجعل رسالته خاتمة الرسالات، ويجعل شريعته شريعة الأبد.. كان الله يجهل أن أحوالاً ستطرأ وأن حاجات ستتجدد كانت خافية عليه حتى انكشفت للناس في آخر الزمان.. ما الذي يستطيع أن يقوله.. وبخاصة إذا كان يدعي أنه من المسلمين؟ الظروف؟ الملابسات؟ عدم رغبة الناس؟ الخوف من الأعداء؟ ألم يكن هذا كله في علم الله وهو يأمر المسلين أن يقيموا بينهم شريعته وأن يسيروا على منهجه وألا يفتنوا عن بعض ما أنزله؟ قصور شريعة الله عن استيعاب الحاجات الطارئة والأوضاع المتجددة والأحوال المتقلبة ألم يكن ذلك في علم الله؟ وهو يشدد هذا التشديد ويحذر هذا التحذير؟ يستطيع غير المسلم أن يقول ما يشاء.. ولكن المسلم.. أو من يدّعوة الإسلام ما الذي يقولونه من هذا كله ثم يبقون على شيء من الإسلام ويبقى لهم شيء من الإسلام.. إنه مفرق الطريق الذي لا جدوى فيه من الاختيار ولا فائدة من المما حكة عنده ولاجدال إما الإسلام وإما الجاهلية .. إما إيمان وإما كفر.. إما حكم الله وإما حكم الجاهلية.. (طريق الدعوة في ظلال القرآ، ج2ص159 وما بعدها).

ويقول رحمه الله.. (وقبل كل شيء وبعد كل شيء.. الذين ينكرون حاكمية الله المطلقة في حياة الناس، الواقعية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتشريعية.. ويقولون إن للبشر أن يزاولوا هذا الاختصاص من دون التقيد بشريعة الله –أولئك جميعاً يتخذون دينهم هزواً ولعباً، يأمره ربه بمفاصلتهم ومقاطعتهم إلا للذكرى (...)وينهى الله عز وجل المؤمن أن يجعل ناساً هم دونه في الحقيقة والمنهج.. موضع ثقة واستشارة، ومرة بعد مرة تصفعنا التجارب المرّة ولكننا لا نفيق.. ومرة بعد مرة نكشف عن المكيدة والمؤامرة بلبس أزياء مختلفة ولكننا لا نعتبر ومرة بعد مرة تنفلت ألسنتهم فتنم عن أحقادهم.. مع ذلك نعود فنفتح لهم صدورنا، ونتخذ منهم رفقاء الحياة والطريق، وتبلغ بنا المجاملة، أو تبلغ بنا الهزيمة الروحية أن نجاملهم في عقيدتنا فنتحاشى ذكرها وفي منهج حياتنا فلا نقيمه على أساس الإسلام، في تزوير تاريخنا وطمس معالمه كي نتقي فيه ذكر أي صدام كان بين أسلافنا وهؤلاء الأعداء المتربصين (طريق الدعوة في ظلال القرآن ج1 ص69).

ويقول رحمه الله: ..(ولعله يثار سؤال: أليست مصلحة البشر هي التي يجب أن تصوغ واقعهم؟.. ومرة أخرى نرجع إلى السؤال الذي يطرحه الإسلام ويجيب عليه: –أأنتم أعلم أم الله – ؟ والله يعلم وأنتم لا تعلمون. إن مصلحة البشر متضمنة في شرع الله كما أنزله الله وكما بلغه عنه رسول الله.. فإذا بدا لبشر ذات يوم أن مصلحتهم في مخالفة ما شرعه الله لهم فهم أولاً واهمون فيما بدا لهم "إن يتبعون إلا الظن وماتهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى"، "أم للإنسان ما تمنّى؟ فلله الآخرة والأولى" وهم ثانياً: كافرون .. فما يدعي أحد أن المصلحةفيما يراه هو مخالفاً لما شرع الله، ثم يبقى لحظة واحدة على هذا الدين ومن أهل هذا الدين) (طريق الدعوة في ظلال القرآن. ج1 ص56). وانظر إليه ختاماً وهو يقول: (هذا هو الطريق، الصبر والتقوى، التماسك والاعتصام بحبل الله، وما استمسك المسلمون في تاريخهم كله بعروة الله وحدها وحققوا منهج الله في حياتهم كلها إلا عزّوا وانتصروا ووقاهم الله كيد أعدائهم وكانت كلمتهم هي العليا.. وما استمسك المسلمون في تاريخهم كله بعروة أعداء الدين والتمسوا إلى

مشورتهم واتخذوا من دونهم بطانة وأصدقاء وأعواناً ومستشارين إلا كتب الله عليهم الهزيمة وأذل رقابهم، فمن عمي عن سنة الله المشهودة في الأرض فلن ترى عيناه إلا آيات الذلة والانكسار والهوان..)اه . رحمك الله يا سيد..

وخلاصة قولنا في هذه القضية أنه لا لقاء بين المجاهدين المؤمنين الصابرين الحقيقيين وبين أولئك الجاهليين الذين تعددت مشاربهم ومنطلقاتهم من شرقية وغربية ووطنية وقومية..إلى آخر قائمتهم الجاهلية.. إنه مفرق الطريق وإنها الفاصلة التامة ومن هذا البيان يجب أن نعرف موقعنا ونُعرِّفهم قدرهم .. لا حلف ولا ولاء ولا تفاهم على حكومات ممسوخة من جاهلية وإسلا.. أما أن تكون استعانة في ظرف ما بشروط شرعية فهذا بحث آخر قنن له الفقهاء وبوّبوا، وهو معروف محدد، وهذا في حدود الاستعانة أما المشاركة.. أما الولاء.. أما التناصر.. فهذا ليس من شأننا ولا من روحنا.. ولا نرى فيه أي عذر شرعي من ضرورة أو سواها.. فليحذر كل مسلم لنفسه.. وليعرف موقعه من دين الله.

سيتهمنا البعض بعدم الوطنية –وليكن– فما هي الوطنية؟ وما هو الوطن؟ وما هي حدوده بالنسبة للمسلم؟ أسئلة يجب أن يجاب عليها. المسلمون أمة واحدة من دون الناس بنص القرآن والسنة، بصرف النظر عن عرق أو لون أو أرض.. وأرض الإسلام هي وطن المسلمين ولها إخلاصه. أما أن يكون المفهوم على طريقة سياج الحظائر.. وأن يكون الوطن هو ما ضمته أسلاك اتفاقيات المحتلين وشكلت لنا به حدوداً، فليس من أمرنا وليس له عندنا أي قيمة.

وولاءنا لله ورسوله وللمؤمنين، وشعورنا بالوطنية هو لأرض الإسلام التي تضمنا على امتداد رقعتها، ومهما كان حالها وبعدها، وهذا ما يفرضه علينا دين الله الحنيف وشرعه القويم.

القضية الفلسطينية

تعتبر مشكلة فلسطين من أعقد المشاكل المستعصية عالمياً، وهي بالنسبة للمسلمين قضية دين وأرض وشعب مسلم وقع تحت سطوة يهود، وعلى مسلمي فلسطين ومن جاورهم والمسلمين جميعاً أن يعملوا على استنقاذ هذه البقعة المباركة الإسلامية المقدسة، والعمل على نصرة إخوة في الدين راحوا ضحية مؤامرات عالمية وخيانات عربية كثيرة. أما العرب فيقال إنها قضيتهم الأولى، هكذا تردد وسائل إعلام الأنظمة العربية على اختلاف مشاربها وهي في الحقيقة الأمر مادة للمتاجرة بالشعوب العربية عامة لتثبيت أركان تلك الأنظمة وإلهائهابقضية مصيرية وهمية، وللمتاجرة بالشعب الفلسطيني الضائع خاصة. ذلك الشعب الذي أضاع كثير من أبنائه الأرض، ثم ثنوا بالدين وبالمبادئ وفرطوا بالواجبات. وليست المشكلة كما يحاول أن يوهمنا المغرضون مشكلة أرض تدعى فلسطين اغتصبها شعب لا أرض له من شعبها وشرّدهم.. فحقيقة الصراع هو الصراع بين الإسلام واليهود.. نعم صراع مع يهود الذين يزعمون أنها أرض الميعاد، وأن حقوقهم في دولة تمتد من النيل إلى الفرات حقوقاً إلهية مقدسة، حتى نقشوا ذلك على جدران الكنيست الصهيوني الذي يحكمون منه ويديرون هذه المؤامرات سعياً للاستعلاء وسعياً لإذلال كامل أفراد الجنس البشري واستعبادهم، تحقيقاً لتصوراتهم الدينية المنحرفة من أن الله خلق كل الناس ومن يسمون عندهم (الجويم) لخدمة شعب الله المختار، وهو الشعب اليهودي في تصورهم. صراع بين هؤلاء اليهود المنحرفين وبين الإسلام والمسلمين الذين سرقت منهم أرض مقدسة. وطرد منها شعب مسلم من إخوانهم، ونهبت أمواله واستبيحت حرماته، ووقع على كاهلهم نصرة إخوانهم في الدين.. فليست المشكلة الفلسطينية في نظر المسلمين مشكلة فلسطينيين وليست مشكلة عربية.. إنما هي مشكلة إسلامية ولن يكون حلها إلا إسلامياً.. إلا إسلامياً صرفاً وفقط.. ولقد كان أمام الأطراق كلها متسع من الوقت لتجرب الحلول بأنواعها.. قرابة نصف قرن من

الزمان مرّ وجُربت كل الطروحات من وطنية وأممية وقومية وشيطانية. ولقد ضُلل المسلمون وخاصة الفلسطينيين أنفسهم وجروا وراء أنواع من الحلول لاسيما القومية منها. وجربوا الاعتماد على الأصدقاء والمزيفين من إشتراكيين وشيوعيين وعدم منحازين.. إلى آخر تلك القائمة السقيمة.

ولم يبق من أخ عربي مزعوم ولا صديق حميم موهوم إلا وتلوثت يداه بصورة مباشرة أو غير مباشرة بدماء أبناء فلسطين، فكفى زيفاً وكفى ضياعاً.. لقد آن الأوان ومنذ وقت طويل، كي يستيقظ المسلمون وفي مقدمتهم أبناء فلسطين ويدركوا طبيعة الصراع وجو المعركة وهوية الأعداء. ويكون موقف ويكون مبدأ وتكون راية. راية إسلامية يرضى عنها الله ورسوله والمؤمنون.. ليحين نصر الله.. فلن تحل مشكلة إسلامية برايات جاهلية مارقة ما أنزل الله بها من سلطان. ولن تفيد القضية هذه القائمة الطويلة من الهلكى الذين يحسبون أنفسهم ويحسبهم الواهمون شهداء. .وهم مجرد هلكى تحت رايات جاهلية شتى إلا من رحم ربي.. فالشهيد كما قال صلى الله عليه وسلم: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا.. وهالك من وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث آخر بقوله: (من قاتل تحت راية عمية يدعو عصبية وينصر عصبية فمات ميتة جاهلية) أو كما قال صلى الله عليه وسلم. هذا في حق من قاتل تحت راية معماة لا يدري كنهها، فكيف بمن يقاتل تحت راية شيوعية أو اشتراكية أو علمانية أو قومية أو وطنية وهو عارف بطبيعتها.. لا شك أنه أهلك من سابقيه وأين منه الشهادة الحقة.. إن هو إلا شهيد رايته.

نظرة سريعة في التاريخ:

تبلورت المشكلة بشكل كامل عندما قرر المؤتمرون الصهاينة في عام 1897 في مدينة بال في سويسرا أن يعملوا على اتخاذ فلسطين وطناً قومياً لليهود..

ولقد حاول اليهود فيما بعد أن يحصلوا على موطئ قدم فيها عن طريق إغراء الخليفة العثماني السلطان عبد الحميد رحمه الله ففشلوا، فكان لا بد لهم من إزالة الخلافة على طريق ابتلاع فلسطين.. وهذا ماخطط له اليهود ونفذوه.. ويحصل اليهود في عام 1917 على وعد من المجرم المحتل (بلفور) بالعمل على جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود حيث كانت فلسطين محتلة من قبل الانكليز، وتتالت الهجرات الصهيونية.. وحاول اليهود تملك الأراضي بأي وسيلة كانت حتى بلغت أوج ملكيتهم للأراضي في عام 1946 نحو 1624000 هكتار فقط أي ما يعادل 7% من أرض فلسطين حسب الإحصائيات المعتمدة..

محاولات جهادية مخلصة عديدة قامت على أيدي مسلمي فلسطين، أشهرها ثورة القسام رحمه الله 1936، وتدخل الزعماء العرب الخونة لإفشال تلك الأعمال وتهدئة الأوضاع معتمدين على وعود بريطانية الصديقة..

وتنشب حرب فلسطين الأولى عام 1948 وتدخل الجيوش العربية السبعة لقتال شرذمة قليلة من اليهود.. ويبرز الدور الخياني الواضح للزعماء العرب الأذناب، ويستبعد المجاهدون المسلمون المخلصون الذين دخلوا فلسطين من الشمال والجنوب لنصرة إخوانهم. وفي خطوات خيانية عربية أخرى ينجلي الموقف عن ميلاد دولة إسرائيل ويتسابق الشرق والغرب للاعتراف بهذه الدولة الوليدة.

وتدخل القضية دهاليز المتاجرة والخيانات العربية حتى تسفر حرب 1967 عن احتلال كامل لفلسطين وسقوط القدس واحتلال أجزاءٍ أخرى من الأراضي المجاورة لها..

وتعود الروح الجهادية عند الشباب الفلسطيني وتتشكل المنظمات الفلسطينية ومرة أخرى تكون هذه المنظمات هدفاً للإفساد والعلمنة والانحراف المبدئي عن الخط الإسلامي، وتتشرذم في جماعات شتى تختلف فيما بينها وتجتمع على نبذ الراية الإسلامية..

وبرغم الضعف والشرذمة التي كانت تعاني منها المنظمات تتعرض في أيلول 1970 الأسود للمذابح الجماعية في الأردن، حيث راح ضحية هذه المذابح أكثر من عشرين ألف قتيل فلسطيني، وهو أضعاف ما كانت إسرائيل قد قتلته من أبناء فلسطين.. ويتشرد الفلسطينيون مرة أخرى —ومرة أخرى في لبنان يتعرضون للذبح على أيدي النصيريين البعثيين في سوريا بقيادة الخائن الكافر أسد.. وتجاوز ضحايا مخيم تل الزعتر الخمسين ألف فلسطيني، كانت القنابل والصواريخ تنهال عليهم بتعاون إسرائيلي سوري.. ومرة ثالثة ورابعة يقتل الفلسطينيون في بيروت في 1982 ويخرجون بسلاح اليهود وتآمر النظام النصيري الذي كان دور جيشه السوري مخزياً.. ومرة أخرى يقتل الفلسطينيون في طرابلس ويطردون منها بسلاح سوري ليبي فلسطيني هذه المرة.. وتتشرذم المنظمة في دول شتى.. وتدخل وهي صاغرة دهاليز المفاوضات والسياسات المتخاذلة والخطط الاستسلامية في جو من التشرذم الفلسطيني لم يسبق له مثيل.. حيث تقطعوا أمرهم بينهم كل حزب بما لديهم فرحون.. في وقت ولغت منظمة أمل الشيعية بدعم إيراني سوري نصيري في دماء سكان المخيمات الفلسطينية وراحت تمارس عليهم أبشع عمليات التجويع والحصار تحت سمع كل العالم وبصره. كل هذا حصل في أجواء استسلامية عربية مخزية، تجلت في صلح المصريين المنفصل على يد الهالك السادات، ومهادنة الأنظمة المجاورة الأخرى وعمالتها بشكل أو بآخر، وخذلان الأصدقاء المزعومين من اشتراكيين وشيوعيين وسواهم.. فإلى متى ؟ ؟ ! أما آن للشباب الفلسطيني المسلم أن يوحد جهوده تحت راية إسلامية نظيفة .. راية تستأهل نصر الله تعالى.. أما كفاهم شتاتاً وضياعاً وجهوداً قد جعلها الله هباء منثوراً ؟ . أما كفاهم ارتماءاً في أحضان سفاحيهم؟.

وخلاصة قولنا .. إن مشكلة فلسطين المقدسة السليبة مشكلة إسلامية بحتة وما هي بمشكلة العرب وحدهم .. وليس من حق كائن من كان أن يساوم عليها ويفاوض لأنها ليست ملك أحد فهي من شمالها إلى جنوبها.. بقدسها الشريف.. أرض إسلامية.. تنتظر المخلّص الإسلامي المجاهد. وهذا واجب كل مسلم وهو في حق مسلمي فلسطين ثم من جاورهم أوجب.. وقد آن الأوان منذ زمن بعيد ولدينا من فشل كل تلك الطروحات أكبر برهان.

آن الأوان لتبني الطرح الإسلامي، وحان أن يعي القائمون على منظمة التحرير هذا.. ولينبذوا كل تلك الطروح القومية والوطنية والاشتراكية والشيوعية والعلمانية وسواها من رايات الفشل والشتات ويتخذوا راية الإسلام شعاراً بتوحيد الجهد والجهاد ولا يخشوا في الله لومة لائم. والأمر لله والأرض يورثها من يشاء من عباده. وإن هم إلا عبيد من عباد الله كلفهم واجب الجهاد وعليهم القيام به.. ولا بد أن قوماً منهم سيقولون كما وصف الله تعالى: "فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة" ونجيبهم بما أكمل الله به الآية "فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا نادمين". المائدة 52.

إما أن يفهم قادة المنظمة هذا الأمر ويقودوا الانقلاب الإسلامي في الطرح والراية ويوحدوا جهود الشباب المؤمن المتعطش للجهاد تحت راية إسلامية نظيفة.. وإما أن الشباب المسلم المؤمن المجاهد لا بد وأنه موجد بلا شك بديلاً إسلامياً لهذه الحلول الجاهلية الفاشلة وهي سنة من سنن الله حيث وضعها بقوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم.. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم" [1] .

وقوله: "وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم".

---

[1] أثناء نسخ هذه السطور (1988). كانت الانتفاضة الإسلامية الفلسطينية قد بدأت بتميز إسلامي مباشر. فلعلها بداية الأمل والله الموفق. وأثناء طباعة الطبعة الأولى (1991) يكون قد مر عليها نحو أربع سنوات وقد أضفنا فقرة كاملة في الجزء الملحق (الرابع) حول الانتفاضة وقضية فلسطين. وما جدّ فيها خلال هذا الوقت.

قضية القومية العربية

ظهرت فكرة القومية العربية آخر أيام الخلافة العثمانية وتبلورت بعد ما سمي بالثورة العربية الكبرى، ثم تحولت شيئاً فشيئاً على أيدي الأحزاب القومية التي انتشرت في طول البلاد العربية وعرضها إلى إيديولوجية ذات أبعاد راسخة وطروح متمايزة. فبرزت طروحات الوحدة العربية والعمل من خلال الإطار العربي –نظرياً طبعاً– ورغم أنها أثبتت فشلها عملياً ومنطقياً وانحصرت في الزاوية النظرية البحتة عند بعض الأحزاب والتجمعات، إلا أن كثيراً من المخدوعين مازالوا يرفعونها شعاراً ويطرحونها كإطار عمل.. أو كبضاعة للمتاجرة بآمال الشعوب المهزومة. وتكفي حال التجزئة والتناحر بين الدول العربية، ويكفي مشاكل لبنان ومشاكل الصحراء المغربية وغيرها من المشاكل العربية –العربية[1].. تكفي لكي تثبت أنه لم ولن تكون القومية العربية إطاراً يحقق الوحدة، لأنها بناء قائم على جرف هار ودعوة لا أساس لها، وما لها من الله سلطان ولا نصير. في حين أثبت الإسلام أنه كطرح توحيدي فضلاً عن كونه ديناً أثبت صلاحية لتوحيد شعوب مترامية المسكن مختلفة الأجناس في بوتقة واحدةو وصقلهم وجعل حضارة حكمت الشرق والغرب تقوم على أيديهم.. وحقق لها شعور الانتماء الواحد أكثر من الذي يشعر به أبناء البلد الواحد.

فما موقع هذه القضية قضية القومية العربية في جدول الطرح الإسلامي وما مفهومنا عنها.. يقول الله تعالى: "إنما المؤمنون إخوة" الحجرات (10)، ويقول تعالى: "وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون"، ويقول جل جلاله: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم" الحجرات 13 ويقول: "واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً" آل عمران 103.

ويقول صلى الله عليه وسلم: (الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى) ويقول: (إن الله قد أذهب بالإسلام نخوة الجاهلية وتفاخرهم بآبائهم لأن الناس من آدم وآدم من تراب وأكرمهم عند الله أتقاهم).

فرابطة الانتماء والأخوة في الإسلام هي رابطة الإيمان وهي أمتن القرابة وأصل الترابط، وهذا أصل وركيزة في الطرح الإسلامي وهذا ما عبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيفة الدستورية الأولى في الدولة الإسلامية عندما دخل المدينة وكتب فيها الميثاق الذي يحدد العلاقة بين دولة الإسلام الناشئة ومن يساكنهم من اليهود ومن حولهم من المشركين عندما جعل المسلمين أمة واحدة من دون الناس وحدد العلاقة بالآخرين بناء على هذا المنطلق..

وأخبرنا القرآن الكريم أن رابطة البنوة فصمت بين نوح وابنه عندما انعدمت رابطة الإيمان، كذلك رابطة الأبوة بين إبراهيم وأبيه، فُصمت لما انعدمت رابطة العقيدة.. كذلك لم تنفع أبا لهب وهو العربي القرشي السيد عم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رابطة النسب والقوم وكان من الهالكين لكفره، في حين كان بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي من خيرة أبناء هذه الأمة، حتى أن القرابة بلغت أن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سلمان منّا آل البيت) وهذا ما كان على مر التاريخ الإسلامي.. فقد ضمت دائرة الإسلام العرب والفرس والأكراد والترك والبربر والهنود والصين والأفارقة وغيرهم.. وجعلت منهم أمة واحدة من دون الناس كما قال صلى الله عليه وسلم. فكان لهم التاريخ الواحد، والمآثر الواحدة، والأفراح والأعياد الواحدة، ولغة الدين الواحدة التي لم تمنع أن تكون لكل شعب لغته وأصالته، بل لقد حافظ لهم الإسلام عليها ولم تندثر.. فالعلاقة بين الإسلام والمسلمين والشعوب الداخلة في الإسلام ليست علاقة استعمار وتذويب.. بل علاقة هداية وتكريم وتوحيد في بوتقة واحدة، ولقد

---

[1] وأخيراً جاءتنا أحداث غزو الكويت وانشطار العالم العربي تيارات وأهواء تسقط ما تبقى لفكرة القومية من رصيد.

دافع الإسلام عن الوطن الإسلامي بأن ضم جهود المسلمين في بوتقة واحدة، وجعلها منطلق العمل الإسلامي في الشرق من هجمات التتار كما حماه من هجمات الصليبيين على السواء، ولو انتصر الصليبيون في الشرق كما انتصروا في الأندلس قديماً أو كما انتصر الصهيونيون في فلسطين حديثاً ما بقيت قومية عربية ولا جنس عربي ولا وطن عربي، والأندلس قديماً وفلسطين حديثاً كلاهما شاهد على أنه حين يطرد الإسلام من أرض، فإنه لا يبقى فيها لغة ولا قومية بعد اقتلاع الجذر الأصيل.
والمماليك الذين حموا هذه البقعة من التتار لم يكونوا من جنس العرب إنما كانوا امن جنس التتار، ولكنهم صمدوا في وجه بني جنسهم المهاجمين حميّة للإسلام لأنهم كانوا مسلمين، صمدوا بإيحاء من العقيدة الإسلامية، وبقيادة روحية إسلامية من الإمام المسلم (ابن تيمية) الذي قاد التعبئة الروحية وقاتل في مقدمة الصفوف، ولقد حمى صلاح الدين هذه البقعة من اندثار العروبة منها والعرب واللغة العربية، وهو كردي لا عربي.. ولكنه حفظ لها عروبتها ولغتها حين حفظ لها إسلامها من غارة الصليبيين، وكان الإسلام في ضميره هو الذي كافح الصليبيين كما كان الإسلام في ضمير بيبرس والمظفر قطز، والملك الناصر هو الذي كافح التتار المتبربرين والإسلام هو الذي كافح في الجزائر مئة وخمسين عاماً، وهو الذي استبقى أرومة العروبة فيها بعد أن تحطمت مقاومتها المتمثلة في اللغة والثقافة حينما اعتبرت فرنسا اللغة العربية في الجزائر لغة أجنبية محظوراً تعليمها. هنالك قام الإسلام – وحده– في الضمير يكافح الغزاة ويستعلي عليهم ولا ينحني رأسه لهم لأنهم أعداؤه الصليبيون، وبهذا وحده بقيت روح المقاومة في الجزائر، حتى أزكتها من جديد الحركة الإسلامية التي قام بها عبد الحميد بن باديس، فأضاعت شعلتها من جديد.. وهذه الحقيقة التي يحاول طمسها المغفلون المضللون يعرفها الفرنسيون والصليبيون، فهم على يقين أن "الإسلام" باستعلاء روحه على أعدائه هو الذي يقف في طريقهم في الجزائر ومن ثم يعلنونها حرباً على المسلمين.. لا على العرب ولا على الجزائريين.
والإسلام هو الذي هب في السودان في ثورة المهدي الكبير على الاحتلال البريطاني للقسم الشمالي من الوادي (مصر) ثم القسم الجنوبي (السودان) ومراجعة إعلانات (المهدي) الكبير ورسائل "عثمان دقنة" لكتشنر وكرومر وتوفيق تشهد بحيوية هذا الباعث الأصيل.. والإسلام هو الذي كافح في برقة وطرابلس ضد الغزو الإيطالي.. وفي أربطة السنوسية وزواياها نمت بذرة المقاومة، ومنها انبثق جهاد عمر المختار الباسل النبيل، وأول انتفاضة في مراكش كانت منبعثة من الروح الإسلامي، وكان "الظهير البربري" الذي ؟؟؟ الفرنسيون سنة 1931 وأرادوا به رد قبائل البربر هناك إلى الوثنية وفصلهم عن الشريعة الإسلامية. هو الشرارة التي ألهبت كفاح مراكش ضد الفرنسيين.. "اهـ. المستقبل لهذا الدين.
فالتصور الإسلامي لقضية الانتماء ليس أمراً اختيارياً ولا مكاناً لاجتهاد مجتهد وتفسير متفلسف.. إنه رباني على وجه الإلزام "وإن أمتكم هذه أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون". ولمزيد من الوضوح فيه نقتطف كلمات من تراث سيد رحمه الله –يقول: (إن الوشيجة التي يجتمع عليها الناس في هذا الدين وشيجة فريدة تتميز بها طبيعة هذا الدين وتتعلق بآفاق وآماد وأهداف يختص بها المنهج الرباني الكريم. إن هذه الوشيجة ليست وشيجة الدم والنسب وليست وشيجة الأرض والوطن وليست وشيجة القوم والعشيرة وليست وشيجة اللون واللغة وليست وشيجة الجنس والعنصر. وليست وشيجة الحرفة والطبقة.. إن هذه الوشائج جميعها قد توجد ثم تنقطع العلاقة بين الفرد والفرد كما قال سبحانه وتعالى لعبده نوح عليه السلام وهو يقول "رب إن ابني من أهلي".. "يا نوح إنه ليس من أهلك".
وهذا المعلم الواضح البارز على مفرق الطريق بين نظرة هذا الدين إلى الوشائج والروابط، وبين نظرات الجاهلية المتفرقة. إن الجاهليات تجعل الرابطة آناً هي الدم والنسب، وآناً هي الأرض والوطن، وآناً هي القوم والعشيرة، وآناً هي اللون واللغة، وآناً هي الجنس والعنصر، وآناً هي الحرفة والطبقة، وتجعلها آناً هي المصالح المشتركة والتاريخ المشترك أو المصير المشترك.. وكلها تصورات

جاهلية على تفرقها أو تجمعها —تخالف مخالفة أصيلة عميقة عن أصل التصور الإسلامي) اهـ.ثم يضيف في مكان آخر: (وهكذا تقررت تلك القاعدة الأصلية الحاكمة في علاقات المجتمع الإسلامي وفي طبيعة بنائه وتكوينه العضوي الذي يتميز به عن سائر المجتمعات الجاهلية قديماً وحديثاً إلى آخر الزمان ولم يعد هناك مجال للجمع بين الإسلاميين وبين إقامة المجتمع على أية قاعدة أخرى غير القاعدة التي اختارها الله للأمة المختارة، والذين يدعون صفة الإسلام ثم يقيمون مجتمعاتهم على قاعدة أو أكثر من تلك العلاقات الجاهلية التي أحل الإسلام محلها قاعدة العقيدة، إما أنهم لا يعرفون الإسلام وإما أنهم يرفضونه والإسلام في كلتا الحالتين لا يعترف لهم بتلك الصفة التي يدعونها لأنفسهم وهم لا يطبقونها، بل يختارون غيرها من مقومات الجاهلية فعلاً) اهـ.
ويقول: (ويحسن أن نذكر أن أعداء هذا الدين الذين يعرفون مواضع القوة في طبيعته وحركته وهم الذين يقول الله تعالى فيهم "الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم" لم يفتهم أن التجمع على أساس العقيدة سر من أسرار قوة هذا الدين وقوة المجتمع الإسلامي الذي يقوم على هذا الأساس، ولما كانوا بصدد هدم ذلك المجتمع أو إضعافه إلى الحد الذي يسهل عليه السيطرة عليه، شفاء ما في صدورهم من هذا الدين وأهله، ولاستغلال مقدراتهم وديارهم وأموالهم.. لما كانوا بصدد تلك المعركة مع هذا المجتمع لم يفتهم أن يوهنوا القاعدة التي يقوم عليها وأن يقيموا لأهله المجتمعين على إله واحد أصناماً تعبد من دون الله، اسمها تارة "الوطن" واسمها تارة أخرى "القوم" واسمها تارة أخرى "الجنس" وظهرت هذه الأصنام على مراحل التاريخ تارة باسم "الشعوبية" وتارة "باسم الجنسية الطورانية" وتارة باسم "القومية العربية"، وتارة بأسماء شتى تحملها جهات شتى تتصارع فيما بينها داخل المجتمع الإسلامي الواحد القائم على أساس العقيدة المنظم بأحكام الشريعة.. إلى أن وهنت القاعدة الأساسية تحت إطار العلمانية، وتحت الإيحاءات الخبيثة المسمومة وإلى أن أصبحت "الأصنام" مقدسات يُعتبر المنكِر لها خارجاً على دين قومه أو خائناً لمصالح بلده.
وأخبث المعسكرات التي عملت ومازالت تعمل في تخريب القاعدة الصلبة التي يقوم عليها التجمع الإسلامي الفريد في التاريخ.. كان هو المعسكر اليهودي الخبيث الذي جرب سلاح "القومية" في تحطيم التجمع المسيحي وتحويله إلى قوميات سياسية ذات كنائس قومية، وبذلك حطموا الحصار المسيحي حول الجنس اليهودي ثم ثنوا بتحطيم الحصار الإسلامي حول ذلك الجنس الكنود.. الخ) اهـ. ثم يضيف رحمه الله: (وما كان الإسلام ليخلص الناس من الأصنام الحجرية والأرباب الأسطورية، ثم يرضى لهم بعد ذلك أصنام الجنسيات والقوميات والأوطان.. وما إليها.. يتقاتل الناس تحت راياتها وشعاراتها، وهو يدعوهم إلى الله وحده وإلى الربوبية له دون شيء من خلقه، لذلك قسم الإسلام الناس إلى أمتين اثنتين على مرار التاريخ البشري أمة المسلمين من أتباع الرسل —كل في زمانه حتى يأتي الرسول الأخير إلى الناس كافة– وأمة غير المسلمين من عبدة الطواغيت والأصنام في شتى الصور والأشكال على مدار القرون..
وعندما أراد الله أن يعرف المسلمين بأمتهم التي تجمعهم على مدار القرون عرفها لهم في صورة أتباع الرسل —كل في زمان– وقال لهم في نهاية استعراض أجيال هذه الأمة "وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون" ولم يقل للعرب، إن أمتكم هي الأمة العربية في جاهليتها وإسلامها سواء، ولا قال لليهود إن أمتكم هي بنو إسرائيل أو العبرانيون في جاهليتهم وإسلامهم سواء ولا قال لسلمان الفارسي: إن أمتك هي فارس ولا لصهيب الرومي إن أمتك هي الرومان ولا لبلال الحبشي إن أمتك هي الحبشة إنما قال للمسلمين من العرب والفرس والروم والحبش إن أمتكم هي المسلمون الذين أسلموا حقاً على أيام موسى وهارون وإبراهيم ولوط وداود وسليمان وأيوب وإسماعيل وإدريس وذي الكفل وذي النون وزكريا ويحيى ومريم كما جاء في سورة الأنبياء (48-

91)) هذه هي أمة المسلمين أما نحن الذين أسلمنا لله فلا نعرف لنا أمة إلا الأمة التي عرفها لنا الله والله يقص الحق وهو خير الفاصلين.)

فخلاصة القول: أننا نؤمن إيماناً قاطعاً إن شاء الله.. أن المسلمين أمة واحدة من دون الناس على اختلاف أجناسهم وأقوالهم ولغاتهم، ورغم هذه الفرقة المصطنعة المرهونة بهذه الأوضاع التي خلّفها لنا أعداء الإسلام وأذيالهم.. وإن كل طرح إسلامي تغيري جذري يجب أن يضع نصب عينيه هذه العالمية الأممية التي هي من خصائص دين الله الذي ائتمننا عليه.. فحركة الفداء والجهاد العالمية المرتقبة ليست محصورة بجنس أو قوم.. عرب أو عجم إنها ستقوم إن شاء الله على أيدي مؤمنين مجاهدين.. أمة واحدة.. ركب لاحق بركب سالف.. موغل في القدم.. فالمسلمون أمة عريقة قديمة قدم الوجود الإنساني.. أما أن الله قد اختص العرب بحمل هذه الرسالة فقد أنزلها على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لحكمة يعلمها هو، وفَضْل هو صاحبه يؤتيه من يشاء.. فهذا لا يشرف العرب على غيرهم إلا بمقدار ما يؤدوه من هذه الأمانة. حيث تشرف كل من حملها معهم مهما كان جنسه سواء بسواء وقد نص على ذلك قرآن يتلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها عندما قال.. "وجعلكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم".. فهذه الأوثان التي رفعت في بلادنا لتشغلنا عن انتمائنا الأساسي.. من قومية عربية لقومية تركية لفرعونية.. إلى آخر هذه القائمة.. هي شعارات هزيلة ما لها من سلطان، فضلاً عن الفشل الذي أثبتته على صعيد الأمر الواقع والواقع المرير الذي خلفته..

ولا بد أن أنوفاً ستحمر وصدوراً ستضيق بهذا الكلام. وتهم عديدة ستقوم! أقلها النعت بالخيانة للقومية والرجعية والانبطاحية إلى آخر قائمة النعوت اللائقة بأصحابها! ولكن هذا كله لا يهم، فهذا أقل ما كلفنا به رب العزة جل وعلا بقوله مراراً لنبيه ولنا تعليماً "فاصدع بما تؤمر" نصدع بهذا ولا يهمنا شأن أناس هم بأوثانهم وأوهامهم أهون على الله من الجعلان..

قضية الجماعات الإسلامية والكتل الإسلامية [1]

كما بينا في الصفحات السالفة.. فالساحة الإسلامية اليوم مليئة بالطروحات والتصورات والايديولوجيات منها الجزئي ومنها الكلي، منها الميال للتربية ومنها الميال للسياسة ومنها الجهادية.. الخ وقد آل الأمر لحال أصبحت فيه تعددية العمل الإسلامي أمراً واقعاً لا مفر منه.

ومصيبة المصائب أنَّ هذا قد أفرز في أوساط كثيرة حالة من الحزبية العمياء والتناحر الفئوي.. ولم يخدم هذا إلا أعداء الإسلام. وإننا نجد من فهم واقع الأمر أنه لا مفر والحال هذه من التعددية لتباين السبل، بل ولا ضير منها إن أحسن فهم هذه الظاهرة ووجدت الصدور الرحاب.. إننا إن استطعنا أن نصل للحال التي يهتم بها كل فريق بتكامل بنيانه وتصحيح مساره وتبيان وجهة نظره والدفاع عنها بالحسنى والدليل الشرعي ومحاولة الأخذ والعطاء الإيجابي مع الكتل والحركات الأخرى وتجنب الدخول في منازعات إعلامية معلنة أو غير معلنة والتقليل من الحزبية بين القواعد وبين القيادات.. نكون قد وصلنا للمطلوب في ظرف كهذا الظرف.. أما أن نتصور ونحن نحلم مع الحالمين بتوحيد العمل الإسلامي حتى تشمله جماعة واحدة وطرح واحد في بلد واحد أو على مستوى بلاد متعددة، فهذا ضرب من التصور النظري لطبيعة الأشياء. فليخدم الإسلام كلٌ حسب تصوره.. ولابد أن التصور الصحيح والناضج سيفرض نفسه وسيثبت عملياً لا نظرياً أنه الأجدر باستلام راية الدعوة وعبر العمل لا الكلام.

[1] ثمة فقرة ملحة بهذا الموضوع تمّ وضعها أثناء إضافات الملحق (الفصل الرابع) وفيها أثبتنا آخر قناعاتنا في هذا الباب بعد ازدادت حدة التمايز في صفوف العمل الإسلامي. فتراجع هناك.

إنه لم يوقع الحركة الإسلامية بهذه التعددية إلا أنها تجتمع كلها على أنها تتبنى الكلام أكثر من العمل. وقد أثبتت تجربة متطورة كالتجربة السورية أن حرارة الجهاد وصدق الطرح القتالي قد وحد مجاهدين من صفوف شتى.. وأن العودة لمجالات الكلام عادت بهم لشرذمة أشد من سابقتها أيام السلم..

لقد طرح الشهيد البنا رحمه الله شعاره المعروف "لنعمل على مااتفقنا عليه وليعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه" وفهم نفر من الناس هذا الكلام على أنه يقضي ضم كل مسلم مهما كان طرحه ومهما كان خطُّ مساره تحت ظل جماعة واحدة، فيعملون على ما اتفقوا عليه وهو مجموعة من الشعارات والطروح ويعذر بعضهم بعضاً فيما اختلفوا فيه على إطلاق هذا المجال في الاختلاف، ودون التطرق لمدى الإعذار.. وأثبت هذا الشعار بهذا الفهم أنه خاطئ وفاشل فقد نتج عنه لفترة ما تواجد الناس فعلاً في جماعة واحدة، ولكن تبيان التصور، وتباعد الطرح، لم يكن ليتسع له المجال غير المحدود من الأعذار.. فحصلت حالات من المخاض ولدت حالات من الولادة الطبيعية وغير الطبيعية لجماعات شتى. ولكن في أجواء متوترة.. مما أفرز هذه الحالة المأسوية من التشرذم السلبي. وكان من الممكن أن يكون مقبولاً بدلاً منه حالة من التعددية الإيجابية.

ولكن يجب القول أن الشخصيات القيادية في كثير من الجماعات أزكت نار هذه الظاهرة وتحت دوافع قد تكون طيبة كالحرص، وقد تكون شريرة كالأهواء الشخصية والزعامة.

إننا لا نفهم شعار البنا على أنه ضرورة تجمع كل الإسلاميين في جماعة واحدة وتحت قيادة واحدة وضمن إطار عمل واحد. ولم ينص شعاره حتى على مثل هذا الفهم، وحتى لما قامت جماعته التي أسسها لم يدع جماعات أخرى كانت قائمة لتنضوي تحت رايته وضمن إطار جماعته.. بل ضم من آمن بأفكاره ومبادئه ونهج عمله بإطار واحد وأفهمهم أنه يجب التعاون على ما اتفقوا عليه من الأصول والأهداف والنهج ويعذر بعضهم بعضاً في خلافات قد تكون فقهية أو مذهبية أو سواها مما هو مقبول تواجده بين المسلمين الذين اتفقوا على فهم موحد وطريقة عمل مشتركة. أما على صعيد التعاون مع الجماعات الإسلامية الأخرى فكان كذلك ضمن هذا الفهم أن يعملوا للأصل العريض الذي هو العمل لعودة النهج الإسلامي والحكم الإسلامي والحياة الإسلامية ويعذر بعضهم بعضاً في الأساليب والتصورات ولا يدخلوا أجواء المهاترة والحرب الإعلامية الباردة وتجريح الشخصيات وتسفيه الآراء، ورغم ذلك لم ينج التجمع الذي أقامه البنا رحمه الله من شر هذه الآفة (الجمع والتقريب) فضم الصوفية إلى السلفية بل ذهب إلى الرغبة في ضم السنة إلى الرافضة المحترقة ولذلك لم يمض وقت عليه حتى بدت آثار المزيج تظهر شروخ التصدع.

إنه على أبناء التصور الواحد والطرح الواحد والمنهج الواحد أن يكونوا جماعة واحدة تحت قيادة واحدة، لأن هذا من طبائع الأشياء وسيؤول – إن توفر الإخلاص – نفر من الناس لهذه المواصفات وبشكل طبيعي لأن يكونوا جماعة لأن مخططهم واحد ومنهجهم الفكري واحد وتطبيقهم العملي واحد أما العلاقة بين الكتل الإسلامية المختلفة الأهداف المتباينة الأساليب، المتفرقة التصورات المتنوعة المراحل..فهي في أحسن أحوالها تعاون بناء تناصحاً وتعاوناً في الممكن، والأهم من ذلك كله عدم التعرض للتصادم على سبيل النقد والفضيحة بحجة النصح..

إلا أنه لا بد من الاعتراف أن العمل في الحركات الإسلامية لاسيما في البلد الواحد.. هو عمل في ساحة واحدة وفي سوق واحد.. ولا بد فيه من الاحتكاك ولا بد من التأثير والتأثر المباشر وغير المباشر.. ولا بد من الخلاف في التصورات حول مسألة واحدة تهم أبناء الوطن كلهم بشكل عام والإسلاميين على اختلاف جماعتهم بشكل خاص.. فإن عرض وجهة النظر والدفاع عنها والعمل لها والإعلام الإيجابي المحيط بها من قبل جماعة ما.. يقتضي التعرض للتصورات الأخرى حولها ونقدها نقداً بناء. ويبقى المفروض في هذا الأمر أن يكون النقد أخوياً وعلى الأقل شرعياً مقبولاً مدعوماً بالدليل.. وليس هذا بالتجريح كما يريد أن

يسميه البعض.. إنه حق لكل جماعة بكل ما للحق من معنى.. فالرأي المدعوم بالدليل ولاسيما الدليل الشرعي ثم العقلي والمنطقي هو مقياس الحكم على تصور ما.. إن في ساحة العمل الإسلامي اليوم أناس لا يفهمون الاختلاف بالرأي إلا على أنه انتقاص للآخرين، ولا يفهمون تخطئة وجهة نظر ما والإتيان بالدليل على خطئها إلا تجريحا وغيبة، تجريحاً يقتضي بالمقابل هنك كل أستار الأخوة وشرف الخلاف. إنه وطالما أنه ليس للمسلمين إمام واحد يفصل بالأمور، وإلى أن يقوم ذلك الإمام بجهود المجاهدين وعمل العاملين بإذن الله، لا بد وأن التصورات ستبقى خلافاً في بعض القضايا ودون حكم فصل إلا الدليل الشرعي ثم الضمير الحر لجماهير المسلمين.. وهذا هو الواقع الذي أكد أن تعددية العمل الإسلامي أمر لا مفر منه. وخلاصة قولنا في هذه القضية.. إن على المجاهدين العاملين على إقامة حكم الله في الأرض وعن طريق الأساليب المشروعة شرعاً مهما كانت هذه الأساليب ومهما كان موقف الأنظمة الوضعية منها — على هؤلاء المجاهدين المؤمنين المقتنعين بالعمل للإسلام والجهاد له قولاً وفعلاً، بأيديهم وبألسنتهم وبقلوبهم.. وعبر الجهاد الثوري المسلح بالقوة. أن يكونوا جماعة واحدة في البلد الواحد وجماعات متعاونة متناسقة العمل والأهداف والخطط في بلاد متعددة.. وأن يعملوا على مااتفقوا عليه وهو إزالة هذه الأوضاع والأنظمة المرتدة المارقة عن طريق الجهاد المسلح والعمل على الوصول للسوية المؤهلة للبدء الفعلي.. أن يعملوا على هذا الذي اتفقوا عليه بكل ما أوتوا من إخلاص وإمكانيات.. ثم يعذر بعضهم بعضاً فيما اشتجر من خلافات فقهية أو مذهبية لكل منهم فيها دليله الشرعي المعتمد مما عاش عليه المسلمون الأوائل طوال تاريخهم وهم جماعة واحدة مما أسماه العلماء خلاف التنوع وهو مقبول غير مذموم. وأن تكون علاقاتهم بالجماعات الإسلامية الأخرى علاقة حب وإخاء أولاً ودعاء بالنجاح والهداية وعليهم أن يتجنبوا التجريح والنقد الذي لا طائل تحته.. فإن اقتضى الحال التعرض لأمر مشترك ومشكلة عامة فبيان وجهة نظرهم المدعومة بالدليل ونقد بناء لوجهة نظر الآخرين مقرون بالدليل، كما أنه لا مهادنة بالأفكار والقضايا ولاسيما العقيدية منها ولا مناصفة عندما يكون مجال الاختلاف من نوع اختلاف التضاد وذلك عندما يجنح الآخرون إلى البدعة والضلال تحت اسم الاجتهاد والمصلحة كما بدأ يحصل هذه الأيام. ويبقى الأسلوب مجال خيار فقد قال تعالى: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة" وتبقى الأعمال خير بيان ومعرف بالعمل والعاملين قال تعالى: "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسولُه والمؤمنون أما الذين لا يرضيهم أن يخالفهم أحد ولا أن يشاركهم العمل للإسلام أحد والذين لا يفهمون النقد إلا تجريحاً، والخلاف في وجهة النظر إلا تفريقاً للأمة، ولا يرون الإشارة للأخطاء إلا تمزيقاً للصف، وخروجاً على الجماعة الأم كما يحلو لهم تصوير أنفسهم فسيعيشون وأخطاءهم ومشاكلهم تحت الغطاء تتعفن.. وسيكتشف المنصف منهم عندما يرى عمل العاملين وإخلاص المخلصين أنه كان مقصراً، وسيضمه ركب العاملين للإسلام بإخلاص إن شاء الله وسيبقى آخرون في أبراجهم العاجية يوزعون الألقاب والتهم على الآخرين ويراوحون مكانهم، فهذا مخلص وذاك مرجف والآخر شهيد... وستمر بهم القافلة المجاهدة مرور العابر وستخلفهم وراءها يلوكون الكلام ويسكرون بالأحلام..

إن من الضروري أن يفهم المجاهدون هذا الأمر. إن العمل هو بطاقة التعريف وهو ميزان العمل ومناط الحكم عليهم فليعملوا وليبينوا ولا يهمهم بعد هذا ما كان من أمر غيرهم .. فالله هو القصد وعليه المعتمد.

نسأله تعالى الإخلاص والعمل والقبول، وخاتمة بشهادة يرضاها ويجعلنا بها مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

"وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ"

صدق الله العظيم

عمر عبد الحكيم
1987/10/13

الفصل الرابع

ملحقات هامة تتعلق بالجزء الثاني من الكتاب

نسلط الضوء في هذا الملحق على أفكار هامة لها علاقة بمواضيع سبق أن بحثت في هذا الجزء من كتاب (الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا – الفكر والمنهج).

حيث أن تتابع الأحداث وتطور الفكر الجهادي لدينا بناء عليها خلال السنوات الأربع الماضية التي انقضت على كتابة الكتاب اقتضت هذه الإضافة.

وأهم هذه الأحداث:

1- انطلاق الانتفاضة الإسلامية المباركة في فلسطين والتطورات التي تبعتها وهو موضوع يتعلق بفقرة (القضية الفلسطينية – الفصل الثالث).

2- طغيان التيار الديمقراطي في العمل الإسلامي وانتقاله لمستوى خطير من التحالفات مع الأحزاب المرتدة والعلمانية، وكذلك دخول مجال مشاركة السلطات الحاكمة المرتدة في الحكم عبر البرلمانات والوزارات وهذا أمر سبق أن تحدثنا عنه عبر صفحات الكتاب الثاني، ولاسيما الفصل الثالث بفقرة (التعامل مع الجماعات الإسلامية غير المجاهدة).

3- حرب الخليج الأخيرة والحملة الصليبية اليهودية على جزيرة العرب وعقر دار الإسلام وما حوله وهذا أمر ينعكس على مسيرة العمل الجهادي وتصوراته ووجوده مباشرة بما اقتضى التنويه إليه كون الجزء الثاني من هذا الكتاب تصدى لبحث واقع العمل الإسلامي فكراً وتصوراً ومنهجاً ولذا اقتضى إعادة بحث هذا الأمر وهذه الإضافة.

وأرجو الله تعالى أن يكون في هذا الملحق تسجيل لخلاصة ما وصلنا إليه من الفكر والتصور بما يتعلق بمجالات البحث عسى أن نكون قد اقتربنا خطوة أخرى على طريق الوصول للحق بإذن الله وهو الهادي للصواب الموفق للسبيل القويم.

1- انطلاق الانتفاضة ورفرفة الراية الإسلامية مرة أخرى فوق قضية فلسطين:

ونحن ندون هذه السطور تكون الانتفاضة الإسلامية المباركة في فلسطين الشام قد دخلت شهرها الثالث والأربعين بفضل الله دون توقف.

جاءت هذه الانتفاضة المباركة بأشكالها المتعددة والتي ظهرت بشكل عمليات جهادية عسكرية منظمة، أو بشكل عمليات جهادية فردية يقوم بها أبناء المسلمين المجاهدين، كإلقاء الزجاجات الحارقة، وحرب السكاكين، بالإضافة للظاهرة العامة من العصيان المدني وموجات رشق سلطات الاحتلال اليهودي بالحجارة، أو موجات الإضراب وما إليها من أشكال المقاومة الشعبية.. جاءت لتؤكد أصالة البعد الإسلامي الخالص لهذه القضية التي تعرضت لأشرس أشكال التزوير وتغير الراية لتصويرها وكأنها صراع عربي إسرائيلي، أو فلسطيني وطني مع حكومة إسرائيل الصهيونية، أو أنها صراع أممي طبقي بين المواطن المضطهد المسحوق والامبريالية اليهودية كما أرادت تيارات الشيوعية واليسار الفلسطيني تصويره، إلى آخر هذه المؤامرات ومحاولات تزوير الهوية ومسخ القضية وإلباسها أي ثوب غير ثوبها الإسلامي الأصيل.

ولا نريد في هذه العجالة عرضاً تسجيلياً مسهباً لموضوع الانتفاضة فقد غدت من الأحداث المعروفة التي غطتها سائر وسائل الإعلام بشكل يغني عن الإسهاب. ولكني أحب أن ألقي الضوء على نقاط رئيسية بارزة قلما يلتفت إليها نظر المتابع العادي لهذه القضية الهامة.

وإيجازاً سأورد هذه المواضيع في نقاط رئيسية بارزة:

أولاً: مسلسل الذل والاستسلام:

شهدت السنوات القليلة الماضية وقاحة عجيبة من قبل حكام العرب تتناسب مع الانهيار الذي تمر به الشعوب الإسلامية والعربية عامة.. فقد أصبحت مشاريع الاستسلام والتنازلات المخزية التي يتولى كبرها حكام العرب المرتدون بالإضافة لقادة منظمة التحرير الفلسطينية العلمانية أفظع مما كانت عليه من قبل.. فقد استمرت حلقات (كامب ديفيد) وتتالت اللقاءات والعروض والمشاريع المقدمة من الإدارة الصهيونية عبر وجهها المقنع تارة بالولايات المتحدة، وتارة بالأمم المتحدة، وتارة بدول السوق الأوروبية المشتركة.. وتتالت المصائب فاعترفت منظمة التحرير بإسرائيل، وتخلت عن هويتها الكفاحية متزلفة على أعتاب الأمريكان الصهاينة لتحصل منهم على اعتراف نظري ليس له أي رصيد على أرض الواقع، ورغم ذلك لم تحصل عليه! فبعد كل ما قدمته قطعت أمريكا حوارها مع المنظمة ورضخت لطلبات العدو اليهودي المتغطرس، ولم ينفع قيادة المنظمة المسرحية التي جعلت لفلسطين المحتلة حكومة فلسطينية وأضفت على (عرفات) لقب (الرئيس) لدولة كرتونية لا تجاوز مساحتها مساحة الورق التي رسموا عليه هذه المسرحية المضحكة..

أما حكام العرب وعلى رأسهم حكام دول الطوق المحيط بإسرائيل مصر وسوريا والأردن وأخيراً السعودية فقد تتالت لقاءاتهم السرية والعلنية بالأمريكان واليهود وها هي الأيام الأخيرة تحمل إلينا آخر حلقات المؤامرة الاستسلامية التي يسمونها المؤتمر الإقليمي أو الدولي للسلام، وها هم أفراد آل سعود خدام الحرمين كما يزعمون يرفعون عقيرتهم على نهج السادات الذي أدانوه وقاطعوه قبل سنوات لنفس الفعلة، بل لأقل مما يجاهرون به من الخيانة اليوم. أما حكام مصر وسوريا والأردن فحدث ولا حرج عن لقاآتهم الدورية باليهود والتي أصبحت شبه علنية رسمية، لا تثير سخطاً من معترض ولا حياء من فاعل. وأما من وراء هؤلاء الخونة من حكام بلاد العرب والمسلمين، فهم مؤيدون مشجعون جهاراً نهاراً، بل مشاركون في كثير من الأمور بلا حياء ولا مواربة.. وبماذا تلوم هؤلاء إذا كانت نفس منظمة التحرير الفلسطينية وقيادتها العلمانية، إمامةً في هذا التيار، تتباكى على أعتاب أمريكا كي تقبل إسرائيل مجالستها على طاولة الصفقة الكبرى، بيع فلسطين بأبخس الأثمان.. تقدم على كل هذا انطلاقاً من

الكذبة الشنعاء التي جعلت منها باتفاق كل العملاء والأعداء الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني المسلم فتأمل في مثل هذا الممثل الوحيد!!

ثانياً: انطلاق الانتفاضة:

في هذه الأجواء الاستسلامية الذليلة تنطلق الانتفاضة المباركة، بشعارها (الله أكبر)، بسمتها الإسلامي الأصيل لتكون الأمل والبديل بإذن الله، ونسأل الله تعالى أن يحفظهم من محاولات الاحتواء والتصفية التي يتعرضون لها وسنعرض لأهمها في الفقرة التالية إن شاء الله تعالى.

لقد انطلقت هذه الانتفاضة الإسلامية تماماً كما أملنا وأمل كل المسلمين، وكنا قد سجلنا مثل هذا الأمل وقلنا في فقرة (القضية الفلسطينية في الفصل الثالث) وقبل أربع سنوات، إن قضية فلسطين قضية الإسلام والمسلمين لا يقيمها إلا الجهاد، وبهذه الأمة فقط، فإما أن تدرك قيادة منظمة التحرير هذه الحقيقة وإما أن تستنكف وسيرسل الله تعالى من يرفع رايته الإسلامية الجهادية الحقة لترفرف على قضية الإسلام المركزية قضية فلسطين...

وهاهي السنوات تمر وما تزداد منظمة التحرير إلا علمانية واستسلاماً.. وهاهي بشائر الأمل الذي طالما تحدثنا عنه وتحدث عنه المسلمون.. هاهي بشائر البديل الإسلامي، ولعل الله تعالى يخرج من رحم الانتفاضة المباركة الحل الوحيد "قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين"

ثالثاً: حتى لا تجهض الانتفاضة:

انطلاقاً من الحرص على هذا الأمل الوليد (الانتفاضة الإسلامية في فلسطين) وانطلاقاً من الشعور بالمسؤولية الشرعية في النصح لله ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم، وجرياً على أسلوبنا الصريح والمباشر في تحديد المسألة ومعالجتها بكل مباشرة وصراحة فإنا لا بد من أن نسجل هذه السطور.. فكما رددنا دائماً مقولة سيد قطب رحمه الله نردد الآن "إن تبرئة الأشخاص لا تساوي تشويه المنهج".

إن هذا البرعم الناشئ الأمل، مازال وليداً تطوقه محاولات الأعداء تريد أن تطفيء نور الله بأفواهها ونسأل الله أن ينجزنا الوعد ويتم نوره ولو كره الكافرون..

تجتمع عليه اليوم كل قوى الشر للإطاحة به، وهم باختصار كل أعداء الإسلام فإذا أردنا أن نجملهم فإننا نصنف الأعداء في قائمتين اثنتين.

أ – الأعداء الخارجيون: وهم اليهود ومن حكام بلاد المسلمين الخونة ولاسيما حكام العرب المجاورين لأرضنا السليبة، العلمانيون الفلسطينيون. إن هذه القائمة السقيمة هم أعداء واضحون قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر، وطالما أنهم مخاطر واضحة يعرفها كل مسلم مخلص مهتم بأمر هذه الانتفاضة المباركة، فإننا لن نفصل في أمر التصدي لهم، وسنكتفي بالإشارة إليهم والاعتماد على فهم وبصيرة الإخوة الحريصين على الإسلام وراية الجهاد الصافية.

ب – الأعداء الداخليون:

وهذه هي الناحية الأهم والأخطر والتي بدت بوادرها تظهر للمتتبع الذي لا يغتر ويؤخذ بالهالة الإعلامية وتيار العواطف وجماهير المصفقين والهاتفين بطيب وإخلاص مهما كان هذا الإخلاص، إذ أن ثمة مخاطر كامنة لا يفتتنا الحرص على ما يسمونه تضافر الجهود ووحدة الصف عن ذكرها. لأنها مقاتل سرعان ما تتفاقم وتودي بالجهد لا سمح الله ولا قدر وأهم هذه المخاطر ثلاثة:

1- احتواء منظمة التحرير للانتفاضة عن طريق ابتلاع حماس في المجلس الوطني الفلسطيني.

2- احتواء الإخوان المسلمين (التنظيم الدولي) تنظيم الأردن للانتفاضة عن طريق احتواء حماس (إخوان فلسطين).

3- احتواء إيران لبعض أجنحة الانتفاضة الجهادية وميلاد تيار شيعي رافضي ضمن حركة الجهاد في فلسطين.

فإلى التفصيل الموجز في شأن هذه المخاطر واحدة تلو الأخرى والله المستعان:

- أما بالنسبة لخطر منظمة التحرير على مستقبل الانتفاضة فهو أوضحها، ويعرفه حتى جماهير الانتفاضة الإسلامية والقائمين عليها، فمعلوم أن منظمة التحرير وقيادتها تحاول منذ نشأتها أن تكون اللاعب الوحيد على الساحة وتمنع قيام أي جهة تنافسها في قيادة وزعامة الشعب الفلسطيني. خصوصاً إذا كان هذا البديل إسلامياً، لأنه البديل الصحيح الذي يظهر عوارهم ويفضح استسلامهم وتجارتهم بالقضية. ومن الأدلة التاريخية المعروفة ولاسيما للإسلاميين الفلسطينيين أن الإخوان المسلمين الفلسطينيين والأردنيين عندما أقاموا لأنفسهم معسكرات في الأغوار سنة (1969) هددتهم فتح وأرغمتهم بقوة السلاح أن يكونوا تحت لوائها وتبعيتها. وفعلاً أُجبروا، وكان معسكرهم يسمى (معسكرات الشيوخ) هذا من اثنين وعشرين سنة ولم يكن يومها خطر هذه المعسكرات كبيراً.. فكيف ببديل إسلامي براية إسلامية كالمرفوعة الآن في مواجهة طرح المنظمة المجرد من كل ثياب الستر، الموسوم جهاراً نهاراً بالاستسلام والارتماء على أعتاب اليهود والأمريكان وحكام العرب المرتدين...

ولذلك فإن منظمة التحرير وقيادتها العلمانية تحاول احتواء الانتفاضة الإسلامية ومحاربتها عبر ثلاثة أساليب:

1- المحاربة والتصفية والتهديد: وهذا من داخل فلسطين ويعرفه الإخوة المجاهدون هناك ويتحاشونه حتى لا يكون بأس الفلسطينيين بينهم، ويعرف الكل كيف أن قيادة منظمة التحرير صفت اغتيالاً العديد من كوادر التوجه الإسلامي فيها أو فيما حولها في ساحة العمل الفلسطيني.

2- استخدام القوة المالية الهائلة للمنظمة: في احتواء الساحة الفلسطينية ومنها العمل الإسلامي نظراً للحاجة الماسة داخل الأرض المحتلة وفي المخيمات للأموال التي يأتي معظمها عن طريق المنظمة التي أصبح لها ميزانية دولة حقيقية، واستخدام ذلك أحياناً لصناعة منظمات إسلامية جهادية مستقلة ظاهراً ولكنها تابعة لقيادتهم عملياً. حتى إذا ما حاول الإسلاميون تبني القضية، قطعوا الطريق عليهم بزعمهم أن معهم الكثير من الجهاديين. وقد فات هذا على العديد من المخلصين وابتلعتهم المنظمة وكان السبب الأساسي مادياً بحتاً.

3- ابتلاع التيار الجهادي الإسلامي عن طريق ابتلاع (حماس) في المجلس الوطني الفلسطيني.

وهو بمثابة برلمان للدولة الموهومة يشارك في عضويته جميع المنظمات والشخصيات الفلسطينية التي اختلفت مشاربها ولم تتفق إلا على العلمانية والديمقراطية والالتزام بقيادة المنظمة وتوجهاتها... فهذا المجلس البرلمان حكمه شرعاً هو حكم الدخول في البرلمانات الأخرى لدى الأنظمة العلمانية المرتدة في كثير من البلاد العربية والإسلامية.

وليست المصيبة حقيقةً في أن تعرض المنظمة على (حماس) وهي الكتلة الرئيسية في الانتفاضة الدخول في المجلس فهذا هو أسلوب أعداء الإسلام دائماً وقد نبهنا إليه القرآن الكريم: "ودوا لو تدهن فيدهنون" "ليضلوك عن بعض ما أنزل إليك" "لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً" ... الخ.

ولكن المصيبة في أن يلقى هذا العرض استجابة لدى ??????? (حماس) ولدى بعض كبار الإخوان المسلمين في الأردن وهم مؤثرون في (حماس) وتيارها حتى أن حماس أصدرت في أحد بياناتها الرسمية رداً على هذه العروض أنهم وافقوا على دخول المجلس إذا وافقت قيادة المنظمة (على أن يكون لهم 50% من المقاعد وهذا يتناسب مع حجم حماس وتواجدها على الساحة

الفلسطينية داخل الأرض المحتلة!) ولما رُوجع بعض قادة حماس وشيوخها في الأردن وفلسطين قالوا إن هذا من باب إعادة الكرة للعب المنظمة، حتى لا تظهر حماس وكأنها غير حريصة على وحدة العمل الفلسطيني، وحتى لا تتهم بالحرص على التجزئة [1]! وهكذا يبرر قبول المرتدين، والاعتراف بهم، ومجالستهم في مجلسهم واعتبار أصواتهم مساوية لأصواتنا، واعتبار حقهم الذي كفله الأسلوب الديمقراطي (المزور رغم كفره) بمثل هذه الاعتبارات ! وهب أن قيادة المنظمة وافقت وأعطت حماس (51%) من المقاعد؛ هل يجعل هذا المنطق الديمقراطي المخروم دخول (حماس) هذا المجلس إلى جانب جورج حبش، ونايف حواتمة والعلمانيين واليساريين وكل عربيد حلالاً؟! وهل أُتيت الحركات الإسلامية في معظم البلاد إلا من هذا الفخ..

إن أعداء الإسلام داخل الساحة الفلسطينية وخارجها يعرفون أن في الانتفاضة مدرستان: تيار الإخوان المسلمين (حماس)، وتيار الجهاد الذي تمثله العديد من التنظيمات السرية الجهادية المسلحة العاملة، ويدركون أن تدجين الأولى هو حصار للثانية؛ أولاً لأنه أكثر إمكانية نظراً للعقلية الإخوانية التي دأبت على قبول أنصاف الحلول؛ وهاهي الأمثلة في البلاد العربية أكثر من أن تحصى، ثانياً لأنها ستعزل تيار الجهاد وتوسمه بالتطرف وضيف الأفق. وهو تماماً نفس القصد من إقحام الإخوان في بعض البلدان في السلطة لحصار تيار الجهاد وهذا موضوع سنعرض له بتفصيل أكثر في الفقرة القادمة إن شاء الله.

---

[1] هذا الكلام غير صحيح وقد بدأت بوادر خيبة الأمل في قيادة حماس الإخوانية لدى نشر ميثاقها الذي حوى تناقضات سياسية شرعية خطيرة حول هذه المواضيع وإليك مقتطفات من ميثاق حماس (وحسبنا الله ونعم الوكيل): تحت عنوان مواقفنا من الفقرة ب: (الحركات الوطنية على الساحة الفلسطينية: المادة الخامسة والعشرون:

(تبادلها الاحترام . وتقدر ظروفها والعوامل المحيطة بها والمؤثرة فيها وتشد على يدها مادامت لا تعطي ولاءها للشرق الشيوعي أو الغرب الصليبي (..) وتطمئن كل الاتجاهات الوطنية العاملة على الساحة الفلسطينية من أجل تحرير فلسطين بأنها لها سند وعون، ولن تكون إلا كذلك قولاً وعملاً. حاضراً ومستقبلاً تجمع ولا تفرق. تصون ولا تبدد. توحد ولا تجزئ، تثمن كل كلمة طيبة وجهد مخلص ومساع حميدة. تغلق الباب في وجه الخلافات الجانبية ولا تصغي للشائعات والأقوال المغرضة. مع إدراكها لحق الدفاع عن النفس. ولك ما يتعارض أو يتناقض مع هذه التوجهات فهو مكذوب من الأعداء أو السائرين في ركابهم بهدف البلبلة...)

ج _ منظمة التحرير الفلسطينية — المادة السابعة والعشرون:

منظمة التحرير الفلسطينية من أقرب المقربين إلى حركة المقاومة الإسلامية. ففيها الأب أو الأخ أو القريب أو الصديق. وهل يجفو المسلم أباه أو أخاه أو قريبه أو صديقه. فوطننا واحد ومصابنا واحد ومصيرنا واحد. وعدونا مشترك.

وتأثراً بالظروف التي أحاطت بتكوين المنظمة. ما يسود العالم العربي من بلبلة فكرية نتيجة للغزو الفكري الذي وقع تحت تأثيره العالم العربي منذ اندحار الصليبيين، وعززه الاستشراق والتبشير والاستعمار ولايزال. تبنت المنظمة فكرة الدولة العلمانية وهكذا نحسبها والفكرة العلمانية (تعني اللادينية) مناقضة للفكرة الدينية مناقضة تامة، وعلى الأفكار تبنى المواقف والتصرفات وتتخذ القرارات. ومن هنا ومع تقديرنا لمنظمة التحرير الفلسطينية —وما يمكن أن تتطور إليه– وعدم التقليل من دورها في الصراع العربي الإسرائيلي. لا يمكننا أن نستبدل إسلامية فلسطين الحالية والمستقبلية لنتبنى الفكرة العلمانية (...) ويوم تتبنى منظمة التحرير الإسلام كمنهج حياة. فنحن جنودها ووقود نارها التي تحرق الأعداء. فإلى أن يتم ذلك —ونسأل الله أن يكون قريباً– فموقف حركة المقاومة الإسلامية من منظمة التحرير هو موقف الابن من أبيه والأخ من أخيه والقريب من قريبه...) اهـ. (نقلاً عن كتاب حماس الجذور التاريخية والميثاق).

تعليق : كل هذا مع علم حماس ومن فيها من منحرفي الإخوان المسلمين بعلمانية المنظمة وردة رايات المنظمات الوطنية العاملة على الساحة الفلسطينية جميعها وكلها علمانية قومية أو ماركسية حمراء.. ومع ذلك يقولون موقف الابن من أبيه والأخ من أخيه.. ثم يضحكون على أنفسهم وعلى المسلمين ويأملون أن المنظمة ستصبح إسلامية بل يقولون وإلى أن تصبح إسلامية فموقفنا منهم موقف الأب والأخ والصديق!! وكان حري بهم أن يسمعوا قول الله تعالى: "قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده.."

حري بهم أن يسمعوه ويجعلوا منه راية وشعاراً، فلا جدال ولا نقاش على إسلامية فلسطين وكذلك على الرابة التي ستنقذها وتعيدها إلى حكم الله وحكم رسوله. ولا مجال هنا للمداهنة والمجاملة على حساب دين الله.. وما العذر. "أيبتغون عندهم العزة؟ فإن العزة لله جميعاً" أم خشية المؤامرات والمصادمات "فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين" أم يطمعون بأموال المنظمة ومساعداتها "وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون"؟ "إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين"

يقول صلى الله عليه وسلم: ثلاث حق على الله أن يغنيهم "طالب الزواج يريد العفاف، والمكاتب يريد فكاك رقبته والمجاهد في سبيل الله" أو كما قال صلى الله عليه وسلم. ولكنها المناهج المنخورة التي أوصلتهم في الأردن إلى القعود في البرلمان الضال ودخول الوزارات المرتدة.. ويريدون الآن دفع الانتفاضة المباركة لبرلمان دولة فلسطين العلمانية بقيادة المنظمة. فلا حول ولا قوة إلا بالله . (المؤلف).

وما نقول هذا شهد الله تعالى إلا من باب الحرص على هذا الوليد الجهادي الإسلامي (الانتفاضة) في هذه الأرض الطيبة. ولا يقولن زاعم (إن أهل مكة أدرى بشعابها) فهذا كلام حق يراد به باطل، فكلنا في قضية فلسطين أهل مكة، وكلنا في ساحة العمل الإسلامي أهل مكة، وكلنا أدرى بهذه الشعاب، وهل بدأت (فتح) إلا إسلامية جهادية؟ فانظر إليها الآن بعد أن مازجتها العلمانية وانظر ماذا بقي لها من رائحة الإسلام وسط تعفنات الكفر والإلحاد والزندقة فيها!!

وحتى نستفيد من كلام أعدائنا ولا يظنن أحد أن مخاوفنا هذه محض أوهام، سننقل هنا شاهداً للاستئناس به، وهو من مخططات أعدائنا ما يؤيد التحليل الذي ذهبنا إليه من خلال المتابعة والاستقراء السياسي في ضوء استدلالنا الشرعي المدعم بالدليل.

(نشرت جريدة الأنباء الكويتية قبل أقل من شهر من عزو الكويت مقالاً بعنوان: [بعد التغيرات في أوربا الشرقية وموسكو هل يستمر دور إسرائيل كحليف استراتيجي لواشنطن؟] وهو مترجم (معرّب) عن مقال لأحد الكتاب الإسرائيليين المتخصصين في الشؤون العربية، أبرز فيه جانباً من مهمة كارتر وهذه مقتطفات منه:

- والتهديد الوحيد الآن في أعقاب التراجع السوفيتي في الشرق الأوسط على المصالح الأمريكية هو الإسلام التمطرف. ولا يقتصر التهديد الإسلامي على المصالح الأمريكية فقط يتجاوزها إلى تهديد الأنظمة العربية أيضاً، والولايات المتحدة لن تسمح بنشر ثورة إسلامية جديدة في أي دولة عربية من الدول ذات الأهمية الكبيرة.
- والأمريكيون يعتبرون الانتفاضة بمثابة خطر يهدد المنطقة العربية بأسرها وخصوصاً من حيث الطابع الإسلامي المشارك فيها بشكل واسع وعلى أرضية تراجع المد الشيوعي. وبعد أن ذكر أن التصلب الإسرائيلي يفسد الخطة الأمريكية لاحتواء المعتدلين وضرب المتطرفين قال:
- لقد بدأت مفاوضات في عمان بين منظمة التحرير والإخوان المسلمين بتشجيع المعتدلين حول انضمام حركة (حماس) إلى المجلس الوطني الفلسطيني مع الموافقة على برنامج المنظمة السياسي الذي يربط جميع الحلول السياسية بالاعتراف بإسرائيل.

ورغم الستار الكثيف المسدل حول تلك الاتصالات إلا أنه اتضح أن الشروط التي تطالب بها حماس ليست سهلة، فهي ترفض برنامج المنظمة السياسي وفي نفس الوقت تطالب بالتمثيل في مؤسسات المنظمة بنسبة 40%

يضرب الكاتب (كاتب المقال في الصحيفة) أمثلة لبعض الشخصيات المعتدلة كما أن صورة مقابلة بعضهم لكارتر منشورة في نفس الصحيفة ثم يقول:

- وقد شاءت [سخرية الأقدار] هكذا أن يكون الرئيس جيمي كارتر هو أول من يؤيد مطالب (حماس) خلال الجولة الأخيرة التي قام بها في الشرق الأوسط. منذ نشرت صحيفة المحرر الباريسية مقطعاً من الحوار الذي أجراه كارتر مع الرئيس السوري حافظ أسد حين سأله أسد عن موقف الولايات المتحدة فيما يتعلق بالحركات الإسلامية فردّ كارتر: ...واشنطن تأمل أن تحظى الحركات الإسلامية والإخوان المسلمين على نصف الأصوات خلال الانتخابات التي ستجري في الأرض المحتلة!

ويعلل كارتر ذلك بأنه سيدفع مسيرة السلام مع إسرائيل، ويعلق الصحفي ذاكراً الفروق بين منظمتي حماس والجهاد بالنسبة للغرب وإسرائيل. ثم يقول: ومنظمة التحرير لن تقبل بأي حال من الأحوال مطالب حماس بمنحها 40% من المقاعد في مؤسساتها، كما أن إعلان كارتر بأن الولايات المتحدة تؤيد مطالب حماس سيثير الكثير من الخواطر وردود الفعل الشديدة في أوساط المنظمة غير أن الحقيقة التي لا جدال فيها هي أن هناك تقارب فعلي بين الإخوان المسلمين والولايات المتحدة وحماس لا تحرص على إخفائه).

ونحن نورد ما سق للدلالة فقط على أن الغرب بدأ يتعامل مع القوى الأصولية الموجودة في المنطقة بناء على تشددها وتطرفها بالنسبة إليه، وهذا ما أحببنا أن نذكر به الإخوة المؤثرين في مسار الانتفاضة، (حماس) بالذات ليكونوا عند حسن الظن بهم ولايتحولوا للقمة سائغة تبتلعها أمريكا عن طريق ابتلاع المنظمة لها بتوسط (المعتدلين)! من الإخوان المسلمين الأردنيين خاصة ومن التنظيم الدولي عامة.

- أما النقطة الثانية وهو خطر احتواء الإخوان المسلمين التنظيم الدولي (فرع الأردن) للانتفاضة. فهذا يعرفه كثير من أبناء الحركة الإسلامية في الأردن وفلسطين. فمعلوم أن (حماس) هي الحركة الرئيسية المسيطرة على شرع الانتفاضة وإن كان هذا لا يلغي دور القوى الأخرى الإسلامية أو العلمانية كالمنظمة وسواها. في حين أن العمليات العسكرية الحقيقية التي تجري داخل الأرض المحتلة أو على حدودها مع الأردن ماتزال مجال سيطرة المنظمات الجهادية التي يسمونها متطرفة بشكل رئيسي. رغم معارضة قيادة الإخوان الأردنيين لهذه العمليات.

ومعلوم أن حركة حماس يسيطر عليها ويوجهها الإخوان المسلمون تنظيم الداخل في فلسطين. وكان الإخوان في فلسطين تابعين لقيادة الإخوان في الأردن وكان هؤلاء إلى أن انفجرت الانتفاضة عوامل تثبيط وتأخير لكل عمل جاد مضاد لليهود تحت الحجة الدائمة التي يرفعها الإخوان في كل مكان، عدم التعجل وعدم التهور خشية ضرب مكاسب الدعوة!.

ولكن ظروف الاحتلال اليهودي وتصاعد الصحوة الإسلامية العارمة في المساجد والشارع الإسلامي في فلسطين، جعل الإخوان داخل فلسطين ينهجون منهج الانتفاضة رغماً عن إدارة قيادة الإخوان في عمان، فانطلقوا من تلقاء أنفسهم وفرضوا الواقع على الإخوان في الأردن الذين سارعوا كالعادة إلى تبني الموجة وكأنهم هم الذين خططوا لها! وبدأ العديد منهم مع بعض الشخصيات الإخوانية المبعدة من داخل فلسطين يجوبون الآفاق ويعقدون المؤتمرات على أنهم ممثلو (حماس) وممثلو الانتفاضة، وهو دور يتقنه الإخوان كما مر معنا في التجربة السورية وسواها، وهنا تكمن الخشية على الانتفاضة المباركة من الاحتواء. إذ أن قيادة الأمر إذا وصل إلى أيدي هؤلاء الذين تعودوا المداهنة والوقوف في منتصف الطريق والحلول الوسط فإنه لن يكون منهم –والله أعلم– إلا أمثال العرض التي مر ذكرها كالتوسط لإدخال حماس في المجلس الوطني مثلاً بحجة إكسابها الشرعية.. والسيطرة على المنظمة وما إليها من أعذار اعتادوا وأجادوا رفعها. وكي نؤكد هذا التصور، نضرب مثالاً حقيقياً من ممارسات الإخوان وموقفهم من الانتفاضة ومدى جديتهم في تطويرها إلى حركة جهاد حقيقي ضد اليهود. وهذا المثل الذي سنضربه بإذن الله، يعرفه العديد من قيادات الجهاد الفلسطينية وشبابها ولاسيما أولئك الذين شكلوا في فترة من الفترات تجمعاً حول المجاهد الشهيد عبد الله عزام (رحمه الله) في أفغانستان.

فمن المعروف أن الشيخ عبد الله عزام رحمه الله كان قد تحول إلى رمز للجهاد، عبر مساندته وممارسته وتأييده للجهاد الأفغاني، كما أنه أصبح رمزاً لتجمع الشباب العرب الذين توافدوا للمشاركة في هذا الجهاد بشكل عام، وللكثيرين من الشباب الفلسطيني والأردني بشكل خاص، ممن كانوا أقرانه أو تلامذته كواحد من مشايخ وقيادات الإخوان المسلمين في الأردن قبل أن يتخذ لنفسه نهجاً خاصاً على مسيرة الجهاد مخالفاً توجهات الإخوان داخل الأردن وخارجه..

ومع الوقت أصبح الشيخ عبد الله عزام رحمه الله قطب تجمع لهذا الشباب حتى أنه بات خطراً يتهدد قيادات الإخوان في الأردن خاصة بعد أن علموا أنه يوجه الشباب عموماً نحو قضية المسلمين الأولى قضية فلسطين. إذ أن الكثيرين من أولئك الشباب بدأوا يكسرون الطوق الذي ضربته القيادة عليهم هناك ويفرون إليه طلباً للتدريب والإعداد للجهاد عملاً لا زعماً –دون إذن القيادة طبعاً–. وفي الفترة الأخيرة من حياة الشيخ رحمه الله اقتنع بأن يحول جزءاً من جهده ومن حوله من الشباب نحو إنشاء

توجه مسلح يدعم انتفاضة حماس المدنية وشكل لهذا نواة مايزال العديد من الذين شاركوا فيها أحياء يروون وقائع هذا الأمر والحمد لله.

ومع بدء تكشف أخبار نزول بعض الشباب الذين تدربوا في أفغانستان إلى الأردن استعداداً للعمل، بل ومباشرة بعضهم لعبور الحدود مع إسرائيل والقيام بعمليات جهادية فردية استشهادية الطابع، خشي الإخوان –ومَن وراءهم– من تفاقم هذا الأمر، أن يتحول التجمع الذي باشره الشيخ وباسم حماس المجاهدة أو المسلحة إلى كارثة تفسد مخططهم الطويل المدى، الحكيم الذي لا يتعجل قطف الثمار ولا يهدد مكتسبات الدعوة كما يزعمون! (مكاسب بدؤوا الآن يحصدون ثمارها مقاعد في الوزارة والبرلمان ويا لها من مكاسب!)

وفعلاً بدأت القيادات الإخوانية في الأردن والمحسوبوا على حماس (مدعومين ببعض قيادات مكتب الإرشاد الدولي للإخوان) بالتوافد على الشيخ يرجونه إنهاء هذا المشروع الجهادي المتسرع وغير المحسوب والمحرج مع الحكومات. وكان على رأس هؤلاء عبد الرحمن خليفة المراقب العام للإخوان الأردنيين والدكتور محمد صيام الذي يمثل حركة حماس في بعض المحافل والمهرجانات... بالإضافة لبعض رموز قيادات التنظيم الدولي بمساعدة بعض شخصيات الإخوان الدوليين والمتفرغين لساحة الوجود العربي في باكستان وأفغانستان.

ويروي العديد من خواص الشيخ عبد الله من الثقات الذين حضروا بعض هذه المجالس أو روى لهم الشيخ الشهيد همّه، أنهم وصلوا معه لحد المشاجرة. ولما لم يستطيعوا إقناعه أن يبحث لنفسه عن اسم خاص به ولا يعمل باسمهم لأن الجهاد ليس من برنامجهم الآن!! وقال هذا المدعو صيام للشيخ: (أنت لست من حماس. وحماس لم توكلك بأن تشكل لها جناحاً عسكرياً فجد لك إن كنت مصرّاً اسماً خاصاً بك ولا تقحمنا في هذا) عندها قال الشيخ: اشهدوا يا ناس، لن أذكر حماس بخير بعد اليوم. ولن أتعرض لهم بسوء. ويروي هؤلاء الإخوة كيف أن الشيخ عبد الله رحمه الله كان في آخر أيامه مكتئباً مهموماً من هذا الأمر، حيث اضطر لأن يقص الأمر على إخوانه ويقول لهم أنه عاجز حالياً عن الاستمرار في المشروع وتبنيه.

ولم يمر على هذا الأمر إلا أسابيع معدودة حتى فوجئ الجميع باغتيال الشيخ عبد الله بعبوة ناسفة زرعت على طريقه وهو يتجه لصلاة الجمعة، وكفى الأعداءُ المتربصون بالإسلام والجهاد كلَّ من تضايق من أفعال الشيخ الهم والغم.

فقد كان مقتل الشيخ الذي لم يعرف إلى الآن منفذوه، أمراً متوقعاً لرجل حمل قضيته وروحه على كفه وجاب بها الدنيا. وهكذا يعرف أعداؤنا أعداءَهم الحقيقيين من المتطرفين الجهاديين أما المعتدلون الذين سعوا وراء الشيخ لوقف مبادرته ومازالوا يجوبون الدنيا ويملؤون المهرجانات زعيقاً ونعيقاً بشعارات الديمقراطية والاعتدال وجهاد (الميكروفونات).

ولذلك فإننا إذ نحذر من أعدائنا المباشرين اليهود ومن وراءهم لابد من لفت النظر حرصاً على هذا البرعم الأمل المتفتح على أرض فلسطين وما جاورها من أن تحتويه مؤامرات المعتدلين لإجهاضه وإدخاله في دوامات السياسة والمساومات التي لا تنتهي إلا إلى البوار والبعد عن دين الله القويم، والوصول لحلول وسط مع الجاهلية في منتصف الطريق..

وأما الخطر الثالث فإنه لم يستفحل بعد وإن كانت بعض بوادره قد ظهرت، وهو محاولة إيران الروافض أن تجد لها موطئ قدم في هذه القضية الهامة، وعلى اعتبار أنها دولة قوية تملك مدداً تمويلياً هائلاً فقد استطاعت حتى ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟تنشئ بعض الحركات الفلسطينية التابعة لها مباشرة، وأن تربط حركات أخرى بها مادياً وافتتحت إذاعة باسم الجهاد لتحرير فلسطين تبث من إيران لكافة أنحاء العالم وذلك بعد أن فشلت في ابتلاع منظمة التحرير بكاملها رغم أنها بذلت في ذلك وسعها مادياً ومعنوياً. ولا نريد هنا الخوض في بعض التفاصيل المتوفرة لدينا عن أسماء حركات بعينها وقعت في هذا الفخ –وقد يكون ذلك لحاجة مادية محضة–

ولكن معظم المصائب تبدأ هكذا، ولا بد من تذكير إخوتنا أمل الجهاد الإسلامي الحق تحت راية أهل السنة والجماعة، كي لا ينخدع المسلمون بكل زاعق. فليتقوا الله فما عاد أمر الروافض بخافٍ على أحد، كما لم يعد أمر المتاجرين بالجهاد وشعاراته بخافٍ على من به بصيرة والله المستعان..

وفي ختام هذه الفقرة نقول أن إيراد هذه الأمور على سبيل التذكير تستأهل العناء والمخاطرة حتى نجاهد في سبيل الله على بصيرة، وحتى لا تذهب قوافل الضحايا الذين نقدمهم تقبلهم الله شهداء ضياعاً سدى ونجد أنفسنا وقد رفرفت رايات علمانية لا ترضي الله تعالى فوق قضايانا مرة أخرى كما حصل في مأساة الجهاد في سوريا. والله غالب على أمره.

وفي الختام وكما قلنا ورددنا.. نردد ونقول ستبقى قضية فلسطين قضية الإسلام وسيبقى حلها رهن الفئة المؤمنة المجاهدة التي ترفع سلاحها ظاهرة على الحق، لا تأخذها في الله لومة لائم، تقاتل على هذا الدين لا يضرها من خذلها ولا من خالفها حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك.

ثانياً : طغيان التيار الديمقراطي في العمل الإسلامي وانتقاله لمستويات خطيرة:

- (الديمقراطية) كلمة لاتينية معناها (سلطة الشعب) جاء في الموسوعة العربية الميسرة (الديمقراطية معناها سيادة الشعب وهي نظام سياسي تكون فيه السيادة لجميع المواطنين لا لفرد ولا لطبقة). ولو عدنا لمختلف المصادر والمراجع السياسية فإننا سنجد لها تعاريف تدور إجمالها حول هذا المفهوم.
- نشأ هذا النظام في الجزر اليونانية لتاريخ يعود إلى نحو 500 سنة قبل الميلاد. أما مفهوم الديمقراطية المعاصرة فقد أرست أصولها الثورة الفرنسية (1789) وذلك في تطوير لمسيرة الديمقراطية التي كان الانجليز في إنجلترا قد أرسوا كثيراً من معالمها البرلمانية قبل ذلك بنحو قرن من الزمان. وكانت معظم مبادئها منطلقة من الثورة على سلطة الله والكنيسة التي بغت طيلة تاريخ أوربا الوسيط ومطلع الحديث فطبعت بعدائها للدين.
- وتتشعب المذاهب الوضعية ضمن الديمقراطية ولكنها تجمع كلها على حق المساواة بين جميع المواطنين بصرف النظر عن الجنس أو المعتقد أو المذهب السياسي، حيث يحتكم فيها الجميع لمبدأ سيادة حكم الأغلبية. فما ارتآه الأغلبية حقاً وعدلاً وحلالاً فهو كذلك، ومماارتأوه ظلماً وباطلاً وغير جائز أو غير قانوني فهو كذلك بصرف النظر عن أي اعتبار آخر.
- فالديمقراطية تقوم على مبادئ أساسية أهمها سيادة الشعب، المساواة، الحرية المطلقة، حكم الأغلبية.

أما مصادمة هذا المذهب أو هذا الدين الغربي الكافر لأبسط مبادئ الشريعة الإسلامية فهو بيّن لا يحتاج إلى دليل ويمكن لمن أراد العودة لكثير من الكتب الإسلامية المعاصرة التي عنت بنقض هذا المذهب وبيان كفره الذي يمكن اختصاره بكلمات بسيطة: وهي أن الديمقراطية مذهب يجعل سلطة الشعب أعلى من سلطة الله سبحانه وتعالى، وتجعل رأي الأغلبية حكماً على رأي الدين، وتساوي بين من لم يسوِ الله بينهم "أفنجعل المسلمين كالمجرمين، ما لكم كيف تحكمون"؟! كما أنها نزعت حق التشريع من الله سبحانه وتعالى وجعلته للشعب ووثنه (الأغلبية).

هذا عن الديمقراطية كمذهب بإيجاز.

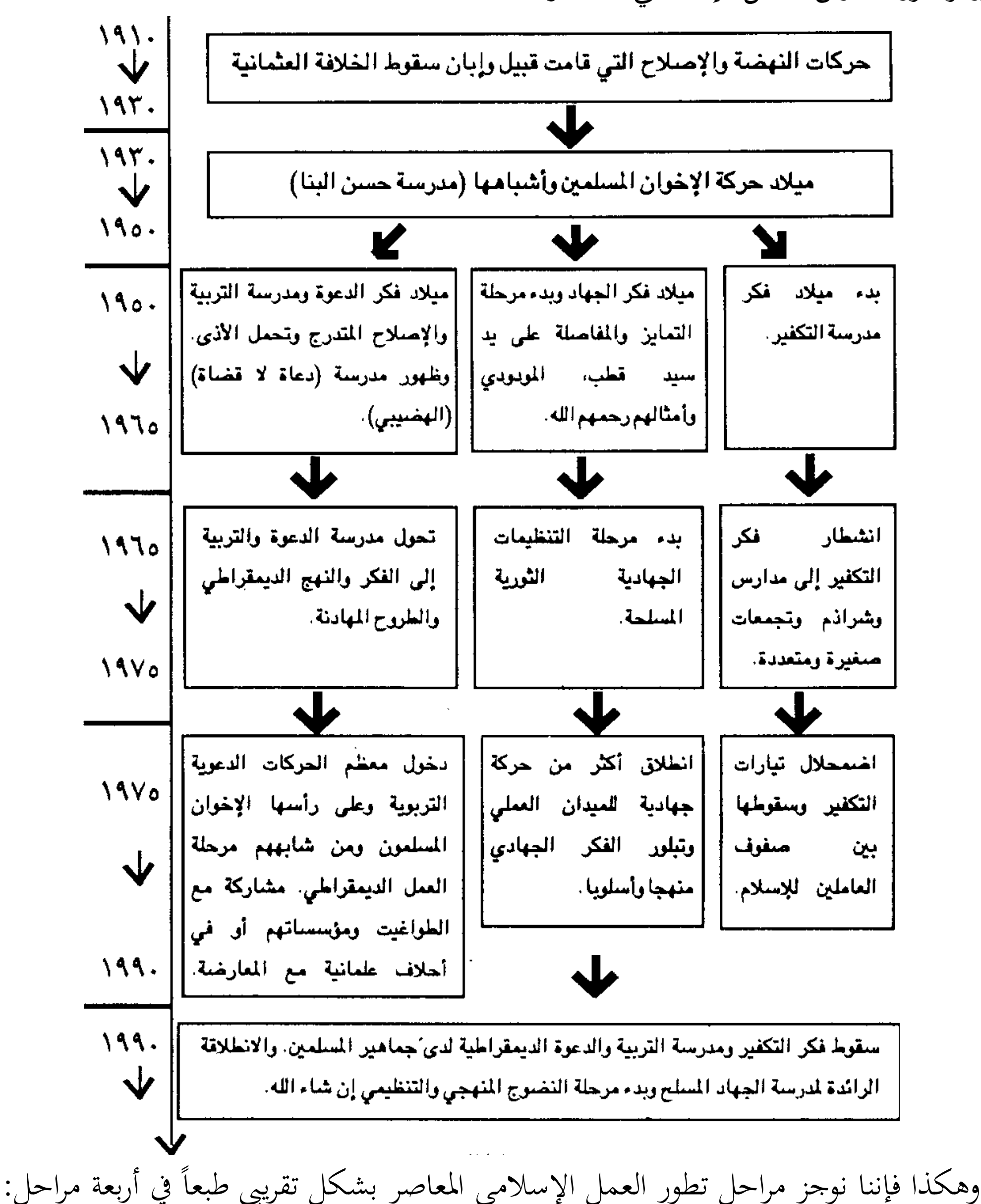
- واليوم يسيطر هذا المذهب بأشكال مختلفة على سائر دول الغرب الأمريكية والأوروبية، وهو في طريقه للسيطرة على معاقل النظام الذي كان نداً له ونقصد المذهب الشيوعي.. ولذلك فإن الصليبية وزعيمتها أمريكا تحمل هذا الدين راية فوق جحافلها العدوانية في كل الأرض، وتريد فرضه على مناطق نفوذها، ومن طليعتها بلاد المسلمين، تارة بالإقناع

والإغراء، وتارة بالإكراه والاشتراط. وتارة بالدسائس والمؤامرات، عن طريق المفتونين من أبناء المسلمين بكفر الغرب وحضارته المارقة! ولإن كان عجيباً أن يترك المسلمون دينهم وشريعتهم لترهات كفرية وافدة هو ما بدأت بوادره منذ فترة الاحتلال الغربي في العشرينات من هذا القرن، فإن الأعجب منه أن تتبنى هذه الراية الكافرة وهذا المذهب المرتد حركات إسلامية تدعي العمل لإقامة حكم الله في الأرض. وأن يرفعه علماء ومفكرون وقادة يزعمون العمل لخدمة الإسلام وإعادة خلافته الراشدة.. ولكن لله الأمر من قبل ومن بعد. فهذا من زيادة نكبات هذه الأمة في آخر الزمان.. ولا بد لكل داعية جهاد حق أن يتصدى —فيما يتصدى له من قوى الباطل اليوم— لهذا التيار العاتي الذي بدأ يطغى بزعامة حركات وقادة وعلماء يسمون إسلاميين وللأسف بدعم حكومات وقوى معادية للإسلام محلية وخارجية.

- كيف بدأ هذا الطاعون الديمقراطي ينخر في بنية العمل الإسلامي وصحوته المعاصرة؟! وما هي أهم بؤره وأشكال ظهوره؟

من خلال متابعة مسيرة الصحوة الإسلامية أو العمل الإسلامي يمكن أن نرسم لملامحها الخط البياني التقريبي التالي:

مخطط تقريبي لتطور وتبلور مدارس العمل الإسلامي المعاصر:



وهكذا فإننا نوجز مراحل تطور العمل الإسلامي المعاصر بشكل تقريبي طبعاً في أربعة مراحل:

المرحلة الأولى: وبدأت مع بدء ضعف وتساقط الخلافة العثمانية وقدوم طلائع الاستعمار الغربي الحديث وتجلى ذلك في قيام تجمعات وحركات إصلاحية نادت بالنهضة والعمل للإسلام بأشكال تفاوتت في قربها وبعدها من الحق والصفاء وطبعها عموماً عدم النضوج لا في العقيدة ولا في التصور العملي.

المرحلة الثانية: وجاءت بعد سقوط الخلافة وكان أبرز الحركات التي قامت أيامها حركة الإخوان المسلمين على يد حسن البنا رحمه الله وما شابهها من حركات ولدت في الباكستان وتركيا وغيرها من بلاد المسلمين. وسيطر على هذه المرحلة فكر (الجمع والتقريب) دون النظر والتدقيق في العقائد والتصورات الحركية العملية فقد كانت حركة نهضة جامعة ولعل في شعارها العام أكبر معبر عنها "نعمل على ما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه"، "صوفية سلفية" "تربوية جهادية" ..الخ.

المرحلة الثالثة: انبثاق مدرستين في العمل والتصور وهما فكر الجهاد والتمايز والمفاصلة الذي قاده سيد قطب رحمه الله في مقابل فكر التربية والإصلاح الذي عبر عنه وقاده حسن الهضيبي في كتابه (دعاة لا قضاة)..

وبين هذين التيارين ظهرت بوادر تيار شاذ بدأ ينادي بالتكفير وقد ظهر نتيجة القمع الشرس الذي لاقته الحركة الإسلامية إذ ذاك ولاسيما في مصر.

(ولست هنا بصدد التحليل والإطالة في أسباب قيام هذه التيارات ومميزاتها ونقد ذلك، بل أريد التقديم للوصول إلى ميلاد التيار الديمقراطي في العمل الإسلامي).

المرحلة الرابعة : وشهدت ميلاد تيارين رئيسيين وثالث ضعيف تابع تبلوره ووجوده.

التيار الأول: هو قيام تيارات وتنظيمات الجهاد المسلح وتحولها للتطبيق العملي ظهر ذلك في سوريا ومصر مع مطلع السبعينات ثم تبعه في أكثر من مكان في باقي بقاع العالم الإسلامي (وأقصد حركات الجهاد التي قامت على الحكام بغية إقامة حكم الله عبر الجهاد المسلح (وليست الحركات ذات الطابع التحريري وإن كانت جهادية مثل أفغانستان مجل قياس هنا).

التيار الثاني: وهو نفس تيار (دعاة لا قضاة) الذي تحول من التربية والدعوة والصبر على الأذى في مواجهة الحكومات إلى أسلوب الرضوح للأمر الواقع – هذا إن أحسنّا الظن في نشأة هذه المدرسة – حيث قبل هذا التيار الديمقراطية حكماً في صراعه مع الأنظمة القائمة فأدى هذا لأحد أمرين إما الدخول في بنية الأنظمة المرتدة ومشاركتها السلطة عن طريق البرلمان والوزارات وغيرها من مؤسسات الدولة الكافرة.

أو الاتحاد مع أحزاب المعارضة العلمانية المرتدة في تحالفات ديمقراطية المذهب تسعى لإزالة الحكم القائم والتعاون على إرساء نظام ديمقراطي مشترك فيما بينها جميعاً

التيار الثالث: تيار التكفير (وهم خوارج العصر الحديث) حيث اعتبروا الحاكم (لشدة ما لاقوا ولاقى العمل الإسلامي منهم ولكفره الظاهر) كافراً بجميع مؤسساته وأعوانه ومناصريه، وانتقلوا لدائرة أخرى فكفروا من لم يكفره من العلماء والعاملين للإسلام، ثم كفروا من لم يكفر هؤلاء ولم يخرج على أولئك، واستزلهم الشيطان حتى كفروا جميع المسلمين إلا من كان على مذهبهم، وكثيراً ماانقسموا اوكفر بعضهم بعضاً ودخلوا في متاهة شيطانية لا يخرجهم منها إلا رحمة الله نسأل الله لهم ولكل المخلصين الهدى والرشاد.

ومع تقوقع تيار التكفير لعدم موافقة الصواب وعدم مناسبته حتى للفطرة السليمة لعوام المسلمين لم يبق اليوم في ساحة العمل الإسلامي إلا تياران رئيسيان:

1- تيار الجهاد المسلح وفق فكر الجهاد القائم على عقيدة السلف فكراً وعلى العمل المسلح والصدام مع الطاغوت منهجاً وأسلوباً.

2- تيار الدعوة والتربية والعمل عبر المنافذ التي أتاحها الطاغوت في السلطة مباشرة أو في المعارضة وفق التصورات السياسية الديمقراطية عقيدة ومنهجاً وأسلوب عمل.

أما التنظيمات التي أخذت بأسلوب الجهاد ولا تزال في أول طريقها –نسأل الله لهم الهدى والسداد والنصر– فمن شكل الجهاد الذي قام في سوريا على يد تنظيم الطليعة ومن سار بعدهم على نفس النهج والأسلوب – وتنظيمات الجهاد المتعددة في مصر – وتنظيمات الجهاد المسلح في لبنان وفلسطين والأردن – والجزائر – وليبيا – وتونس (مؤخراً) – وتركيا (أيام الحرب الأهلية) وكثيراً من نويات التنظيمات التي تقوم الآن في معظم إن لم يكن سائر بلاد العالم الإسلامي.

وليس نقد هذه الحركات وتقييمها محل هذه الفقرة (وإن كنا حاولنا في دراستنا للتجربة السورية في الجزء الأول من هذا الكتاب تقديم الكثير من النقد والتقييم والتنظير لحركة الجهاد العالمية المقبلة إن شاء الله). وإنما سنفرد السطور الباقية لتقييم ومعالجة وإلقاء الضوء على هذا البلاء الأعظم الذي أحاط بالعمل الإسلامي وأقصد التيار الديمقراطي (ونسميه عملاً إسلامياً على سبيل العموم والتجاوز، لأنه لا يمكن اعتبار أي عمل قام على منهج ديمقراطي إسلامياً بأي معيار من معايير الشرع الصحيحة والله أعلم).

- ومن أبرز الجماعات الإسلامية المعاصرة التي تردت في تبني منهج الديمقراطية الجماعات التالية:

1- الإخوان المسلمون فرع سوريا: وقد قاموا –كما بينا– بإنشاء تحالف وطني لتحرير سوريا بالاشتراك مع الأحزاب العلمانية والشخصيات المرتدة وهم: حزب البعث السوري الموالي للعراق – الناصريون – القوميون العرب – المستقلون (طائفة من العلمانيين والماسونيين). وأعلن ذلك في (12) مارس 1982 –كما قاموا بتطويره إلى ما أسموه (جبهة الإنقاذ الوطني لتحرير سوريا حيث انضم إضافة إلى ما سبق الحزب الشيوعي السوري المنشق عن (خالد بكداش) بالإضافة لحزب التجمع الوطني الديمقراطي (وهم ضباط وشخصيات نصيرية من الموالين لرفعت الأسد شقيق حافظ الأسد). وقامت هذه الجبهة في 23شباط 1989 وأعلن عنها من باريس –كما بينا– واتفقوا على إسقاط أسد بالكفاح السياسي، وإقامة نظام ديمقراطي برلماني دستوري يكفل حرية الاعتقاد والتعبير والتجمع والصحافة وتأليف الأحزاب.. وترك باب الانتساب مفتوحاً لهذه الجبهة لكل من وافق على ميثاقها وقد شارك في قيامها جناحي الإخوان (أبو غدة) و (سعد الدين).

2- الإخوان المسلمون في مصر:

وقاموا في آخر عهد مرشدهم التلمساني بالتحالف مع حزب الوفد (العلماني)، ثم حزب العمل الوطني (العلماني)، لدخول البرلمان وفعلاً كان لهم أعضاء فيه وهم يسعون إلى إنشاء حزب سياسي معترف به لدخول البنية الديمقراطية المصرية بشكل رسمي ومازال إعلامهم يؤكد هذا الاتجاه بكل صراحة وعلى لسان مرشدهم العام الجديد حامد أبو النصر.

3- الجبهة القومية الإسلامية السودانية (جماعة حسن الترابي):

وهم جماعة إسلامية سودانية محلية عريقة في إرساء قواعد الديمقراطية في السودان، وقد سبق لهم في تجارب طويلة، فقد تحالفوا مع نظام جعفر النميري نفسه وشاركوا في السلطة العليا، ثم كانوا جزءاً من البنية الديمقراطية مع الأحزاب بعيد انقلاب سوار الذهب، ثم كانوا وراء انقلاب (ثورة الإنقاذ) ومازالوا في السلطة إلى اليوم، وهم يأطرون وينظرون للمنهج الديمقراطي ويدعون إليه عبر كل وسائل إعلامهم وأدبياتهم. ويعتبر (الترابي) من أعرق الديمقراطيين داخل دائرة العمل الإسلامي.

4- الجماعة الإسلامية في باكستان:

وهي باختصار من الجماعات الداخلة ضمن النظام البرلماني الباكستاني وقد نسف القائمون عليها بعيد رحيل المودودي رحمه الله معظم أسس ومبادئ المفاصلة التي أرساها إمامهم الراحل، وطوروا نظامهم البرلماني الذي بدأ فيما يبدو قبل رحيل المودودي غفر الله له.

5- حزب السلامة التركي (حزب الرفاه حالياً):

ويرأسه (نجم الدين أربكان) وهو من أعرق الإسلاميين الديمقراطيين، ومازال يمارس بحزبه هذه اللعبة منذ سنوات طويلة، وقد وصلوا لعدة مراكز حكومية عبرها وكان هو نفسه في مرحلة من المراحل نائب رئيس الوزراء.

6- الاتجاه الإسلامي التونسي (حزب النهضة):

ويرأسه مؤسسه (راشد الغنوشي) وهو من الديمقراطيين البارزين في العمل الإسلامي ومن أشهر المؤطرين لهذا الاتجاه، ومازال حزبه يناضل كي يحصل على اعتراف رسمي به كحزب سياسي في بلده دون جدوى، وكانوا قد دخلوا الانتخابات أكثر من مرة ولم يستطيعوا أن يكسروا حصار حكومة (زين العابدين بن علي) إلى الوقوع في حلف مع السلطة وفر الآخر خارج تونس ليسعى في قيام تحالف ديمقراطي بالتعاون مع المعارضة التونسية العلمانية لإسقاط بن علي!

7- الإخوان المسلمون في الكويت:

وهم من أوائل من دخل التجربة الديمقراطية عبر (مجلس الأمة) الذي كان لهم فيه أعضاء إلى جانب شخصيات وكتل السياسيين العلمانيين الكويتيين، ولما اصطدم نشاطهم بإرادة الأمير (جابر الأحمد) قام هذا الطاغوت الأخير بحل مجلس الأمة، ولما عاد المجلس للظهور عادوا للمشاركة بكل جد ونشاط، إلى أن أرسل الله عليهم عساكر صدام فاجتاحت البلد، فانتقلوا للخارج يندبون حظهم العاثر ويدعون لعودة الحكومة الأميرية الشرعية، وقام داعيتهم القطان (طويل اللسان) بالدعوة لذلك وجاب البلدان يدعو لعودة الحكومة الشرعية للأمير المخلوع كي يعودوا لممارسة دعوتهم الديمقراطية وصولاً لإقامة الحكم الإسلامي كما يزعمون. وينتظر أن يعودوا لغيهم مع قيام أول نظام ديمقراطي في الكويت التي حررتها أحذية عساكر أمريكا!

8- الإخوان المسلمون في اليمن:

وقد انتهى بهم المطاف أيضاً ومنذ عدة سنوات إلى دخول برلمان اليمن الشمالي متذرعين بأن حكومتها السالفة إسلامية، وأن دستورها إسلامي كما كان يقول الشيخ (عبد المجيد زنداني)[1]. فلما قامت الوحدة وعلاها دستور كافر انضموا للمعارضة يطالبون بإسقاط بعض القوانين والتشريعات الكفرية في دستور دولة الوحدة وإعلان أن الشريعة هي مصدر التشريع الوحيد، ومايزال الوقت مبكراً لتصور موقفهم حيث أُقِرَّ الدستور رسمياً بانتخابات شعبية عامة قاطعوها وتوعدوا بالجهاد.. ومرّ حتى الآن عدة شهور وبدأوا يصرحون أنهم سيعارضون سياسياً.

9- الإخوان المسلمون في الأردن:

وقد حققوا نهاية ما يحلم به سائر الإخوان السالفين ويناضلون من أجله، فقد دخلوا البرلمان وتمثل كتلتهم في مجلس النواب أهم كتلة فيه ورئيس البرلمان (عبد اللطيف عربيات) هو من الإخوان، كما أنهم دخلوا لأول مرة في تشكيليل الوزارة الأردنية ولهم فيها خمسة وزراء بالإضافة لاثنين من الكتلة الإسلامية، فيكون للإسلاميين سبعة وزراء من أصل خمسة عشر، وأهم ما في مشاركتهم

[1] بل إنه كان يقول أنه لا يعلم على الأرض حكومة إسلامية إلا حكومتي اليمن الشمالي والمملكة العربية السعودية. ذكر ذلك بعض الإخوة الثقاة الذين سمعوها منه مشافهةً. وهو من قيادات الإخوان المسلمين في اليمن بل من أكثرهم تطرّفاً فتأمل.

استلامهم لوزارة العدل! وزارة الحكم بغير ما أنزل الله!!! (حيث استلم هذه الوزارة ابن المراقب العام للإخوان المسلمين في الأردن وهو المدعو ماجد بن عبد الرحمن خليفة!) والمراقب لهذه التجربة وما أفرزته من كتابات وأدبيات يقع على حشد من المصائب، أولها الشهادة على الكفرة بالإسلام وثانيها إعلان موالاتهم، وثالثها المشاركة في صدور تشريعات البرلمان الأردني، ورابعها تسلم وزارات مباشرة منها وزارة العدل.. والحبل على الجرار. وقد بررواكل هذا برأي سفيه لا دليل عليه من شرع ولا دين وهو إيصال صوت الحق للشعب عبر المنابر الرسمية وما شابه هذا من الادعاءات الباطلة!

10- جبهة الإنقاذ الإسلامية في الجزائر والإخوان المسلمون الجزائريون:

وهم على اختلاف توجهاتهم، ومدى بعدهم وقربهم من الحق والطروحات الجهادية ومدى صدق مقاومتهم للطاغوت المتسلط على الجزائر يشتركون في ارتضاء النظام الديمقراطي حكماً في الصراع السياسي وهو قضية الانتخابات، وعلى الرغم من أن الفكر المعلن لجبهة الإنقاذ ولاسيما خطابات الأخ علي بلحاج حفظه الله تبشر بخير إلا أن ارتضاء المنهج الديمقراطي –ولو تقية- زلة عظيمة اضطرت قيادتهم ولاسيما الناطق الرسمي الأخ عباس مدني لكثير من المواقف المحرجة مع الإعلام المحلي والعالمي اضطر فيها للشطط الشرعي من وراء قبول هذا المنهج الديمقراطي نسأل الله لهم السداد. أما الإخوان المسلمون الجزائريون فيكادون أن يكونوا حلفاء للحكومة الكافرة هناك.

ونكتفي بهذه الإشارة المجملة لأهم الحركات والتيارات الإسلامية التي أخذت بهذا المنهج الديمقراطي الضال وما بقي من الحركات الفرعية الأخرى لم تخرج في زلتها عما قدمنا.

هذا عن الحركات أما عن العلماء والمفكرين والأدباء الإسلاميين ممن تبنوا المنهج وأصبحوا من دعاته فقائمة تطول، ضمت أخيراً أمثال الشيخ القرضاوي والشيخ الغزالي، فضلاً عمن عرفوا بهذا الاتجاه من قبل من أئمة هذا المذهب الضال (الديمقراطية) من المعدودين على رجال العلم والفكر والأدب الإسلامي.

- وبعد هذا السرد نصل بيت القصيد الذي يهمنا وهو السؤال الهام الذي حاولنا الإجابة عليه في الفصل الثالث من هذا الكتاب (الجزء الثاني) وهو كيفية تعامل الجماعات الجهادية المسلحة العاملة مع كتل ورموز وجماعات العمل الإسلامي ذات المناهج المخالفة ولاسيما التي تشتبك معها في دائرة التعرض للحكام والتي اتخذت أخيراً المنهج الديمقراطي أسلوباً.

وقد حاولت في الفصل الثالث المذكور أن أنصح بتجنب الصدام ما أمكن بين الحركات الإسلامية. وأن العمل والجهاد هو مقياس حكم المسلمين على جماعة ما، وأن المخلصين من العاملين ولاسيما الشباب في قواعد تلك الحركات بالإضافة لعوام الناس سيفيؤن للحق عندما يرون العمل والقدوة وهذا صحيح، ومازلت أعتبره كذلك. إلا أني ذكرت أيضاً أن ثمة تقاطعات في دائرة العمل الإسلامي لا بد وأن تحمل احتكاكاً بين جماعات الجهاد وسواها ولا بد من أن يكون هناك حوار وبيان وحجة وسيكون المنهج هو نقد الآخرين بالدليل والحجة الشرعية، بصرف النظر عن اعتبارهم ونظرتهم لهذا النقد هل هو تهجم وتجريح أم نصح ووصول للحق والصواب، ومع إجمالي هذه حاولت أن أنصح الشباب المجاهد أن يتجنب التجريح والصدام والتهجم الذي لا طائل تحته. ولا دليل معه، وأن يكون العمل بين الجماعات العاملة للإسلام إما تعاوناً وتناصحاً، وإما نقاشاً مدعوماً بالدليل. ولا مهادنة في أمور الدين وأساسياته ومسلماته في السياسة الشرعية.

إلا أن السنوات القليلة الماضية حملت ولاسيما على يد تنظيمات الإخوان المسلمين ومن على شاكلتها. ممارسات وطروحات ومواقف تجعل دائرة التقاطع والتصادم معها أكبر وأكثر سخونة، مما يضطرني هنا إلى الإضافة التالية تحت نفس العنوان ونفس السؤال "قضية التعامل مع الجماعات والكتل الإسلامية غير المجاهدة" ! وأريد أن ألفت النظر هنا إلى قناعات تولدت لدي من

خلال متابعة مدارس العمل الإسلامي والممارسة والاحتكاك بهذه التيارات أسميها اختصاراً (ضرورة اعتماد أسلوب البناء والهدم في قضية الفكر والمنهج).

مفهوم البناء والهدم:

بعد تطور فكر وممارسات العمل الجهادي نرى أنه سيصل لا محالة إلى الجهاد على محورين اثنين، أولهما جهاد الأعداء الكفرة المرتدين من حكام ومن وراءهم من القوى الدولية اليهودية والصليبية وغيرها من قوى تتصادم معنا في ساحة العمل السياسي وهؤلاء جهادنا معهم بالسلاح وحوارنا معهم حدده سبحانه وتعالى بقوله "فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب" بالإضافة لدحض فكرهم الكافر بالحجة والبيان.

أما المحور الآخر من جهاد المجاهدين فهو جهاد المذاهب والطروحات والأفكار المنحرفة التي ترفعها العديد من الجماعات الإسلامية ولاسيما "الإخوان المسلمون المعاصرون أصحاب المنهج الديمقراطي ومن على شاكلتهم" ونوع هذا الجهاد هنا "جهاد حجة وبينة ودليل شرعي".

وفي كلتا الحالتين فإن أسلوب الجماعة المجاهدة في معركتها سواء مع الكفرة (بالسنان)، أو مع منحرفي المسلمين (بالبيان) فإن العمل سيكون على محور بناء القوة الذاتية في نفس الوقت الذي نتصدى به لمهمة هدم قوة الخصم، إذ لا يعقل أن أتفرغ لبنائي الخاص تاركاً العدو أو الخصم يبني أيضاً.

أولاً: لأنه لن يتركني وشأني. وثانياً ليس من العقل أن أنسى أهمية الاتيان على بنائه من القواعد قبل أن يشتد ويتأصل.

ففي حالة قتالنا للعدو الكافر فإننا نعد ونتدرب ونتسلح ونبني أنفسنا من خلال معركة مفتوحة نتصدى بها للعدو، فنحاول هدم ما بنى من قوته الذاتية ومنعه من التقدم فيها واستكمالها وهذا بيِّن. أما في الحالة الثانية وهي (جهاد البيان) وتصدينا للمذاهب والطروحات والرايات المنحرفة التي اقتحمت ساحة العمل الإسلامي بكل ضراوة وقوة، فإنه يتوجب على الجماعة المجاهدة أن تبني فكرها السياسي الشرعي وتأطر نهجه وتطور برامجه في نفس الوقت الذي تتصدى فيه لفكر المناهج الهدامة المنحرفة فتقوضها وتهدمها بالدليل الشرعي والأسلوب الشرعي.. ولا يغرنا ولا يخذلنا هنا قول القائل لما لا تعملون بما تقتنعون به وتتركون الآخرين ليتموا بناءهم ويعملوا للإسلام على طريقتهم ولماذا لا نعمل على ما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه؟! فهذا الكلام المزين الذي يراد به باطل مردود من عدة وجوه:

أولاً: هو مردود بأمر الله تعالى إذ قال: "وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه"، "إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيّناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون"، "كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون"، "فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله"، "وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل ا لمجرمين"، وهكذا.. نقض الباطل وبيان ذلك ثم بناء الحق. وهو مردود بسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي كان وهو يدعو لله الواحد القهار يسفه آلهة قريش حتى أنهم كانوا يرجون أبا طالب أن يكف عنها ويرضون منه ما وراء ذلك من الفعل.

كما أنه ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يهدم في نفوس أتباعه الجدد الباطل والانحراف ويملؤها بالحق والهدى، ولذلك قال الصحابي رضي الله عنه: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفرغنا ثم يملؤنا) ولذلك فإن هدم فكر الباطل ولاسيما المتلبس بمسوح الإيمان والإسلام زوراً، عملٌ أساسيٌ على طريق بناء الحق صافياً لا تشوبه شائبة.

ثانياً: أن المجاهد وهو يبني فكره ويوضح منهجه، يتعرض لشبهات هؤلاء المضلين ولوثاتهم الفكرية، ولا بد له وهو يحض أتباعه ومريديه ومن يدعوهم للخير الذي عنده من رد تلك الشبهات ونقضها. لاسيما أنها ما قامت وما ساعد الطواغيت على انتشار

شعارها إلا لسحب البساط من تحت أرجل المجاهدين وتفنيد مزاعمهم الجهادية.. فكيف لا نقاوم (الديمقراطية الإسلامية) التي لبست على الناس طموحاتهم، حتى يقول قائلهم: إذا كان الحكم بالإسلام سيتحقق بالحسنى عبر البرلمان، فلم القتال والدماء والفتن الوطنية..؟! وكيف لا يتصدى المجاهد لهدم هذا الزيف قبل عرض فكرته وأثنائها.

ثالثاً: أن هؤلاء (الديمقراطيين المسلمين)[1] يسيرون في طريق يسعون من خلاله لأن يكونوا ضمن السلطة وضمن هياكلها الحكومية الرسمية (وزارات، برلمانات، ...) والمجاهدون وهذه السلطات في حالة حرب وقتال، فيجب قطع الطرق عليهم حتى لا نكون وإياهم لا سمح الله في حالة حرب فعلاً وينقل صدامنا –لا قدر- من جهاد البيان إلى جهاد السنان.. وإلا فكيف سيكون موقف وزير العدل (ابن الحركة الإسلامية التي انحرفت للديمقراطية) من مجاهدين يقفون في محاكم الطاغوت لأنهم يحاربوه؟ بل كيف سيكون موقف المجاهد من هياكل حكومة تحاربه وتطارده وتسجنه وتفعل به الأفاعيل؟ وكيف لا يعتبر كل من في هذه الحكومة وكل من دافع عنها طائفة كفر ممتنعة بكل من فيها وبكل من في هذه الحكومة وكل من دافع عنها طائفة كفر ممتنعة بكل من فيها وبكل ما تستأهل من أحكام؟! إن الأمر –إخوة الإسلام- خطير ويجب التنبه له قبل حصوله لاسمح الله. فنحن بجهادنا لهم بالحجة نتجنب إن رددناهم للحق أن نتصادم معهم وهم في صف الطاغوت لا سمح الله.

رابعاً: قد يكون الأمر غير واضح إذ لم يذكر المثل، فانظر إلى أمثلة مرت..

بماذا يعلق المجاهد ويردون على المرشد العام السابق للإخوان (التلمساني) وهو يقول (السادات قتل مظلوماً! ولو كنت أعلم بالحادث قبل حصوله لبلغت البوليس!) وماذا يقولون للغزالي الذي سخّر قلمه وفكره ضد السلفيين والجهاديين في مصر وكان يقول عنهم (أنهم يحملون كناسة الفكر الإسلامي!) ويرصد قلمه لمقاومة الإرهاب كما يسمون الجهاد! وكيف يعرضون عن المرشد الحالي للإخوان وهو يقول في أحد لقاآته (لما قُتل السادات رحمه الله سئل سيادة الرئيس حسني مبارك: هل قتله الإخوان فقال لا فعلمنا أنه رجل صادق!) وبماذا ترد على رئيس البرلمان الأردني عضو الإخوان المسلمين عبد اللطيف عربيات وهو يرفع رسالته للملك بعد خطابه (الذي ألقاه أيام الحرب وملأه كفراً وانحرافاً كعادته) بقوله: مولاي الملك حسين المعظم حفظه الله نحن مع كل كلمة قلتها وكل موقف وقفته ولقد أثبت أنك كما كنت دائماً هاشمياً أصيلاً ويعربياً أصيلاً .. الخ.

وماذا تقول ليوسف العظم أحد كبار الإخوان وهو يهاجم ويسفه فعل المجاهدين الذين يعبرون الحدود لقتال يهود ويصف عملهم بالطيش والصبيانية وأنه خطر على مكاسب الدعوة!.

وكيف يسكت مجاهد ضحى بدمه وخاطر بعرضه ومستقبله وكل ما يملك وخرج مجاهداً النصيرية في سوريا، ثم يرى الإخوان وهم يقيمون مع كفرة الأحزاب والمرتدين والنصارى والدروز والماسونيين والناصريين والاشتراكيين وأخيراً الشيوعيين والنصيرية أنفسهم (جبهة الإنقاذ الوطني لتحرير سوريا) وينصون بلا حياء ....على أنهم يريدون إقامة نظام حكم ديمقراطي دستوري برلماني يكفل حرية الاعتقاد والتعبير والأحزاب والصحافة.. وكيف يسكتون على الشيخ العالم الضال المضل (سعيد رمضان البوطي) وهو يمتدح حافظ الأسد وزمرته ويقول عنه أنه الرئيس المؤمن وأنه يريد صالح الإسلام في سوريا ويندد هذا المفتون بمن خرجوا عليه من المجاهدين وينسب إليهم ضرب الإسلام في هذا البلد. بل يقول لبعض من زاره لما زار الأردن مؤخراً. أن الأسد وبعض قياداته من مريديه وتلاميذه وأنه يتأثرون به ويهتدون!!

---

[1] كما بيّنا في مقدمة هذه الفقرة فإن (الديمقراطية) فكر وعقيدة ومنهج ونظام ضال أفرزته الحضارات الغربية الوثنية وطورته وتبنته الحضارات المسيحية الوثنية المعاصرة. فكلمة ديمقراطية تدل على جنس معتقد مسيحي أو يهودي أو شيوعي أو غير ذلك.. وللأسف فإننا لو قلنا (شيوعي إسلامي) أو (يهودي إسلامي) لأنكر ذلك ولكن اصطلاح (ديمقراطي إسلامي) و (قومي إسلامي) و (وطني إسلامي) أصبحت شائعة ومستساغة لدى هؤلاء المنحرفين!.

كيف تسكت وها هو الغنوشي أحد أعمدة الديمقراطية في العمل الإسلامي يقول في الديمقراطية (هذه بضاعتنا ردت إلينا) يقصد أنها خرجت من الشورى التي جاء بها الإسلام! ويوضح في إحدى مقابلاته فيقول مختصراً عن أمثاله بصراحة عجيبة فيقول: (نحن نعرض الخير الذي عندنا "الإسلام" على الشعب، والأحزاب تعرض الشر الذي عندها "العلمانية والإلحاد" على الشعب من خلال الأجواء الديمقراطية التي ارتضيناها حكماً بيننا، فإذا اختارنا الشعب، حكمنا بالإسلام وسمحنا للكفر أن يعرب عن رأيه بحرية، لأن الإسلام لا يخشى عليه من الحرية بل يخشى عليه من الاستبداد.

وإذا الشعب اختار الكفر رضينا بحكمه على أن يسمح لنا بحرية رأينا وفكرنا، وكيف نُكرِه الشعب على الإسلام إكراهاً ولا إكراه في الدين؟!.. علينا أن نعمل وفق الحرية ونقنع الشعب بالإسلام فالحكم الأول والأخير في قضية الكفر والإيمان هو الشعب؟؟)

فلما يسأل عن الجهاد والعنف يقول: (إن القتال بغيض للإسلام وانظروا لقول الله تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم!)[1]

فانظر إلى كلامه وقياساته واحكم أخي المسلم إن كان هذا مما يسكت عليه حتى يعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه!!، لا والله لا نعذره ولا نسكت عليه...

هل نزيد في الأمثلة؟!. انظر إلى الترابي وفكره ومصائبه وهو الذي سُئِل عن الغنوشي فأجاب: (هذا من أنجب تلاميذي) فانظر في هذا التلميذ وتصور أستاذه؟! ويكفيك.

ولذلك نعيد ونلخص، ليس بوسع حركة جهادية تريد أن يسود منهجها وتضحي في سبيله بالنفس والنفيس، أن تعرض عن هذه التيارات التي تضع في طريقها كل العراقيل بقصد وبغير قصد، فمجرد رواج هذا (الضلال الإسلامي) –وللأسف صار بالإمكان استعمال مثل هذه المصطلحات على طريقتهم في (الديمقراطية الإسلامية) و (الاشتراكية الإسلامية)– إن مجرد رواج هذا الفكر وعدم التصدي له بجهاد الحجة والدليل والبيان هو تهديد لمنهج الجهاد ومدرسته وفكره..

ولا بد بحكم الأمر الرباني وحتى لا يكون من الذين كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه أن نجابه هذا السعار والسيل العرم حتى ننظف ساحة العمل للإسلام من هذه الترهات ونقيم فكرنا الناصع الواضح ببيان وأصول في رؤوس أتباعنا ومجاهدينا ونزرعه في بصيرة أنصارنا وننقذ المسلمين من هذا الضلال..

وإننا في الوقت الذي ندعو فيه لهذا، نركز على أهمية اتباع منهج السلف الصالح في جهاد الحجة، الدليل الشرعي، والأدب الإسلامي الأصيل.. "ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة"..

سيقول السفهاء ممن يسمون قادة العمل الإسلامي أو علماء الإسلام –يسمون كذلك زوراً وبهتاناً سيقولون–: هذا تطرف، هذا إرهاب، هذا ضياع لجهود المسلمين، وسيذهب آخرون لإلقاء التهم وسيقولون كيف تكفرون المسلمين؟! وهنا يجب الإيضاح .. لأنهم يلصقون هذه التهمة بكل من خالفهم.. لأنهم مفلسون.. علينا الإيضاح لأنّا لا نكفّر إلا من أوجب الشرع كفره ولسنا نكفّر المسلمين!.

إن هذه الأفكار الديمقراطية كفر وضلالة، وإن البرلمانات والوزارات في حكومة الطاغوت ردة وجاهلية. ولايجعلها دخول أقطاب العمل الإسلامي في دوامتها مشروعة، وإننا لا نكفر أحداً من هؤلاء المسلمين بعينه، فرب مانع لدى هؤلاء الضالين في هذه المتاهة يمنع قيام الحكم عليه عيناً من عذر بجهل أو تأول فاسد أو مقصد حسن بدليل باطل.. ولكن عصمتنا لهؤلاء بظاهر إسلامهم لا تمنع من التشنيع على الضلال والانحرف. والحمد لله الذي أكمل دينه وأتم نعمته ولم يتركنا ضياعاً ولا سدى..

هذا ما أحببت أن أضيفه في مؤخرة هذا الكتاب تحت عنوان تعامل المجاهدين مع الجماعات الإسلامية الأخرى..

---

[1] ذكر هذا في مقابلة له مع مجلة (العالم) ذات الاتجاه الشيعي الرافضي.

"فـإن آمنـوا بمثـل مـا آمنـتم بـه فقـد اهتـدوا وإن تولـوا فإنمـا هـم في شـقاق فسـيكفيكهم الله وهـو السـميع العلـيم".

ثالثاً : حرب الخليج والحملة الصليبية اليهودية الأخيرة على ديار الإسلام، وأثرها على الفكر الجهادي منهجاً وأسلوباً:

إن هذا العنوان الخطير يمكن أن يكتب به وحده مؤلف ضخم، ولن أستطرد فيه رغم ما يحضرني من مواضيع شديدة الأهمية أرجو من الله تعالى أن يتيح لي الوقت والظرف للحديث فيها في مجال آخر، ولا أريد أن يمتد الكتاب ويتضخم أكثر مما هو عليه خشية الإملال والإجهاد على الإخوة القراء –أرجو الله أن ينفع بهم– ولكني سأكتفي بالإشارة إلى بعض النقاط البارزة كعناوين دون تفصيل:

1- أن هذه الحرب الظالمة السافرة هي محاولة جادة لإعادة احتلال بلاد المسلمين مباشرة بالتعاون مع قوى الكفر والردة المحلية من حكام تلك البلاد ومن والاهم ووقف معهم، وكل تعريف لها بغير هذا السياق هو تزوير لا يخرج مفتعله عن دائرة عداء الإسلام، أو النفاق لأعداء الإسلام لسبب أو لآخر.

2- أن هذه المصيبة الكارثة قد حملت في طياتها فضلاً عظيماً من الله تعالى للمسلمين، إذ عرت المستور أمام من كان على بصيرته غشاوة دفعة واحدة، فقد كشفت حقيقة الحكام المتسلطين على رقاب المسلمين، وكشفت حقيقة وحجم من يسمون علماء الإسلام حيث تقاسمتهم معسكرات الضلال المتصارعة على أرض الإسلام، في معسكرات الحلف الصليبي ومن والاه، أو معسكر الراية الخليطة ومن ضل تحتها (وأمل الإسلام في صدام الكافر المرتد) ولم ينج من هذا إلا النذر اليسير ممن رحم الله، كما أنها كشفت هزال العمل الإسلامي وتشتته وتخلفه وافتقاره للمنهج والقيادة وكل مقومات النهوض بواقع الأمة، مما يستدعي إعادة جادة في كشوف الحسابات الماضية للنهوض بجدية إزاء هذا الخطب الجلل.

3- أن هذه الحرب وما خلفته على هذه الأمة من صدمة في كل شيء ستكون بإذن الله معلماً بارزاً بين مرحلتين متمايزتين تماماً على صعيد العمل الإسلامي ومنهجاً وممارسةً، مرحلة العمل والفكر الإسلامي قبل الحرب ومرحلة ما بعد الحرب. والمطلوب من الجماعة التي تتصدى لنهضة الأمة أن تنطلق بجدية حقيقية في دراسة كل ما سلف من تجارب وتشخيص ما وقع عبر هذه الحملة من مصائب ووضع حلول جدية إزاء هذه المصيبة.

4- أن هذه الحرب وما خلفته فرزت القوى الفاعلة فيها إلى شرائح رئيسية هامة يجب تحديد أبعادها ودورها وأثرها بدقة ووضوح لتحديد الموقف إزاء كل منها بوضوح:

أ- أمريكا والغرب الصليبي واليهود مِن وراءهم. قوة عسكرية طاغية تفرض وجودها وثقلها في المنطقة بكل وضوح وعنفوان.

ب- حكام مرتدون خونة. ربطوا مصيرهم ووجودهم بهذه القوى ودخلوا معها في ترتيبات ظاهرة وخافية، وأصبحوا للمحتل الأخير قاعدةً وحليفاً ودليلاً وضابطاً لكل إمكانية مقاومة وجهاد في المنطقة.

ت- علماء الإسلام والشريحة التي كان من المفروض فيها أن تحمل المسلمين إلى ما يجب أن يكونوا عليه. توزعوا بين منافق للحكام مدافع عنهم، وبين ساكت عن الحق متأول بالخوف أو الفتنة، ولم تسجل هذه الشريحة إلى الآن أي بشائر بعلماء يقودون هذه الأمة في محنتها وهذه من أكبر مصائب هذه الكارثة.

ث- الحركات الإسلامية على اختلاف مواقفها، وتتبنى موقفاً هزيلاً يميل إلى الرضوخ للأمر الواقع، ومهادنة الحكام والتحرك بصورة لا تتناسب مع حجم الكارثة.

ج- الشعوب المسلمة أبدت بلادة عجيبة. وكأنها لا دور لها ولا فاعلية، ورغم العواطف الجياشة وتيار الحقد على أوكار الغرب، والحنق على الحكام وهذه من المبشرات إلا أنها لم تفرز عملاً فاعلاً يمكن الاعتداد به

ح- تيارات وتنظيمات الجهاد تمكنت من خلال الأزمة أن تتبنى موقفاً سياسياً شرعياً صحيحاً بالإجمال، فنجت من الوقوع في فخ صدام كما أنها استقرت على عداء أمريكا وحلفائها، وهذا وحده مبشر بانطلاقة رائدة. إلا أنها حتى الآن لم تفرز منهجاً جهادياً ولا قيادة بالسوية المطلوبة رغم امتداد هذه التنظيمات قاعدياً وأفقياً بشكل جيد. وتبقى المشكلة كما أسلفنا مشكلة المنهج والقيادة. وهما العاملان اللذان يجب التركيز عليهما للنهوض بواقع العمل الجهادي.

5- وحدت هذه الهجمة الصليبية اليهودية المتحالفة مع قوى النفاق من سائر حكام المنطقة العربية والإسلامية، وحدت قضية الجهاد وطرحتها ببعدها العالمي لاسيما على صعيد العدو والفكرة، وهذا الاتجاه تبدو بوادره الآن بأكثر من ظاهرة وهو أمر يجب التركيز عليه للخروج من معضلة التقوقع الإقليمي والقطري الذي يحكم تصورات كثير من التنظيمات الجهادية.

إن هذا البعد العالمي لقضية الجهاد اليوم في مواجهة القوة المعادية ذات المناحي الثلاثة اليهود، الصليبيون، قوى النفاق المحلي[1]، يجب أن تكون هدف المخططين والمنظرين لمرحلة الجهاد المقبلة ولا بد من قيام حركة جهاد عالمية يجمعها –وإن توزعت إدارياً حسب ضرورات الواقع الممزق- يجمعها منهج موحد وتصور موحد على صعيد القيادات الجهادية لتوظيف الجهود في اتجاهات رئيسية مجدية.

6- طرحت هذه الحرب لأول مرة ضرورة اعتماد أسلوب الإرهاب الشعبي الموسع ضد أشكال العدو المختلفة الوجود، إذ أن الامتداد الأفقي للتواجد الاستعماري في طول بلاد المسلمين وعرضها يجعل المهمة أكبر من أن تقوم بها تنظيمات وشراذم جهادية نوعية لا تتمتع بالمد الشعبي الواسع.. إن عامل الشعوب الإسلامية ودورها في مثل هذه المعركة الواسعة مازال مهملاً، ويجب زج مئات الملايين من المسلمين في هذه المعركة وهذا يحتاج لمنهج يستوعب جهود وتصورات المسلمين يتمتع بالحركية والمرونة ويستفيد من التأجج العاطفي لدى المسلمين. ويجب تحويل هذه المعركة من معركة النخبة إلى معركة الشارع المسلم مع مختلف أشكال العدو ومختلف طبقات المتعاونين معه.. وهذا موضوع يحتاج للبحث والتنظير لتأطير موجة الإرهاب العام للجهاد في سبيل الله ومواجهة هذه الحملة الهائلة.

باختصار نقول: إن هذه الحرب الصليبية وما حشدته في مواجهة قوى الإسلام والجهاد بالإضافة لحربنا المفتوحة مع طواغيت بلاد الإسلام منذ عقود، تحتاج لوقفة طويلة متأنية من قيادات الجهاد الميدانية العاملة المستضعفة. وقفة تراجع فيها ما مر من تجارب وتصنف فيها ما أفرزه الواقع من قوى معادية أو محايدة أو صديقة. ثم وضع منهج هذه الانطلاقة العظيمة التي سيكون لها إن وفق الله أثرها على مستوى الأمة وتاريخها.

إن مشكلة الانطلاقة في عاملين اثنين مازالا بحاجة إلى انضاج ورسوخ أولها المنهج الشرعي السياسي الحركي العسكري الذي سيتحرك في رسم خطى هذه المعركة وثانيهما قيادة عاملة على مستوى الأزمة علماً وفكراً وقدوة وسلوكاً..

وبانتظار أن يهيئ الله لهذه الأمة أمر رشد، ليس لنا إلا أن نؤكد على ضرورة العمل والثبات والاستمرار وبذل الجهد..

---

[1] وهم الحكام المرتدون ومن وقف في صفهم من التيارات السياسية الضالة والحركات الإسلامية المنحرفة المنافعة للحكام وعلماء السلاطين الضالين الذين يصدق فيهم قول الله تعالى: "واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا كلها فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين. ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث. ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون".

وما هذا الجهد المتواضع المبذول في هذا الكتاب إلا لمحات هامة رأينا إيضاحها على هذا الطريق الصعب والله المستعان.. وقبل أن نغادر هذا الكتاب أرى الإشارة إلى نقاط أساسية هامة يجب وضوحها وإعلانها في بداية التأسيس والتأطير والدعوة لأي عمل جهادي من الشكل الذي ندعو إليه..

مبادئ آمنت بها، تمثل خلاصة ما وصلت إليه من الاعتقاد والتفكير في هذا المجال أعتبرها نواة للمنهج السياسي الشرعي الذي لايقوم عمل جهادي صحيح ولا يكتمل إلا به. سأوردها إيجازاً في نقاط رئيسية. وأسأل الله تعالى أن يعيننا في إصدار مقبل على تقديمها مفصلة متكاملة مشفوعة بالأدلة الشرعية المأصلة.

وسأذكرها بعنوان : مبادئ وأساسيات في المنهج الشرعي للكتائب المجاهدة في سبيل الله:

مبادئ وأساسيات في المنهج السياسي الشرعي للكتائب المجاهدة في سبيل الله

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

منذ سقوط الخلافة وتفتت الكيان السياسي للدولة الإسلامية وسقوط كافة بقاعها تحت الاحتلال المباشر وغير المباشر الذي فرضته القوى الصليبية واليهودية عليها، ومحاولات النهوض بالأمة الإسلامية والعمل للإسلام وإعادة خلافته قائمة في كثير من بقاع العالم الإسلامي. إلا أن هذه المحاولات لاقت الكثير من التعثر والمشكلات وتعرضت للكثير من الفتن والمؤامرات وماتزال معظم المحاولات بعيدة عن تحقيق هدفها السامي بل إن الكثير منها تعثرت وتردت في مطبات كادت أو خرجت بها عن المنحى الإسلامي أصلاً أو جنحت بها بعيداً عن الجدوى في كثير من الأحيان.

ولاتعدو الأسباب التي قصرت بالجماعات عن بلوغ الهدف، -حسب وجهة نظرنا- أحد أربعة أسباب:

1- البعد عن منهج الإسلام القويم، وعدم اقتفاء الكتاب والسنة الشريفة، وتغليب المصلحة وأهواء العقول والرؤى السياسية لدى العاملين على ضوابط الشرع الحنيف (كما حصل لمدرسة الإخوان المسلمين ومن على شاكلتها وطريقتها).

2- الابتعاد عن منهج فهم الواقع المعاصر وظروف الدعوة وما يحيط به وإقران ذلك بالمنهج الشرعي والتزام النصوص، مما أدى إلى الدوران بالمبادئ الشرعية الصحيحة في فراغ التصور البعيد عن الواقع (كما حصل للكثير من المدارس العلمية السلفية النظرية البحتة لدى بعض الجماعات وغالبية العلماء الساحقة).

3- النكوص عن الجهاد الفعلي وتجنب التضحيات وتبني سياسة القعود بدعوى البناء القاعدي الطويل المدى رغم المنهج الشرعي المنضبط وتفهم الواقع المعاصر لحد كبير (وحصل هذا للقليل من الحركات التي قطعت شوطاً جيداً في ضبط نظريتها السياسية الشرعية إلا أنها قعدت عن الجهاد عملياً).

4- ظهور حركات ضبطت مسيرتها بمنهج شرعي سياسي واضح واقتحمت ميدان التطبيق الجهادي ولكن دون الإعداد الحقيقي لما تستطيع من قوة فكانت محاولاتها فجة غير ناضجة، سيطر عليها التوكل السلبي والاستعجال غير المخطط كما يحصل لمعظم الحركات الجهادية.

ومع الوقت بدأت العديد من الحركات الجهادية حساباتهاوتستفيد من تجاربها وتجارب غيرها وولد في ساحة العمل الإسلامي الجهادي عديد من المحاولات عبر جماعات جهادية منضبطة المنهج السياسي الشرعي لحد مباشر بالخير، نرجو لها التوفيق إلا أن عامل التشرذم والإقليمية مازال يطبع الطروحات الجهادية.

والناظر في تاريخ المسلمين بعيد مرحلة الخلافة الراشدة وخصوصاً بعد سقوط الخلافتين الأموية والعباسية وظهور دويلات الطوائف. أن وحدة المجاهدين والعاملين للإسلام لم تكن عبر التاريخ إلا عبر أحد طريقين:

1ً- عدو خارجي يجتاح بلاد المسلمين بخطر داهم هائل يفرض على العاملين وحدة التصور والحركة قسراً حيث يكون البديل عن الوحدة والعمل هو الانتحار والفناء أمامه، كما حصل أيام التتار والصليبيين وغيرها من نوائب التاريخ الإسلامي.

2ً- ظهور جماعة أو دولة أو كتلة إسلامية تجمع الحدّ الأدنى من التصور السليم إلى الإعداد السليم ويوفقها الله تعالى لإحراز نصر حاسم وسط دياجير الظلمة والهزيمة، فتفتح بنصرها الحاسم قلوب المسلمين، فتفيء إليها سائر الجماعات المخلصة ومعظم قواعد وجنود الحركات والتجمعات الإسلامية الأخرى، ولا يبقى حولها إلا شراذم تزعم العمل للإسلام ولا تنضم إليها حرصاً على الملك والزعامة، فتذوي هذه الأخيرة تلقائياً أو تجتاحها المحاولة الإسلامية الوليدة الناجحة وتضمها قسراً وبالقوة بعد أن أصبحت الشرعية الحقيقية للسلطة الإسلامية. وقد حصل هذا أكثر من مرة في تاريخ المسلمين وأبرزها ظاهرة صلاح الدين الأيوبي، ثم ظاهرة قطز المملوكي وأوضحها سيطرة العثماني وإقامة الخلافة الموسعة بعد فتح القسطنطينية.

أما وحدة العاملين في غير هذين الطرفين فلن تكون موفقة ناجحة –رغم ندرة حدوثها– إلا إذا قامت على عامين اثنين تقوم عليهما هذه الوحدة:

أولاً: وحدة التصور الاعتقادي والعملي أي وحدة المنهج الفكري السياسي الشرعي والأسلوب التطبيقي.

ثانياً: وجود قادة مخلصين لله تعالى مستعدين للذوبان في المجموع ينتصرون على الرياسة والزعامة وحب الذات.

أما الثانية فتتطلب وجود صديقين على رأس العمل الإسلامي نسأل الله تعالى أن يهب هذه الأمة منهم، وأما الأولى فهي الأساس إذ لاتغني الثانية عنها ولايمكنها الحدوث بدونها بطريقة مجدية وعملية.

وبحثنا هذا لتحديد ملامح هذا المنهج الذي نعني ولاسيما في بعده العقيدي والمنهجي وهو ما اصطلح عليه حديثاً بتعبير (الفكر) أو ماتسميه الفلسفة المعاصرة الغربية بـ (الايديولوجيا) وما نسميه بشكل أدق (المنهج السياسي الشرعي) وهو مجموعة المعتقدات والمنطلقات الفكرية والمنهجية التي تشكل قواعد انطلاق أساسي للعمل والتعامل مع مراحله فكراً وأسلوباً أساسياً.

فقد تجاوز العمل الإسلامي والجهادي اليوم مرحلة الحشد العاطفي والعشوائي، ويجب عليه وهو يتصدى لنهضة الأمة ويتصدى لأعدائها أن ينتقل لمرحلة التبلور والفرز والوضوح ونحن كعاملين للإسلام ومجاهدين في سبيل الله إن شاء الله لا بد لنا من تحديد هويتنا وسط زحام المناهج والشعارات ونطرح تصورنا المنهجي السياسي الشرعي تميزاً لطريقنا عن غيره كي تتضح الرؤية لنا ولجنودنا وأعضائنا أولاً ولمؤيدينا والعازمين على العمل معنا ثانياً قبل التحاقهم وذلك "ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة" والله المستعان.

إذ يجب أن يحدد المنهج مجموعة من الأمور والمعتقدات السياسية بوضوح ويجيب عن مجموعة من التساؤلات الهامة بوضوح ويرسم معالم الانطلاقة والتعامل مع مختلف الشرائح المحيطة بالعمل من أعضاء وأنصار ومؤيدين محايدين وأعداء على مختلف أصنافهم.. ويجب أن نحدد:

- من نحن ؟ ما عقيدتنا ؟ ما منهجنا السياسي الشرعي ؟

- ماذا نريد ؟ ما أهدافنا ؟ ما أسلوبنا لتحقيق هذه الأهداف ؟
- كيف نعرف القوى من حولنا ؟ كيف ننظر للديار التي نتحرك فيها ؟
- كيف نتعامل مع تلك القوى ؟

وما إلى ذلك من الأمور الأساسية في العقيدة والمنهج والمنطلقات.

الملامح الأساسية للكتائب المجاهدة في نقاط رئيسية

1- جماعة من العاملين للإسلام. قامت ليتعاون أعضاؤها على البر والتقوى والجهاد في سبيل الله لنصرة دين الله في الأرض وإعادة خلافته الراشدة.

2- عقيدنا: عقيدة أهل السنة والجماعة، وهي عقيدة السلف الصالح بشمولها وتفصيلاتها. نتميز من خلالها عن كافة فرق الضلال ورايات الجاهلية.

3- منهجنا: هو اتباع الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح رضي الله عنهم. وفق منهج إسلامي تربوي شامل، عقيدة وعبادة وسلوكاً، علماً وفهماً وتطبيقاً.

4- أهدافنا: بناء طائفة من المسلمين تقاتل على أمر الله لتكون كلمة الله هي العليا حيثما تيسر لها ذلك. ومن ذلك:

أ- نشر دعوة الإسلام ومنهجها السياسي الشرعي وتميزه عن كافة رايات الانحراف.

ب- إعداد المسلمين للجهاد المسلح إيماناً وسلوكاً علماً وعملاً ونشر روح الجهاد في الأمة.

ت- العمل والجهاد لإقامة حكم الله في الأرض –حيث تيسر- وإعادة خلافته الراشدة.

ث- قتال فراعنة وطواغيت بلاد الإسلام وطوائفهم الممتنعة –بما يتناسب مع برنامج العمل- حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

ج- التصدي للحملات الصليبية واليهودية على عالمنا الإسلامي بكافة أشكالها العسكرية والثقافية والاقتصادية.. ومواجهة حالة الاحتلال المباشر التي تفرضها علينا بالقوة.

ح- الدفع عن دين الله وحرماته ومقدساته وقيمه ونصرة المسلمين المستضعفين ومد يد العون لهم في كل مكان.

خ- وسيلتنا لتحقيق ذلك: الجهاد المسلح وفق سياة الجماعة المرحلية.

وفق منهج سياسي شرعي منضبط بفقه الدليل وأصول السلف من أهل السنة والجماعة، مستفيدين من تجارب العمل الإسلامي السالفة، ومحاولين إضافة خطوة جادة على الطريق.

ثوابت وأساسيات في المنهج السياسي الشرعي للجماعة المجاهدة:

أولاً : أنظمة الحكم والدساتير والتشريعات والقوانين المطبقة في بلاد المسلمين اليوم أنظمة وضعية كافرة، مستوردة من ديار الكفر لا تمت إلى الإسلام بصلة إلا في فرعيان محدودة لا تخرجها في مجموعها عن حالة الكفر الأكبر المخرج من ملة الإسلام.

ثانياً: حكام بلاد المسلمين بناء على ما تقدم وبناء على موالاتهم الكاملة لليهود والنصارى والملحدين بصورة سافرة أو متسترة كفارٌ كفراً أكبر يخرجهم من ملة الإسلام.

ثالثاً: أعضاء الجهاز الحكومي المباشر رئيس الدولة (أو ملكها أو أميرها) ونوابه ووزراءه ونوابهم المباشر وأعضاء البرلمان والجهاز التشريعي في الدولة. هم من الناحية الشرعية الحكام المباشرون بغير ما أنزل الله يدخلون في عموم الآية الكريمة "ومن لم يحكم بما أنزل الهل فأولئك هم الكافرون". منهم فئة كافرة مرتدة خارجة من الملة.

رابعاً: طائفة أعوان الحاكم وكبار معاونيه وقادة أجهزته السلطوية والمدافعون عنه بأي شكل من الأشكال سواء بالسلاح أو الإعلام أو الفتاوى، وكذلك صغار أعوانه وجنوده وقضاته وجلاديه هم طائفة كفر ممتنعة بشكل عام. لقول الله تعالى: "إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين". وقوله تعالى: "والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت". ولا يمنع هذا الحكم العام على الطائفة بالكفر لعموم النصوص أن يكون فيهم من يخرجون عن حكم الكفر بأعيانهم لعذرهم بمانع من موانع التكفير كالعذر بالجهل أو التأويل الفاسدة أو الإكراه أو الشبهة أو انتفاء نية القصد.. الخ مما بينته السياسة الشرعية الإسلامية.

ومن كان منهم معذوراً بعذر معتبر شرعاً فهذا ينفعه في الآخرة بينه وبين الله تعالى، كما في حديث البيداء (ثم يبعثون على نياتهم). كذلك من علم من أحدهم عذراً معتبراً عامله معاملة المسلمين، إلا أنه لا يجب علينا تبين أحواله فرداً فرداً كما لم يفعل الصحابة مع المرتدين. وإنما نقاتلهم جميعاً على صفحة واحدة هي الردة ومن قتل منهم بعثه الله على ما يعلم من نيته وسريرته.

خامساً: إننا بناء على ما تقدم ومن خلال جهادنا في سبيل الله نوجب قتال هؤلاء الطواغيت وطائفتهم الممتنعة بعد إعلان الجهاد ولو كانوا مكرهين أو جاهلين أو غير ذلك. ويبقى قتلهم أو عدمه محل تقدير المصلحة والضرر بعد علم جواز بل وجوب ذلك من الناحية الشرعية إذ ليس بالإمكان تبين أحوال الأفراد لكونهم ممتنعين عن أهل الجهاد.

سادساً: عامة المسلمين ودهماؤهم في بلاد المسلمين حرام الدم والمال والعرض، يعصمهم شهادتهم أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وحسابهم على الهل تعالى، لا نكفر أحداً منهم إلا إذا أنكر معلوماً من الدين بالضرورة أو أتى ناقضاً من نواقض الإسلام وقامت عليه الحجة فاستنكف وأصر.

سابعاً: بلاد المسلمين تعلوها أحكام الكفر. ونظام الحكم فيها بغير ما أنزل الله، والحكام وطائفتهم فيها فئة ممتنعة ذات شوكة قائمة على الكفر وقهر الإسلام والمسلمين.

وجمهور أهلها مسلمون لا نكفرهم، وهم بإسلامهم معصومون كما أسلفنا. ولذلك فهذه الديار كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية اختلط فيها الأمر وتركب فيها المعنيان، فهي من حيث الحكم عليها دار إسلام لكون عموم أهلها مسلمين. وهي من حيث الأحكام التي تعلوها والسلطة المرتدة فيها المحاربة لله ورسوله دار حرب وكفر.

وهي بذلك حالة طارئة كما ذكر ابن تيمية رحمه الله للمؤمن المسلم فيها عصمة الدم والمال والعرض وكل حقوق أهل الإسلام.

وللمحارب المناجز عن الطاغوت فيها ما يستحقه من حلة الدم والمال وأحكام أهل الحرب. وبناء على هذا فأعيان ومؤسسات الهيئة الحاكمة وطائفتها المحاربة حلال الدم والمال للمجاهدين في سبيل الله. أما المسلمون فيها فهم حرام ذلك ويجب تمييزهم والانتباه لذلك "يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا".

ثامناً: سائر المعاهدات والعهود والتشريعات المحلية والاتفاقات الإقليمية والدولية التي أبرمها وقررها الطواغبت في بلاد المسلمين مع مختلف الجهات المحلية ومع طواغيت المسلمين ومع الجهات الاستعمارية الكافرة من يهودية وصليبية وغيرها باطلة شرعاً بطلاناً كاملاً وغير ملزمة للمسلمين لكونها بين حكام لا ولاية لهم لكفرهم وردتهم.

تاسعاً: بناء على ما تقدم فكافة أشكال تواجد الصليبيين واليهود والجهات الكافرة الخارجية والموالية لها محلياً، وهي سند للطاغوت الذي يمثلها ويحافظ على مصالحها، كل هذه الجهات هدف أساسي للجهاد لا تعصمهم منا اتفاقياتهم مع الطاغوت ولا تؤمنهم فهم حلال الدم والمال بإطلاق –من الناحية الشرعية– ويجب تنظيف بلاد المسلمين منهم.

عاشراً: كافة الجماعات الإسلامية –من أهل السنة والجماعة– والتي رفعت رايات جهاد صافية هم أولياء لنا ونحن أولياء لهم وبيننا وبينهم حق النصرة والعون ونحن وإياهن في حلف على أعدائنا من الطواغيت ومن وقف معهم في الداخل والخارج.

أحد عشر: كافة الجماعات العاملة للإسلام من أهل السنة والجماعة، إخوة لنا في الدين نواليهم بقد ما لديهم من حق والتزام بشرع الله تعالى، ولا نقرهم على ما كان لديهم من البدعة والانحراف عن شرع الله ونبرأ من ذلك. ولهم علينا حق التضحية والإرشاد. ننبههم على ما لديهم من الانحراف كي يتجنبوه والحوار بيننا قائم، يفصل بيننا كتاب الله تعالى وسنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم وهدي سلفنا الصالح ويحكم علينا وعليهم الحجة والدليل.

نعتبر دائرة العمل للإسلام كالسفينة التي استهم ناس أعلاها وناس أسفلها ونرى لزاماً علينا واجباً شرعياً أن نقيم الحجة على كل خرق وحدث وبدعة ليس عليه أمرنا، ونبين مدى الانحراف وندعوهم والمسلمين جميعاً للتنبه إليه والعودة عنه.

ونعتبر ذلك من جهاد البيان المتوجب علينا حتى لا نكون من الذين كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه. ولا نعتبر السكوت على ما أتوا به وأشاعوا من باطل وانحراف —حال وجوده– من باب أن يعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه، لأن العذر فيما كان من خلاف التنوع المشروع المؤيد بالدليل الشرعي وليس في الزيغ والهوى والبدعة والانحراف عن منهج الله تعالى.

اثنا عشر: علماء الإسلام وأهل العلم وقادة العمل الإسلامي ومفكروه وأهل الفتوى والرأي في المواضيع التي تمتُّ بشكل من الأشكال للعمل الإسلامي وأمور السياسة وما تعلق بها هم بالنسبة لنا أحد الأصناف التالية:

1- العلماء العاملون: وهم العلماء القادة العاملون للإسلام المجاهدون في سبيله الواقفون في وجه الطواغيت سواء باليد أو اللسان أو بكليهما معاً. جمعوا العلم بشرع الله إلى العمل في سبيله فهؤلاء قدوة لنا وأولياء وهم أولوا الأمر الحقيقيون وقدوتنا في كل ما وافق كتاب الله وسنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم وهدي سلفنا الصالح رضي الله عنهم.

2- العلماء المستقلون: الذين لم ينحازوا لطاغوت من الطواغيت، ولم يناصروه ولم ينتموا إليه. وكذلك لم ينضموا لقافلة العاملين على حربهم المجاهدين في سبيل الله، بل تفرغوا للعلم الشرعي البحث واكتفوا بالتأليف والتدريس فصار لهم أتباع وطلاب وجمهور. فصاروا يتكلمون أحياناً في أمور السياسة وقضايا العمل الإسلامي بشكل مباشر أو غير مباشر بالرأي العام حيناً وبالفتوى الشرعية حيناً آخر.

فهؤلاء بالنسبة لنا. يؤخذ منهم العلم بشكل عام ويستفاد منهم في مجالات اختصاصهم الشرعية العلمية. أما ما كان من فتاواهم وآرائهم في السياسة وما يمس العمل الإسلامي فيؤخذ منهم بقدر ما وافقت آراؤهم الحق المدعوم بالدليل الشرعي ويرد عليهم وفق نفس المقياس. بكل ما يناسب أدب الخلاف وإنزال أهل العلم منازلهم..

3- العلماء المرتدون: وهم العلماء الذين يوالون الطواغيت المرتدين من حكام المسلمين ويشهدون عليهم بالإسلام رغم انكشاف حالهم وافتضاح ردتهم للقاصي والداني، وهم يحاربون من خرج على هؤلاء الحكام ويصفونهم بالبغي والخروج على أولياء الأمر الذين أوجب الله طاعتهم كما يزعمون! بل يقاومون من قاوم هؤلاء الطواغيت وجاهدهم في سبيل الله.

فهؤلاء العلماء هم من طائفة الطاغوت الكافر وأعوانه المباشرين المحاربين في سبيله والمدافعون عنه بسلاح أمضى من السيوف والمدافع وهو سلاح الفتوى وسيف العلم والشرع.

يبدلون الكلم عن مواضعه ويشترون بآيات الله ثمناً قليلاً. فنحن وهذه الفئة المرتدة من العلماء في حرب.

ويجب الرد عليهم رداً شرعياً مدعوماً بالدليل، ثم فضح طريقتهم ونفاقهم والتصدي لهم، وقطع دابر المفسد منهم لأنهم رؤوس الطائفة الممتنعة المحاربة لله ورسوله والمؤمنين.

4- قادة العمل الإسلامي ومفكروه وكتابه: وهؤلاء إجمالاً ليسوا من أهل العلم الشرعي المأصل ومعظمهم من قادة العمل والحركة السياسية، أو من أهل الفكر والكتابة والصحافة والخطابات وتتفاوت مراتبهم العلمية الشرعية زيادة أو نقصاناً. ومن مصائب العمل الإسلامي أن ترى جلهم يتدخل في أمور الشرع فيفتي ويصرح وينظر ويكتب وينشر..

والأصل أن يكون حوارنا مع هؤلاء الاحتكام للشرع وفقه الدليل، لإنصاف المصلح العامل بمقتضى الكتاب والسنة، والأخذ على يد المفسد والرد عليه وفق الأساليب الشرعية والخلق الإسلامي المتزن.

ويجب لفت النظر هنا إلى ضوابط هامة في التعامل مع هذه الطائفة من أهل العلم والعمل الإسلامي:

1- ليس من بعد نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم معصومون، فكما قال الإمام مالك رحمه الله كل يؤخذ من كلامه ويترك إلا صاحب القبر الشريف عليه الصلاة والسلام.

2- الحكم الفصل فيما اختلفنا فيه هو كتاب الله وسنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم.

3- ليس في الإسلام أحبار ولا رهبان نتخذهم أرباباً من دون الله كما فعلت اليهود والنصارى، وليس لدى أهل السنة والجماعة آيات معصومون كما فعلت الروافض وطوائف الضلال. وليس لأحد قدسية مهما كان قدره في العلم ومكانته بين الناس تمنع ردّ رأيه إن هو حاد عن منهج الإسلام وناصر الطاغوت ووقف معه.

فقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء. والثابت البيّن هو دين الله المحفوظ المتين.

4- ليست البذاءة والشتيمة والطعن واللعن من أخلاق المسلمين. فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء. وفي قاموس الشرع الواسع المحيط من الصفات والمصطلحات ما يغني عن الإسعاف والهبوط لأخلاق وألفاظ لا تليق بالمسلمين. فكل فعل وقول منحرف عن الإسلام له اسمه ووصفه وحكمه في شرع الله الكامل.

ثلاثة عشر: لا بد لأداء فريضة الجهاد بأسلوب متكامل مجدٍ من العمل من خلال جماعة منظمة منضبطة يتعاون أفرادها على البر والتقوى وذروة سنام الإسلام وهو الجهاد في سبيل الله.

ولا بد لكل تجمع شرعاً وعقلاً من قيادة تقوم عليه ومن رأس يتولى المسؤولية فيه في القيادة والتوجيه والسير إلى الهدف المنشود.

ولما كان الإسلام قد شرع للمسلمين أن يتعاهدوا ويتواثقوا اعلى الطاعات ومرضاة الله عز وجل فإنه لا بد من أن يتخذ التنظيم المجاهد في سبيل الله أميراً يتعاهدون معه على السمع والطاعة وفق الأصول الشرعية للقيام بهذه المهمة. خصوصاً في طريق تكتنفه المشاق وتميزه التضحيات ولذلك نقول بوجوب التزام أعضاء التظيم الجهادي الذين اتفقوا على منهج واضح لأداء هذه الفريضة مع قيادة هذا العمل ممثلة بأميرها بالعهد على الجهاد الذي يمكن تسميته لغة وشرعاً الموثق أو البيعة.

أربعة عشر: لا بد لكل أمير يقود جماعة على طريق الجهاد في سبيل الله من الشورى التي تعينه وتقربه –بمشيئة الله وعونه- نحو الصواب، ولا بد ولاسيما أن الأمر أمر جهاد ومسيرة وتضحيات من أن تستكمل هذه الشورى وفق المتيسر حسب ظروف التنظيم وأميره وأحوال العمل بأسلوب يتفق عليه أفراد القيادة بحيث تتحقق من خلال الهيئات والمؤسسات والأفراد والأمناء من أصدقاء الجماعة الأكفاء. ويجب أن تكون هذه الشورى (لازمة غير ملزمة) أي واجب على الأمير تحقيقها بطريقة من الطرق لأمر الله تعالى "وشاورهم في الأمر" وغير ملزمة له "فإذا عزمت فتوكل" يستنير بها ولا تقيده فينطلق بعدها متوكلاً على الله في القرار ويتحمل مسؤوليته أمام الله تعالى ثم أمام جماعته.

خمسة عشر: يجب أن تتوثق قيادة العمل الجهادي من أهلية الأعضاء المنتسبين وتتأكد من توفر شروط العضوية فيهم من قبيل:

الإسلام، العقل، البلوغ، الكفاءة، الأمانة، السلوك الحسن والاستقامة، التعهد بالسمع والطاعة في غير معصية وأداء القسم على العهد، تبني فكر الجماعة ومنهجها، عدم وجود التزام في جماعة أخرى.

لقد قدمنا في هذه المذكرة تأريخاً وتحليلاً لتجربة جهادية متكاملة مرت بالتجارب والمحن المتعددة ثم حاولنا استخلاص ملامح نظرية عمل جهادي عام مع رسم ملامح بديل جهادي على مستوى سوريا الشام وهي واحدة من أهم ساحات الصراع المقبل..

ثم حاولنا في الكتاب الثاني رسم ملامح طروح فكرية ومنهجية هامة يستلزم وضوحها وعورة هذا الدرب وتمثل نموذجاً لبحوث يجب تكاملها قبل الانطلاقة الرائدة.. مستفيدين من خلاصة ما وصلت إليه مناهج الجماعات الإسلامية الجهادية الجادة العاملة بعد دراسة مقارنة مستفيضة.

وإنني إذ أختم هذه السطور..

أعلم أني قد وطأت موطئاً يغيظ الكفار وأرجو أن يكون قد كتب لي به عمل صالح.

اللهم إن أحسنت فمنك لا يهدي للخير إلا أنت ولك المنة والفضل وإن أسأت فمن نفسي القاصرة وأنت غفور رحيم.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

عمر عبد الحكيم

1991/5/25

نظرت فيما كتب من كتب في الفكر الحركي والجهادي والسياسي الشرعي المعاصر فرأيت أن فيه الكفاية وزيادة، وهل سنضيف إليها أفضل مما صنفه علماء السلف من أصول السياسة الشرعية وفقه الجهاد ؟! أم هل سننظّر من بحوث أفضل مما قدمه سيد والمودودي وأمثالهم رحمهم الله ؟!.

ورأيت أن ما تحتاجه المكتبة الجهادية والمجاهدون العاملون كي ينطلقوا بوضوح نحو الهدف، هو إسقاط ذلك الفهم الحركي الجهادي، وتلك الأصول الشرعية والحكم على ما يدور من حولنا وفق تلك الموازين والأصول التي نزعم أنا نؤمن بها، بميزان تلك الأساسيات الجهادية والفكرية الحركية التي نزعم أنا نعمل بها ..

وبذلك يكون ما نحتاجه هو توصيف ما يدور من حولنا بكل ما يقتضيه ذلك من تسمية الأحداث وفاعليها، وتحديد الأسباب ومسببيها دون مواربة .. تحديد الداء ومن يمثله، وتوصيف الدواء وملامح الطريق ومعالمه الصحيحة وصفات أهله.

فاخترت أن أكتب بهذا الأسلوب، جهاداً في سبيل الله وأسأله القبول.

ثم ترددت نفسي .. إنها إعلان الحرب على كل أعداء الله بكل أشكالهم .. حكام .. طواغيت .. أجهزة مخابرات عالمية ومحلية .. منظمات وأحزاب معادية للإسلام .. جماعات إسلامية منحرفة .. علماء منافقون أفسدوا الدين والدنيا .. دعاة مجرمون مافتئوا يبتدعون ويحدثون في دين الله ((دعاة على أبواب جهنم)) .. الخ.

ترددت نفسي وتساءلت، ولم اخترت الكتابة في النمط الذي يقتل أصحابه؟! ولم العناء؟! ولم لا تكتفي بالعمل متجنباً زيادة المخاطر وحشد الخصوم :!

ودوت الإجابة في خاطري :

((وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ..))

فقلت لبيك اللهم لبيك وشرعت في هذا النوع من الكتابة.

فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين، ويا مرحباً بلقاء الله على طريق أفضل الجهاد .. كلمة حق عند سلطان جائر .. وهل نعيش إلا في عصر الجور والجائرين .. بكل أشكالهم ومراتبهم .. فالله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

المؤلف